علوم اللغة (٢)

دراسات علمية مُحكّمة تصدر أربع مرات في السنة

كتاب دوري

المجلد الأول | العدد الثاني | ١٩٩٨

الناشر
دار غريب
القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم اللغة

دراسات علمية مُحكَّمة تصدر أربع مرات في السنة

كتاب دوري

مج ١ ، ع ٢ ١٩٩٨

قيمة الاشتراك السنوى :

٨٠ جنيهًا مصريا (داخل جمهورية مصر العربية)

٨٠ دولارا أمريكيا (خارج جمهورية مصر العربية شاملا البريد)

سعر العدد :

٢٠ جنيهًا مصريا (داخل جمهورية مصر العربية)

٢٠ دولارا أمريكيا (خارج جمهورية مصر العربية شاملا البريد)

أسعار خاصة للطلبة

المراسلات :

توجه جميع المراسلات الخاصة إلى :

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

ص ب (٥٨) الدواوين - القاهرة ١١٤٦١ القاهرة - جمهورية مصر العربية

تليفون ٣٥٤٢٠٧٩ فاكس ٣٥٥٤٣٢٤

المحتويات

تقديم

هذا هو العدد الثانى من هذه السلسلة المتخصصة فى علوم اللغة ، تركز على اللغة العربية ، وتنشر الدراسات الجادة فى بنيتها وقضاياها ، وتهتم بالتراث اللغوى العربى ، وترحب بالاتجاهات المعاصرة .

هدف هذه السلسلة أن تشارك فى النهوض بالبحث العلمى فى اللغة العربية . تضم دراسات فى الأصوات والصرف والنحو والدلالة والمعجم ، وترحب ببحوث فى علم اللغة المقارن وفى علم اللغة التقابلى وفى القضايا اللغوية المعاصرة . تتلقى من الباحثين أعمالا جادة بوجهات نظر مبتكرة وتوثيق علمى دقيق، ولا تقبل الكتابات التى لا تدخل فى هذا النسق.

البحوث التى تنشر فى هذه السلسلة سيكون لها حيز مناسب ، حتى يتمكن الباحث من التوثيق الكامل وتقديم الفكرة مدعمة ومدققا فيها . ولهذا نفضل ان يكون البحث الواحد بين خمسين صفحة ومائة صفحة ، وهو نمط جديد ثبت انه يصل ببحوث علمية إلى مستوى طيب .

يخضع النشر فى هذه السلسلة لعملية تحكيم علمى دقيق ، اعتمادا على رأى كبار المتخصصين فى علوم اللغة فى الجامعات العربية والأجنبية . ونرجو أن يجد التحكيم العلمى مزيدا من القبول لدى الباحثين ، يتم التحكيم لصالح المستوى العلمى . وتجد ملاحظات المحكمين صدى طيبا عند أكثر الباحثين ، ويظل كل بحث منسوبا إلى صاحبه معبرا عن رأيه ودالا على جهده ، وهو وحده المسئول عن الدفاع عنه .

هذا النمط الجديد من السلاسل العلمية المحكمة يعد بداية مهمة فى مجال علوم اللغة ، يدين بالفكرة - من حيث الشكل - إلى زملاء أعزاء سبقوا فأصدروا من قبل دراسات عربية وإسلامية ، وزملاء بادروا إلى نشر كتب دورية تضم بحوثا علمية محكمة فى مجالات المكتبات والمعلومات . وهو نمط يجعل للناشرين الجادين مكانا فى النشر العلمى المتخصص على النحو المعروف فى دول أوربا وأمريكا حيث تصدر دوريات علمية محكمة فى دور نشر خاصة ، وذلك بعد تحكيم علمى ، ويفتح للباحثين آفاقا جديدة . وكل ما ينفق فى هذه السلسلة من جهد أو مال هدفه خدمة البحث العلمى بشكل يصل بنا إلى العمل المعمق الجاد الذى يقدم الجديد إلى المعرفة .

وتخطط السلسلة لإصدار أربعة أعداد فى كل سنة ، وتعهد إلى أحد كبار الأساتذة فى علوم اللغة بالإشراف على عدد أو أكثر ، حرصا على تنوع الاتجاهات وتكامل الخبرات ، مع الالتزام بالموضوعية والتحكيم العلمى .

والأمل كبير أن تكون هذه السلسلة الفصلية محققة لجانب من أمل المتخصصين فى علوم اللغة وأداة للتواصل العلمى وتبادل الرأى من أجل مزيد من البحوث الجادة فى اللغة العربية .

أ.د. محمود فهمى حجازى

شروط النشر

- يقبل هذا الكتاب نشر الدراسات والأبحاث فى علوم اللغة ، ونتائج البحوث الاستكشافية ، والمراجعات العلمية، وتقارير الممارسات والمشروعات والأنشطة العلمية، وعروض الكتب اللغوية المتخصصة العربية أو الأجنبية .
- يفضل أن تكون الدراسة في حدود ١٥٠٠٠ كلمة ، والمراجعة العلمية في حدود ٦٠٠٠ كلمة ، والتقرير في حدود ٢٠٠٠ كلمة ، وعرض الكتاب في حدود ١٥٠٠ كلمة .
- يشترط ألا يكون العمل قد سبق نشره أو قدم للنشر في أي مكان آخر .
- تخضع الأعمال المقدمة للتحكيم ، ويخطر صاحب العمل بقبوله أو بملاحظات التحكيم أو الحاجة إلى المراجعة .
- تقدم الأعمال بخط واضح ، أو مطبوعة ، على الحاسوب .
- تقدم الرسومات بشكل جاهز للاستنساخ المباشر .
- يراعى فى الاستشهادات المرجعية الدقة في التوثيق واكتمال بيانات الوصف ، والاطراد في ترتيب عناصر البيانات .
- يعبر ما ينشر في هذا الكتاب عن رأي كاتبه ولا يمثل بالضرورة رأي المحرر أو الناشر.
- لا يعاد نشر أي عمل مما ينشر في هذا الكتاب الدوري إلا بإذن كتابي من الناشر .
- يخضع ترتيب المواد في النشر لاعتبارات فنية ولا علاقة له بمكانة المؤلف أو قيمة العمل .

اللغة الأجريتية
بنيتها وعلاقتهما بالعربية (*)

أ. د. محمود فهمي حجازي

أولا: الإطار العام:

١ - إعادة تصنيف اللغات فى ضوء الكشوف اللغوية:

أ) يهدف علم اللغة المقارن إلى كشف العلاقات بين اللغات المنتمية إلى فصيلة لغوية واحدة. وكان تعرف علاقات اللغات المسماة بالسامية هدفا من أهداف علم اللغات السامية المقارن فى الجامعات الأوربية - على وجه الخصوص - فى القر ن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين. وبفضل جهود نولدكه (١٨٣٦- ١٩٣٠)[١] وبروكلمان (١٨٦٨ - ١٩٥٦)[٢] وغيرهما أمكن رسم ملامح هذه الفصيلة اللغوية وتحديد أفرعها وتصنيف كل لغة وكل لهجة منها فى داخل فرع محدد. الأكادية تمثل الفرع الشرقى، وتضم مستويات لغوية شتى بابلية وآشورية، والعبرية والفينقية ثم الآرامية بلهجاتها ومستوياتها المتعددة تشكل الفرع الشمالى الغربى، أما العربية الشمالية والعربية الجنوبية والحبشية فتمثل الفرع الجنوبى الغربى من اللغات السامية، وظل هذا التصنيف مقبولا فى ضوء سمات لغوية تشترك فيها اللغات واللهجات والمستويات اللغوية

* قدّم هذا البحث إلى المؤتمر السنوى لمجمع اللغة العربية بالقاهرة فى مارس ١٩٩٨

١- انظر عن جهود نولدكه:
Th. Nöldeke, Beiträge und neue Beiträge zur semitischen Sprachwissenschaft, 1904 - 1910 Strassburg, Neudruck 1982 in APA - Philo- Press, Amesterdam.

٢- انظر العمل الأساسى لبروكلمان:
C. Brockelmann, Grundriss der vergleichenden Grammatik der semitischen Sprachen, I, II, Berlin 1907 - 1913.

المتعددة فى داخل كل فرع لغوى ، وتميزه - أيضا - عن الفرعين الآخرين ، وعلى أساس الاشتراك فى مجموعة من السمات الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية كلها أو بعضها يتحدد الانتماء .

ب) كان اكتشاف اللغة الأُجَرِيتِيَّة فى أطلال مدينة قديمة بالقرب من رأس شمرا فى سورية سنة ١٩٢٩ بداية طرح جديد لهذه المشكلة . لقد وُجدت هذه اللغة فى آلاف النقوش فى موقع واحد يقع على الساحل السورى الشمالى ، وعُرفت منسوبة إلى مدينة أُجَرِيت التى وجد اسمها مدونا فى عدد من هذه النقوش . وأدى فك رموز هذه النقوش إلى اكتشاف أنها حروف أبجدية ، لكل حرف منها دلالة محددة على صوت مفرد . وتعرف الباحثون زمن هذه النقوش ، فكانت كلها من القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وإن كانت بعض نصوصها الأدبية تمثل تراثا أقدم من ذلك التاريخ ، رُوِى شفاها ، ثم دُوِّن فى النقوش بعد ذلك .

جـ) إنّ تحديد انتماء اللغة الأُجَرِيتِيَّة وغيرها إلى فصيلة لغوية محددة يقوم على تعرف خصائصها الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية ، ثم بحث مدى الاتفاق والاختلاف بين هذه الخصائص من جانب واللغات القريبة منها من الجانب الآخر ، لقد ثبت أن الأجريتية لغة سامية ، ولا تنتمى إلى فصيلة أخرى من فصائل اللغات فى العالم القديم . ولكن اللغات السامية لها أفرع متعددة ، ولما كانت الأُجريتية قد اكتشفت فى بلاد الشام فكان أقرب الفروض هو بحث مدى قربها أو بعدها عن العبرية والفينيقية لأنهما كانتا أيضا فى بلاد الشام ، وكان هذا الفرض قريبا من الفكر اللغوى لباحثين أوربيين تخصصوا فى اللغات السامية ، ولهم صلة وثيقة بدراسات العبرية التى كانت بداية تعلم اللغات السامية بالنسبة لكثير منهم ، ولها معاجمها المتقنة وبحوثها النحوية المفصلة المدونة باللغات الأوربية الكبرى ، ولذلك ظل أكثر المهتمين بالأجريتية

من العلماء المتخصصين فى دراسات النص العبرى للعهد القديم ، ووجدوا فيها - كما وجدوا من قبلُ فى لغات سامية أخرى - مادة مفيدة لفهم العبرية القديمة . ومع هذا فلم يتفق الرأى على انتماء الأجريتية ، وعدّها بعض الباحثين أقدم اللغات الكنعانية وفسّروا من خلالها صيغا عبرية كثيرة(٣) ، وجعلوها الشكل الأقدم الذى نُجُمَتْ عنه العبريةُ عبر تغيرات محددة ، وجعلها باحثون آخرون فرعا لغويا مستقلا فى داخل فصيلة اللغات السامية . وهدف هذا البحث إعادة النظر فى هذا الموضوع برؤية جديدة تقوم على بحث بنية الأجريتية من حيث مدى قربها أو بعدها عن العربية ، وذلك من حيث الأصوات وبنية الكلمة ، والمفردات)مع التركيز على السمات الفارقة التى تحدد انتماء اللغة إلى فرع بعينة وليس على السمات المشتركة فى بنية اللغات السامية كلها(٤) .

د) يعتمد هذا البحث بالنسبة للمادة اللغوية الأجريتية على عملين أساسين هما:

- C. Gordon , Ugaritic Textbook, Grammar, Texts in Transliteration, Cuneiform selections, Glossary and Indices, Roma 1965.

- J. Aistleitner, Wörterbuch der Ugaritischen Sprache,Berlin 1963.

وذلك بالإضافة إلى الأعمال الأساسية فى علم اللغات السامية المقارن(٤).

٣- انظر: J. Aistleitner, Untersuchungen zur Grammatik des Ugaritischen, Berlin 1945.
R. Meyer, Hebräische Grammatik, I Einleitung, Schrift - und Lautlehre, Berlin 1996.
وفيه إفادة واضحة من الأجريتية فى تحليل جوانب كثيرة من عبرية العهد القديم، انظر مثلا الصفحات: 103, 97, 92, 48.

٤- فى هذا الموضوع أنظر:
- J. Friedrich, Kanaanäisch und Westsemitisch, in : Scientia 84, 1949, s.226. ff.
- H. Goeseke, Die Sprache der semitischen Texte Ugarits und Jhre Stellung innerhalb des Semitischen, Wissenschaftliche Zeitschrift der Martin Luther Universität, / Halle Wittenberg 1958, 622 - 652.

٢ - الكتابة الأجريتية ودلالتها الصوتية :

أ) الكتابة الأجريتية ذات أشكال مسمارية مدونة على ألواح طينية ، وجد الباحثون فيها أبجدية متكاملة ، لكل صوت مفرد فى اللغة رمز واحد يدون به ، تضم هذه الرموز كل الصوامت مع تنوع فى تدوين الهمزة المفتوحة والهمزة المكسورة والهمزة المضمومة فلكل منها رمز كتابى مستقل ، وبذلك وصل عدد هذه الرموز إلى ثلاثين رمزا ، ترتيبها طبقا لما ورد فى عدة ألواح هو على النحو التالى : الألف (المفتوحة) ، الباء ، الجيم ، الخاء ، الدال ، الهاء ، الواو ، الحاء ، الطاء ، الياء ، الكاف ، الشين ، اللام ، الميم ،الذال ، النون ، الظاء ، السين ، العين ، الباء ، الصاد ، القاف ، الراء ، الثاء ، الغين ، التاء ، والكسرة ، والضمة ، والسين الجانبية ، وهذه الحروف الثلاثون يرمز أكثرها إلى الصوامت ، أما استخدام رموز الكسرة والضمة و الفتحة ، فكان فى حالات محدودة ، وذلك عند تدوين الكلمات الدخيلة من اللغات غير السامية ولتدوين كلمات أكادية أحادية المقطع ، وبهذا كان للأجريتيين فضل تطوير نظام الكتابة الصوتية على أساس الأصوات المفردة ، وهو الأساس الذى قامت عليه أكثر النظم المتداولة فى كتابة اللغات فى أكثر أنحاء العالم .

يختلف نظام الكتابة الأجريتية (١٤٠٠ ق.م.) عن النظام المقطعى الذى كان مُطَبَّقًا من قبلُ فى تدوين الأكادية (٢٥٠٠ق.م.).كان للأجريتيين دور حاسم فى تبسيط نظام الكتابة واختراع الكتابة بالحروف وتدوين اللغة بها ، اى ابتداع نظام للكتابة برموز يعبر كل رمز واحد منها عن صوت مفرد معين ، كانت بذور هذه الفكرة فى تدوين بعض الأصوات المفردة توجد فى كتابة اللغة المصرية القديمة ،فقد دُوِّنت بعض الأصوات بحروف بالإضافة إلى الرموز الصورية المعنوية ، ولكن هذه العلامات الإضافية لم تتحول إلى نظام كامل للتدوين .

ب) يرتب الباحثون المحدثون فى دراستهم للأُجَرِيتيَّة هذه الحروف ترتيبا معدلا ومماثلا لترتيبها فى العبرية والسريانية ، وهو أبجد هوز حطى كلمن سعفص قرشت ، مع إدخال باقى الحروف الأجريتية فى سياق الترتيب ، وبذلك يكون الترتيب الكامل للحروف الأجريتية عند الباحثين لأغراض الوضوح والتيسير ما يأتى :

- الألف مع إحدى الحركات (الفتحة ثم الكسرة ، ثم الضمة)

- ب ، جـ ، د (+ ذ) ، هـ ، و ، ز ، ح (+ خ) .

- ط (+ ظ) ، ى ، ك ، ل ، م ، ن ، س (+ سين جانبية) .

- ع (+غ) ، پاء مهموسة ، ص ، ق ، ر ، ش ، ت (+ ثاء).

وقد ورد ترتيب الحروف طبقا للنظام الأبجدى مدونا فى نقوش أجريتية يبدو أنها كانت لأغراض تعليمية ، وهذا الترتيب مُوثَّق بعد ذلك فى العبرية القديمة والآرامية .

جـ) كان انتقال فكرة الأبجدية التى ابتكرها الأجريتيون إلى أكثر أنحاء العالم القديم عن طريقين ، أخذها اليونان من خلال علاقاتهم بالفينيقيين وعنهم دخلت إلى أوربا ، وانتقلت إلى كل شعوب بلاد الشام فدونت بها العبرية والفينيقية والآرامية ، وعدلت أشكال الحروف - بعد ذلك - فى تدوين السريانية ، وعرف عرب الجزيرة العربية نظام الكتابة عن النَّبَط فى تخوم بلاد الشام ، فكتبوا العربية بالحروف المفردة ، يدل الرمز الكتابى المفرد على صوت معين واحد .

كما استخدم العرب أيضا الترتيب المتداول للحروف عند شعوب الشام قُبَيْل ظهور الإسلام ، الألف أول الحروف والتاء آخر الحروف ، ثم أضاف العرب بعد ذلك ستة أحرف فى العربية ، لا توجد بوصفها وحدات صوتية فى العبرية والآرامية ، وهى ث خ ذ ، ض

ظ غ . وأطلقوا عليها - كما ذكر ابن النديم - اسم الرَّوَادِف[5] . وبذلك اكتملت منظومة الحروف العربيـة فى ترتيبها الأبجدى : أبجد ، هوز ، حطى،كلمن ، سعفص ، قرشت ، ثخذ ، ضظغ ، وظل هذا الترتيب مستخدما وحده ، إلى أن تم تعديله بوضع الحروف العربية المتشابهة خطا متجاورة ومميزة بالشكل . وهذا مع الإعجام الذى تم بجهود نصر ابن عاصم ويحيى بن يعمر فى القرن الأول الهجرى ، وبذلك نشأ الترتيب الهجائى المتداول حتى اليوم .

٣ - قضية موقع الأجريتية بين اللغات السامية

أ) أفاد اللغويون فى فك رموز الكتابة الأجريتية وفى فهم كلماتها من العبرية والعربية واللغات السامية الأخرى . وطرحوا التساؤل العلمى عن موقع اللغة الأجريتية فى إطار هذه اللغات ، ولم ينل الفرض القائل بأنها فرع مستقل فى نسق فصيلة اللغات السامية إلا اهتماما محدوداً . وكان تخصص أكثر المشتغلين بالأجريتية فى العبرية القديمة دافعًا إلى فرض أن الأجريتية تمثل أقدم مرحلة من الفرع الكنعانى الذى يضم - أيضا - العبرية والفينيقية . ولم تطرح قضية العلاقة الوثيقة مع العربية ومدى أثرها فى تحديد موقع الأجريتية .

ب) يقوم الفرض القائل بالعلاقة بين الأجريتية والعبرية على مجموعة دراسات تناولت ما يأتى :

٥- انظر ابن النديم، الفهرست، بتحقيق فلوجل Leipzig 1871, ed. Flügel s. 3، وطبعة القاهرة ص١٢. وعبارة ابن النديم تُؤخذُ من جانبها الموضوعى: اختلف الناس فى أول وضع الخط العربى، فقال هشام الكلبى: أول من صنع ذلك قوم من العرب العاربة نزلوا فى عدنان ... ثم وجدوا بعد ذلك حروفاً ليست من أسمائهم، وهى الثاء والخاء والذال والظاء والشين والغين، فسموها الروادف.

١ - يوجد عدد من الكلمات فى النقوش الأجريتية وفى عبرية العهد القديم . ويلاحظ أن عددا كبيرا من هذه الألفاظ لا تختص باللغتين لأنها ألفاظ مشتركة فى اللغات السامية ، من ذلك : طَلٌّ ، سماء ، ألف ، أرض ، عفر ، بيت ، حظر (بمعنى بلاط)(٦) ، حَلَب ، بَيَّنَ (بمعنى أدرك) ، عَالَم (بمعنى أبد) ، عنى (بمعنى أجاب) . وبغض النظر عن التغير الدلالى وتغيرات صوتية محددة ، فإن هذه الكلمات تدخل فى نسق كون الأجريتية لغة سامية ، ولا تنسبها بالضرورة إلى الفرع اللغوى الذى تنتمى إليه العبرية . أما المفردات المشتركة حقا بين الأجريتية والعبرية فنذكر منها فى الأجريتية : (ك س پ) بمعنى فضة ، (خ ر ص) بمعنى ذهب ، (ح مء ت) بمعنى زبدة .

٢ - الأجريتية أقرب إلى لغة الشعر العبرى منها إلى العبرية المألوفة فى باقى نصوص العهد القديم . ودليل ذلك الميل إلى عدم استخدام أداة التعريف فى لغة الشعر العبرى القديم ، وهذا ما يقرِّبها من الأجريتية التى لم تعرف أداة للتعريف . وقد لاحظ باحثون قلة استخدام أداة التعريف فى الفينيقية ، وعلى ذلك جعلوا الأجريتية تمثل الشكل الأقدم ، - وبعد ذلك - لغة الشعر العبرى ، ثم الفينيقية ثم العبرية ، وهو ترتيب يبدو صحيحا بمراعاة توزيع الظاهرة ، ولكنه لا يدل على انتماء الأجريتية إلى ذلك الفرع ، فاللغات السامية لم تكن تعرف فى البداية أداة للتعريف ، الأكادية والأجريتية - وهما أقدم لغتين دُونتا من لغات هذه الفصيلة - لم تعرفا هذه الأداة ، وقد تكونت أداة التعريف فى اللغات السامية بطرائق مختلفة فى عصور تالية ، وأهمية هذه الملاحظة تجعلنا نؤرخ لتكوّن أداة التعريف بعد خروج الجماعة - التى عرفت بعد

٦ - ترتبط هذه الدلالة بمعني المنع والمكان الذي يحوطه سُور وما يماثله، ويُحَرَّم علي غير أهله الدخول إليه ، يقتَصر عليهم ، وفي القاموس المحيط : "محظورا أي مقصورا على طائفة دون أخرى" .

استقرارها باسم الأجريتيين - من موطنها الأصلي نحو سنة ١٤٠٠ ق.م. ومعنى هذا أن الجماعة السامية الأولى لم تعرف حتى ذلك التاريخ أداة للتعريف .

٣ - لم تعرف الأجريتية استخدام الواو القَالِبَة على النحو المألوف فى العبرية ، وهى الواو التى تسبق الفعل المضارع فتجعله دالا على الماضى . وهذا الفرق لا يدل على كونهما من فرع واحد ، بل تتيح النقوش الأجريتية مادة أكثر لدراسة الدلالة الزمنية للفعل فى تاريخ اللغات السامية . وإذا كان الباحثون قد لاحظوا عدم ورود الواو القالبة فى نصوص من الشعر العبرى القديم ، وذلك مثل المزمور ٦٨ الذى توجد له نصوص أجريتية مماثلة . فإنهم من هذا الجانب استنتجوا أن الأجريتية ولغة الشعر العبرى القديم تحملان خصائص تعد أقدم من تلك الخصائص المألوفة فى العبرية القديمة .

٤ - دلت الرموز الأجريتية على نظام صوتى يقترب من النظام الصوتى المفترض للغة السامية الأم ، ويضم أصواتًا لا تُعد وحدات صوتية مستقلة فى العبرية ، منها الخاء والثاء . لاتعرف الأجريتية تحوّل الخاء والحاء إلى صوت واحد هو الحاء على نحو ما نعرف فى العبرية ، كما لا تعرف الأجريتية تحول الشين والثاء إلى صوت واحد هو الشين على نحو ما نعرف فى العبرية . ولكن بعض النصوص الأجريتية القليلة التى وجدت فى أماكن متباعدة من فلسطين تحمل خصائص صوتية تدل على هذين التحولين، وبذلك يقتربان من العبرية والفينيقية.وهذا الجانب الصوتى يجعل الأجريتية -بصفة عامة - أقرب إلى العربية ، ويمكن تفسير تلك النقوش القليلة فى اتجاهات شتى ، منها مثلا تأثير اللهجات الكنعانية الجنوبية فى بلاد الشام على كُتَّاب هذه النقوش الأجريتية.

٥ - عرفت الأجريتية التَّعْدِية بالشين ، أى بوزن (شَفْعَل) ، ومن هنا تختلف عن

العبرية التي تعدّى بوزن (هَفْعِل) والفينيقية التى تعدي أيضا بوزن (هفعل) . ومن هذا الجانب تشترك الأجريتية مع اللغات العربية الجنوبية ، ولكن وجود هذا الوزن فى لغات سامية شتى وفى المصرية القديمة والأكادية واستمراره أيضا فى المَهْرِيَّة مع بقايا منه فى العربية الشمالية يجعل من المناسب افتراض كونه قديما موروثا فى لغات الفصيلة الأفرو آسيوية .

٦ - الأجريتية لم تعرف نصوصها تحوّل الفتحة الطويلة إلى ضمة طويلة ، وهذا التحول سمة أساسية تحدد الانتماء إلى الفرع الكنعانى . إن النقوش الكنعانية التى وجدت فى تل العمارنة فى الزمن نفسه الذى دونت فيه النقوش الأجريتية عرفت هذا التحوّل الذى استمر أيضا فى العبرية والفينيقية . فى الأجريتية نجد (ر ء س) وفى الآرامية rēš، ولكننا نجد فى الكنعانية rōš . واحتفظت الأجريتية بالفتحة الطويلة مثل (ك س ا ت) بمعنى كراسي أو عروش ، فى حين نجد الصيغة العبرية بالضمة الطويلة . والواقع أن المقارنة هنا ذات أهمية واضحة ، فليس من اليسير أن ننسب الأجريتية - مع هذا الفرق الحاسم - إلى فرع لغوى واحد مع العبرية والفينيقية .

٧ - عرفت الأجريتية ظرفا دالا على الوجود (إ ث)، ومن هذا الجانب تتفق مع الآرامية iṯ والعبرية yēš ، بمعنى ثمة أو يوجد . ومن هذا استنتج بعض الباحثين انتماء الأجريتية إلى الفرع الشمالى الغربى من اللغات السامية .

٨ - الأجريتية عرفت تحوّل الذال إلى دال فى أمثلة معدودة ، على النحو المطرد فى الآرامية ، وهو تحوّل حدث فى مواقع مختلفة وفى ظروف متعددة،من ذلك كما حدث بعد ذلك بقرون فى بعض اللهجات العربية . ولكن هذا التحوّل لا يثبت بالضرورة ذلك الفرض بانتماء الأجريتية إلى الفرع الشمالى الغربى من اللغات السامية .

ونظرا لتهافت أكثر الأدلة التى يسوقها أصحاب الرأى بانتماء الأجريتية إلى الفرع الذى تنتمى إليه العبرية ، فإنه من الضرورى أن يعاد النظر فى بحث هذا الموضوع فى ضوء المقارنة مع العربية ، وذلك من حيث الأصوات وبناء الكلمة والمفردات .

ثانيا : الأصوات فى الأجريتية والعربية :

١ - الأصوات المشتركة فى اللغات السامية

تشترك الأجريتية مع اللغات السامية الأخرى فى احتفاظها بالأصوات التالية دون تغير : الباء ، الدال ، الزاى ، التاء ، الطاء ، والصاد ، والحاء ، والهاء ، والنون ، والراء ، واللام ، والميم ، والياء ، والواو ، ويتضح ذلك من الأمثلة الآتية :

- كلمة (أب) من الألفاظ المشتركة فى اللغات السامية ، نجدها فى العربية والأجريتية بدلالتها الأساسية فى إطار علاقات القرابة وبدلالاتها المجازية والسياقية الأخرى .

- كلمة (آدم) اسم جنس يدل على الإنسان والبشر ، وهو فى العبرية ، والفينيقية بالمعنى نفسه ، أما فى العربية الجنوبية فمعناها خادم .

- كلمة (أ ب ر) بمعنى طار ، وهذه الحروف الأصول تكوّن منها فعل فى العبرية بمعنى ارتفع ، وفى السريانية ebrā ، بمعنى ريشة ، وفى الأكادية abru بمعنى ريشة طائرة .

- المادة (ت ن ن) بمعنى تنّين ، وتوجد فى العبرية وفى السريانية وفى العربية.

- المادة (ت هـ م) بمعنى عميق، ومن ذلك فى العربية تَهامة ونجدها فى العبرية وفى السريانية.

- المادة (ت ح ت) بمعنى تحت ، نجدها فى العبرية وفى السريانية وفى العربية والحبشية.

- المادة (ت م م / ت م) بمعنى اكتمل وتمّ ، توجد فى العربية والعبرية والسريانية. وكان وحود هذه المادة فى اللغات السامية وفى المصرية القديمة سببا لافتراض وجودها الأقدم فى اللغة الأفرو آسيوية الأولى .

- كلمة (ز ى ت) بمعنى زيت ، نجدها فى العربية والعبرية والسريانية، وفى الحبشية .

- كلمة (ط ل ل) بمعنى الطّل ، نجدها فى العبرية وفى السريانية،وفى الحبشية .

- المادة (ص د ق) ، نجدها فى العبرية وفى السريانية وفى العربية ، وفى الحبشية.

- كلمة (ل و ح) ، نجدها فى العربية والعبرية والسريانية ، وفى الحبشية .

وهذه الكلمات وما يماثلها كثير ، وكلها تثبت انتماء الأجريتية إلى اللغات السامية ، ولكنها لا تحدد انتماءها إلى فرع لغوى بعينه من أفرع هذه الفصيلة اللغوية.

٢ - الأصوات التى احتفظت بها العربية والأجريتية :

أ) احتفظت العربية والأجريتية وحدهما بصوت الثاء ، ولكنه تحوّل فى العبرية إلى شين ، وفى الآرامية ومنها السريانية إلى تاء . ويتضح هذا من الأمثلة الآتية :

- المادة (ث ق ل ṯ q l) يقابلها فى العربية ثقل،أما فى العبرية فالكلمة بالشين ، وفى الآرامية بالتاء .

- المـادة (ث غ ر t̠ g r) يقابلها فى العربية ثَغْر أما فى العبرية فالكلمة بالشين وفى الآرامية بالتاء مع قلب مكانى ، ومعناها فم أو باب أو ميناء .

- المادة (ث م t̠ m) بمعنى هناك ، يقابلها فى العربية ثَمَّ ، وفى العبرية بالشين.

- المـادة (ث ل ث t̠ l t̠) يقابلها فى العربية ثلاث، أما فى العبرية فالكلمة بشينين، وفى الآرامية بتائين .

- المادة (ث و ر t̠ w r) تدل على الثَّوْر ، كما وردت أيضا بدلالات مجازية ، و هذه الكلمة يقابلها فى العربية ثور ، وهى فى العبرية بالشين وفى الآرامية بالتاء .

- المادة (ث ك ل t̠ k l) يقابلها فى العربية ثكل ، وفى العبرية بالشين .

- المادة (ث ن ى t̠ n y) بمعنى كرَّر ، ثنَّى ، يقابلها فى العربية ثَنَّى ، وهى فى العبرية بالشين ، وفى السريانية بالتاء .

- المـادة (ث ى ن t̠ y n) بمعنى تبوَّل ، ترتبط فى العربية بكلمة مُثَانة ، ويقابلها فى العبرية šēn ، وفى الحبشية šinātı .

- المادة (ث و ب t̠ w b) تدل على العودة ، ويقابلها فى العربية ثاب/ يثوب. وهى فى العبرية بالشين وفي الحبشية بالشين. وكانت المقابلات فى اللغات السامية وفى المصرية القديمة وراء افتراض كونها من أصل ثنائى.

ب) تشترك العربية والأجريتية فى كلمات تتضمن صوت الثاء، ولم ترد هذه الكلمات إلا فيهما :

- كلمة (ث ع ل ب) لم ترد من بين اللغات السامية إلا فى العربية والأجريتية .

- كلمة (ث ع د) نادرة ، ويقابلها فى العربية : الثَّعْد الرُّطب أو بُسْر غلبه الإرطاب والغَضُّ من البقل .

- المادة (ث ر م) تدل على تناول الطعام وتقطيع اللحم على وجه الخصوص ، ويقابلها فى العربية ثُرَم انكسار السن من أصلها ، أو سن من الثنايا من الثنايا والرباعيات .

- المادة (ث م ر) بمعنى التمر ، ومنها فى العربية ثمر وأثمر .

جـ) احتفظت الأجريتية والعربية بصوت الذال على نحو كاد يكون مطردا ، ولكنه تحوّل فى العبرية والفنيقية إلى زاى وفى الآرامية إلى دال ، ويتضح هذا فى الأمثلة الآتية :

- المادة (ذ م ر) . بمعنى شجاع ، وهذه المادة موجودة مع التغير الصوتى فى العربية الجنوبيةوفى العبرية .

- المادة (ذ ر ع) وكلمة ذراع من الكلمات المشتركة فى اللغات السامية ، توجد فى العبرية وفى السريانية . وفى الحبشية .

د) احتفظت الأجريتية بصوت الظاء ، ولكنه تحوّل فى العبرية والفينيقية إلى صاد ، وفى الآرامية إلى طاء .

- كلمة (ظ ب ى) . بمعنى ظَبْى ، وهذه الكلمة موجودة مع التغيز الصوتى فى العبرية ، وفى السريانية إلى صاد .

- كلمة.(ظ هـ ر) بمعنى ظَهْر ، وهذه الكلمة موجودة مع التغير الصوتىإلى صاد فى العبرية .

- كلمة (ظ ل ل) ، بمعنى ظِلّ ، وهذه الكلمة موجودة مع التغير الصوتي إلى صاد في العبرية والآرامية.

هـ) على نحو ما حدث في العربية منذ قرون فقد اتضح في النقوش الأجريتية تداخل الظاء مع الضاد في تدوين بعض الكلمات.كتبت كلمة (ض ح ك) مبدوءة بحرف الظاء .

و) تميز اللغتان الأجريتية والعربية وحدتين صوتيتين اثنتين للعين والغين ، وهو تمييز نادر في اللغات السامية ، فقد جمعت أكثر اللغات السامية العين والغين في وحدة صوتية واحدة .

أمثلة وجود الغين في الأجريتية والعربية :

- المادة (غ و ر) بمعنى الغَوْر .

- المادة (غ ز ل) بمعني غزل (الصوف) .

- المادة (غ ل م) بمعنى الغلام الخادم ، وتوجد مبدوءة بالعين في العبرية وفي السريانية . وفي العربية الجنوبية .

أمثلة العين في الأجريتية والعربية ، ويقابلها عين في العبرية والآرامية:

- المادة (ع ش ر) تدل على العدد عشرة .

- المادة (ع ت ق) بمعنى ترك ، أجاز .

- المادة (ع ر ش) بعنى سرير ، سُدَّة الملك ، عَرْش.

ز) تميز الأجريتية والعربية وحدتين صوتين للحاء والخاء ، وهو تمييز نادر في

اللغات السامية ، فقد جمعتهما أكثر اللغات السامية فى وحدة صوتية واحدة .

أمثلة الحاء فى الأجريتية والعربية ولغات سامية أخرى :

- المادة (ح ب ل) يقابلها فى العربية الحبل الذى يربط به ، وتوجد فى العبرية ، وفى الأكادية وفى الحبشية .

- المادة (ح د ث) بمعنى حديث ، توجد مع التغيير الصوتى للثاء إلى شين فى العبرية .

- المادة (ح ك م) بمعنى أصبح حكيما ، توجد فى العبرية وفى السريانية.

- المادة (ح ل ب) توجد فى العبرية .

- المادة (ح م ر) ، توجد فى العبرية وفى السريانية وفى الأكادية .

أمثلة الخاء فى الأجريتية والعربية،وفيهما لا تختلط الوحدة الصوتية للحاء مع الوحدة الصوتية للخاء . هذه الأمثلة بالخاء فى الأجريتية والعربية ، ولكنها بالحاء فى العبرية والسريانية

- الاسم (خ ز ر) يدل على الخنزير ، وهو فى العبرية hazzır

- المادة (خ رب) بمعنى خَرِب ، ولكن مقابلها فى العبرية بالحاء .

- المادة (خ ت ن) تدل على الزواج وما يتصل به و وهى فى العبرية بالحاء .

ثالثا : بنية الأجريتية والعربية فى ضوء علم اللغة المقارن :

أ) يتضح من العرض السابق أن الأجريتية أقرب اللغات من العربية الشمالية من حيث الوحدات الصوتية وذلك أنه إلى جانب الأصوات المشتركة فى اللغات السامية احتفظت الأجريتية والعربية بالأصوات بين الأسنانية (الثاء والذال والظاء) بينما حدث لهذه الأصوات تغير فى باقى اللغات السامية ، وتميز الأجريتية والعربية وحدتين صوتيتين للعين والغين ، ولكن باقى اللغات السامية لا تعرفهما وحدتين مختلفين ،. كما تميز الأ جريتية والعربية الحاء والخاء وحدتين صوتيتين مختلفتين ، ولكن باقى اللغات السامية تضمهما فى وحدة صوتية واحدة وبذلك تداخل الصوتان تداخلا تاما .

ب) تختلف الأجريتية عن العربية من حيث الأصوات فى وحدتين صوتيتين ، هما الضاد العربية التى يقابلها صاد فى الأجريتية ، وهى مشكلة لم تتضح ملامحها فى إطار تاريخ الأصوات العربية .

- الكلمة (ص ى ن) بمعنى ضأن ، توجد أيضا بالصاد فى العبرية ، و فى الأكادية .

- الكلمة (ص ب ط) بمعنى ضبط ، توجد فى الأكادية بالصاد .

- الكلمة (ص ب ر) تدل على المجموعة ، وفى العربية : ضَبَر الفَرسُ جمع قوائمه، والتَّضْبِير الجمع،ومن المادة فى العربية كلمة ضُبَّارة بمعنى الحُزْمة وإضْبَارة بمعنى الحزمة من الصحف.

- المادة (ص ح ق) بمعنى ضحك ، وتوجد بالصاد فى العبرية .

جـ) تختلف الأجريتية عن العربية فى احتفاظ الأجريتية بصوت الباء المهموسة ،

ويقابلها فى العربية فاء وهذا من أهم التغيرات فى العربية ، ويتضح من المقارنة باللغات السامية أن اللغة السامية الأولى كانت تعرف الپاء المهموسة بدليل وجودها فى الأكادية والأجريتية والعبرية والفينقية والآرامية . والعربية عرفت ذلك التحوّل من الپاء المهموسة إلى الفاء المهموسة .

– المادة الأحادية الصامت (پ) تدل على الفم ، ويقابلها فى العبرية (pē) ، وفى الأكادية (pū) ، وفى العربية فو / فا /فى .

– الكلمة (پ ح م) يقابلها فى العربية فحم ، وهى فى العبرية (peḥam) ، وفى السريانية (paḥmā) .

– الكلمة (پ ح ل) يقابلها فى العربية فحل .

د) يبدو أن اللغة السامية الأولى كانت تضم سينا وشيناوسينا جانبية ، وقد حدث تغير كبير فى توزيع هذه الأصوات فى اتجاهات شتى . تتفق الأجريتية والعربية فى وجود الشين فى عدد كبير المواد اللغوية ، منها :

المادة الأحادية (ش) بمعنى شاء .

– المادة (ش م ل) بمعنى الشمال ، واليد اليسرى ، ومقابلها بالسين فى العبرية وفى السريانية وفى الأكادية .

– المادة (ش ب ع) بمعنى شبع ، ومقابلها بالسين فى العبرية ، وفى السريانية ، وفى الأكادية ، وفى الحبشية

– المادة (ش م خ) بمعنى ارتفع ومقابلها بالسين فى العبرية.

– المادة (ش ن ء) بمعنى كره ، ومقابلها بالسين فى العبرية .

- المادة (ش پ ت) بمعنى شفة ، ومقابلها بالسين فى العبرية .

وأغلب الظن أن هذا الخلاف يرجع إلى كون الأصل الأقدم صوتًا ثالثا هو - كما يفترض علماء المقارنات - السين الجانبية ، صعب نطقها وتحولت فى اتجاهين اثنين ، ولكنا نلاحظ هنا اتفاق الأجريتية والعربية .

ولكن ثمة أمثلة أخرى فى الأجريتية نجد فيها الشين تقابل فى العربية سينا ، فى هذه الأمثلة تتفق الأجريتية والعبرية وتختلفان عن العربية • وأغلب الظن أن اللغة السامية الأولى كانت تضم وحدة صوتية للشين، احتفظت بها لغات سامية كثيرة ، وحدث التغير فى العربية فأصبحت سينا .

- المادة (ش ح ر) بمعنى السحر ، يقابلها فى العربية سحر .

- المادة (ش خ ن) بمعنى أصابته الحمى ، وفى الأكادية šaḫânu

- المادة (ش ك ن) بمعنى سكن ، وفى العبرية وكذلك فى السريانية بالشين.

- المادة (ش ل و) الفعل سلا / يسلو ، فى العبرية بالشين وفى السريانية .

- المادة (ش ل ح) بمعنى سيف ، يقابلها فى العربية (سلاح)، وفى العبرية بالشين •

- المادة (ش ل ى ط) يقابله فى العربية (سليط) ، من مادة سامية مشتركة ، فى العبرية بالشين .

- المادة (ش ل م) يقابلها فى العربية سلام ، وفى العبرية بالشين .

- المادة (ش م ، أو : ش م م) بمعنى سماء ومقابلاتها بالشين فى العبرية ، وفى السريانية ، وفى الأكادية .

***

١ - تتفق الأجريتية - بصفة عامة فى التصنيفات الصرفية المألوفة فى العربية والعبرية و الفينيقية وكذلك فى الآرامية ، وعلى وجه الخصوص ما يأتى :

- الضمائر المنفصلة للرفع (أن) مع وجود (أَن ك) للمتكلم أي أنَاكُ ، على نحو ما ورد فى العبرية والفينيقية ، ولا توجد لغات أخرى بها هذه الثنائية فى ضمير المتكلم .

- الضمائر المنفصلة والمتصلة للنصب .

- الضمائر المتصلة الخاصة بالجر.

ولكن الأجريتية تختلف عن العبرية والفينقية والآرامية ، وتتفق مع العربية بالنسبة للضمير المثنى .

ب) تتفق الأجريتية مع العربية وحدها فى وجود الموصول الدال (أو الذال) للمذكر والدال (أو الذال) مع التاء للمؤنث ؛ إنها ذو الطائية وتصريفاتها : ذو ، ذى، ذا للمذكر ، ثم : ذاتُ ، ذاتَ ، ذاتِ للمؤنث ، ويستخدم للجمع (ذت) ، وأغلب الظن أنها كانت تقرأ (ذوت) ، ولا يوجد من هذه المادة اللغوية اسم موصول فى العبرية .

جـ) التثنية من أهم السمات الواضحة فى الأجريتية على ما نجد فى العربية ، ولكنها صيغة محدودة الاستخدام فى العبرية والفينيقية ، تكاد تقتصر فيهما على الثنائيات الطبيعية ، فى الأجريتية نجد اطراد استخدام التعبير بصيغة المثنى ، وعلامتها الميم بعد صيغة المفرد ، دون ذكر العدد (أ ت ت م attm اثنين بمعنى زوجتين ، وكذلك (ب ت م btm) بمعنى بنتين ، وقد لاحظ جوردون أنه لاتكاد توجد لغة سامية تستخدم صيغة المثنى استخداما أوسع من الأجريتية ، ومن المناسب تعديل

هذه العبارة بأن نضع الأجريتية مع العربية ، فهما اللغتان الساميان اللتان تجيزان تكوين صيغة المثنى من أى مفرد للتعبير عن الثنائية ، ومن أمثلة ذلك :

ل ش ن م Lšnm = لسانان / لسانين

ي م م y m m = يومان / يومين

ح) لاحظ جوردون فى ضوء نصوص أجريتية مدونة بطريقة مقطعية ، على نحو ماورد فى نقوش آشورية، أن الأجريتية كانت تعرف التصرف الإعرابى :

- المفرد : الضمة للرفع ، الفتحة للنصب ، الكسرة للجر .

- المثنى : âm الرفع ، êm . للنصب والجر .

- جمع المؤنث السالم : âtu للرفع ، âti للنصب والجر .

- جمع المذكر السالم ûma للرفع ، îma للنصب والجر.

والتصرف الإعرابى من الخصائص التى تقرب الأجريتية من العربية والأكادية .

ط) أثبت جوردون فى خطاب أشورى من أجريت ورود ظاهرة الممنوع من الصرف ، فقد وردت كلمة أجريت مضافا إليه ولكنها كانت منتهية بفتحة (ú - ga - ri - ta)) ومعنى هذا أنها كانت تجر بالفتحة يضاف إلى ذلك أن الكتابة المقطعية بينت أن أسماء الأعلام المنتهية بألف ونون كانت أيضا ممنوعة من الصرف على النحو المألوف فى العربية ، ولا مقابل له فى العبرية .

خامسا : أهمية الأجريتية فى تاريخ المفردات العربية :

١ - تبدو الأجريتية فى أمثلة كثيرة ذات أهمية فى تأريخ كلمات عربية ، من ذلك كلة مِصْر. وهنا تظهر النقوش الأجريتية حاملة أقدم توثيق لاسم مِصْر المتداول

فى العربية . لقد أثبتت النقوش كلمة (م ص ر) والنسبة إليها (م ص ر ى) والجمع (م ص رى م) بمعنى المصرين.وقد وردت هذه الكلمات فى تراكيب متعددة من ذلك : (ب ن / م ص ر ى) أى ابن مصرى،ووردت صيغة الجمع فى عبارة ذات دلالة : (أ م ن / ال / م ص ر ى م) ، أى : آمون / إله المصريين . وهكذا يتضح من النقوش الأجريتية أن اسم مِصْر عمره - على أقل تقدير - ثلاثة آلاف وخمسمائة عام .

٢ - وهناك كلمات لها تاريخها القديم ودلالتها المتغيرة،كلمة (ق ر ت) وكذلك (ق ر ى ت) وردتا فى الأجريتية بمعنى المدينة ، وكثيرا ما دلت هذه الكلمة على مدينة أُجَرِيت . وقد وردت هذه الكلمة فى تراكيب مثل : (ب ن / ق ر ت) بمعنى ابن المدينة، وكذلك : (ب ن / ق ر ت م) ابن المدن . وهذه الكلمة لم يثبت ورودها قبل النقوش الأجريتية ، ولكن وجودها فى لغات أخرى - منها العربية والعبرية والفينيقية والآرامية - يؤكد كونها مشتركة.ولكن حدث لها فى العربية تغير دلالى مع أن المعاجم العربية ظلت تذكر المعنى القديم ، فى القاموس المحيط : القرية المصر الجامع ، والقريتان مكة والطائف ، وقرية الأنصار المدينة ، وقريب من هذه الكلمة نجد كلمة القارية بمعنى الحاضرة الجامعة ، هذه المعانى فى العربية تدور فى فلك المعنى القديم،كما هو فى الأجريتية . وقد حدث تحوّل دلالى فى العربية فأصبحت القرية تجمعًا مكانيًا صغيراً فى منطقة زراعية .

٣ - تشترك الأجريتية مع اللغات الأخرى فى مئات الكلمات التى تعد من الرصيد المشترك فى كل هذه اللغات ، إن أكثر الكلمات التى أثبت اللغوى الألمانى برجشتراسر وجودها مشتركة فى هذه اللغات نجدها فى الأجريتية كما نجدها فى العربية(٧) من ذلك الألفاظ الدالة على القرابة (أب) ، (أم)، (أخ)، (أ خ ت) ، (ب ن)، ونجد كلمة (أ ن ث) ، (أ ث ت) بمعنى أنثى . والحيوان مثل كلمة (ك ل ب) ،

---

٧ - انظر : G. Bergsträsser, Einführung in dire semitischen Sprachen, München : 1928, Neudruck 1963, S. 181 - 192.

وعلى النبات مثل كلمة (ب ق ل) ، (ح ط ت) بمعنى حِنْطة ، والفعل (ح ر ث)، ومن ذلك كلمات دالة على الأرض وما عليها (أرض) بالصاد مثل العبرية بمعنى الأرض ، (ب ء ر) بمعنى البئر، والألفاظ الدالة على أعضاء جسم الإنسان ، مثل (ر ء س) ، (أ ن پ) أو (أ پ) بمعنى أنف ، (أ ص ب ع ت) بمعنى أصابع، وهذه الكلمة هنا بصيغة جمع المؤنث السالم ، لأنه ليس فى الأجريتية جمع تكسير ، كما نجد كلمة (ب ى ت)، والكلمات الوظفية نجدها فى الأجريتية بوظائفها المألوفة فى هذه اللغات ، من ذلك (ب ع د) ، (ت ح ت) ، (ب ى ن) . وهذه الكلمات تُعد من وسائل تأصيل الكلمات العربية فى إطار علم اللغة المقارن ، وتعطى لمئات الكلمات تاريخًا قديمًا موثقًا.

٤ - مفردات اللغة الأجريتية لها أهميتها فى التأصيل المعجمى لكلمات عربية ، من ذلك الكلمات الآتية :

(إ ب) فى الأجريتية ، يقابلها (أ بّ) فى العربية بمعنى الفاكهة ، ولهذه الكلمة مقابل فى السريانية من هذه الحروف الأصول .

(أ ج ن) فى الأجريتية بمعنى النار ، ومن ذلك فى العربية (إجّانة)، ولهذه الكلمة أيضا مقابل فى السريانية من هذه الحروف الأصول .

(أ ج ر) فى الأجريتية تدل على التأجير، وهذه المادة موجودة أيضا فى السريانية.

(أ د م) فى الأجريتية تدل على الإنسان تدل على اللون الأحمر ، وكلا المعنيين وارد فى العربية والعبرية والحبشية .

(إ م ر) فى الأجريتية وفى العربية (إمَّر) الصغير من أولاد الضأن وهذه الكلمة واردة أيضا فى الأكادية والسريانية .

٥ - بعض الكلمات تدل الأجريتية على حروفها الأصول دلالة مباشرة وواضحة، وهى في العربية موجودة فى كلمات تكونت منها مع زوائد شتى ، كما يتضح من الكلمات الاتية :

(ر ج م) فى الأجريتية بمعنى كلمة ، كلام ، خبر، ولها ما يقابلها فى الأكادية والآرامية وعنها نعرف فى العربية كلمة : ترجمة ، ومن هنا يعدل الرأى الوارد فى القاموس المحيط بأن الفعل العربى تَرْجَمَ يدل على أصالة التاء .

(ث ن) فى الأجريتية بمعني تبّول ، ولها ما يقابلها فى العبرية والآرامية ، ومنها فى العربية كلمة مَثَانَة ، وكان القاموس المحيط قد جعلها من المادة (م ث ن) ، وتثبت الأجريتية أن الأصل التاريخى ثنائى .

٦ - هناك مثال لأهمية الأجريتية فى تأصيل كلمة مألوفة فى عامية شمال العراق وتثبت النقوش قدمها ، كلمة (أ ث ر (ي) م) فى الأجريتية تدل على اسم تلك الجماعة المعروفة حتى اليوم فى شمال العراق باسم الآشوريين ، وهذه الصيغة الدارجة هى الأقدم ، وليست الصيغة المألوفة فى الكتب ، الآشوريين .

سادسا : أهمية الأجريتية فى علم الدلالة المقارن :

١ - هناك كلمات أجريتية كثيرة لها لما يقابلها مع تغير دلالى فى العربية ، يتضح من الكلمات الآتية ذلك التغير الدلالى :

(أ هـ ل) تدل فى الأجريتية على معنى الخيمة ، وهذا المعنى واردة فى العبرية

والعربية الجنوبية ولكن المعنى فى العربية تحول إلى الدلالة على من كان فى الخيمة ، أى تدل على ذوى القربى والعشيرة .

(أ ث ر) تدل فى الأجريتية على السير وعلى المكان ، وهذه الدلالة نجدها فى العربية فى عبارة مثل : الدابة الأثيرة العظيمة الأثر فى الأرض بحافرها. والدلالة المكانية واردة فى العربية. ولكن تتابع الحركة المكانية أدى فى العربية إلى معنى التتابع الزمنى ، يقال خرج فى إثره ، وفى أثره ، أى بعده ، وهذا التركيب بهذا المعنى الزمنى فى السريانية أيضا .

(ب ع ل) فى الأجريتية بمعانى كثيرة : المالك ، السيد ، الزوج ، وكلها - مع الدلالة على المعبود الفينيقى (بعل)- معروفة فى العربية. ذكر القاموس المحيط عن بَعْل : صنم كان لقوم إلياس ، وملك من الملوك ورب الشىء ومالكه والثقل والزوج. وفى العربية يوصف ما تسقيه السماء بأنه بعْلى .

(ب دل) فى الأجريتية بمعنى وكيل تجارى ، وكان وجود هذه الكلمة إلى جانب كلمة أخرى من مادة (م ك ر) جعل الباحثين يحددون للكلمة الثانية معنى التاجر ، وللأولى معنى الوكيل أو البديل. وهذه الدلالة على صلة بما ذكره القاموس المحيط : البدّال بياع المأكولات ، والعامة تقول بقّال ، وبادَوْلي، ومن حيث التأصيل المعجمى ، وردت هذه المادة بهذا المعنى فى الأجريتية والعربية ولم ترد بهذا المعنى فى اللغات الأخرى .

(ب پ) فى الأجريتية بمعنى حرك ، ويقابلها فى العربية بمراعاة القوانين الصوتية (دفّ) وفى القاموس المحيط : ما دفّ أى حرك جناحيه من الطير كالحمام ، والدّفيف الدبيب والسير اللين ، وهذه المادة لم ترد فى اللغات السامية سوى فى العربية

والأجريتية .

(و غ ر) فى الأجريتية بمعنى اخترق ، وفى العربية الوَغْرة شدة الحر ، والوَغْر الحقد والتوقد من الغيظ . والوَغِير لحم يشترى على الرمضاء ، أوْغَر الماء سَخَّنَهُ وأغلاه، وهذه المادة لم ترد سوى فى الأجريتية والعربية .

(ع ل م) فى الأجريتية والعربية بمعنى عرف، وهذا المعنى لم يرد فى لغات سامية أخرى ، ففيها لهذه المادة دلالة أخرى تدل على العالَم والكون .

(إ ز م ل) فى الأجريتية بمعنى الثوب ، ومن ذلك فى العربية التزميل اللَّف فى الثوب ، تزمَّل تلفَّف .

(أ ب د) فى الأجريتية والأكادية والعبرية والسريانية بمعنى هلك ، ويبدو أن المقابل العربى كان بقلب مكانى ، (باد / يبيد) بمعنى ذهب وانقطع ، أو أن تكون هذه المادة فى تلك اللغات مرتبطة من حيث التأصيل والدلالة بالمادة (أ ب د) فى العربية : تأبَّدَ المنزل أقْفَرَ .

٢ - من هذا كله يتضح مدى الصلة بين الأجريتية والعربية ، وهناك مواد معجمية كثيرة لم يتمكن المتخصصون فى الأجريتية من تأصيلها إلا فى ضوء مواد لغوية عربية، من ذلك :

(د ن) فى الأجريتية يقابلها فى العربية : دُنَا / يَدْنُو .

(و ق ى) فى الأجريتية يقابلها فى العربية : وَقَى / يَقِى .

(غ ز ر) فى الأجريتية يقابلها فى العربية : غزر .

(غ ز) فى الأجريتية يقابلها فى العربية : غزَا / يَغْزُو.

(ص غ ر) فى الأجريتية يقابلها فى العربية : صغر .

(ر ث) فى الأجريتية يقابلها فى العربية : رثّ .

****

من هذا كله يتضح مدى العلاقة التاريخية بين الأجريتية والعربية ، وإذا عرفنا تاريخ النقوش الأجريتية نحو سنة ١٤٠٠ ق.م. فإن السمات المشتركة التى خرجت بها الجماعة اللغوية المهاجرة من جزيرة العرب إلى ساحل البحر المتوسط الشمالى هى تلك السمات التى نجدها فى اللغتين . احتفظت العربية والأجريتية بمجموعة الأصوات بين الأسنانية وبالتمييز بين العين والغين وبالتمييز بين الحاء والخاء،وهذه السمات حدث لها تغير كبير بعد ذلك فى العبرية والفينيقية ثم حدث لها تغير فى اتجاه ثان فى الآرامية. وهذه الفروق فى الوحدات الصوتية تجعل من الصعب جعل الأجريتية مع العبرية والفينيقية فى فرع واحد فى نسق اللغات السامية . وفى الوقت نفسه احتفظت الأجريتية بسمات تصريفية لم تعرفها العبرية والفينيقية ، من ذلك اطراد صيغة المثنى، ومثل التصرف الأعرابى للاسم المفرد ، وللاسم الجمع المذكر السالم ، وللاسم الجمع المؤنث السالم ، مع وجود شواهد على الممنوع من الصرف من أعلام الأماكن والكلمات المنتهية بألف ونون . وكلها ظواهر بعيدة عن نظام اللغة العبرية وتجعل الأجريتية أقرب إلى العربية،والأدلة المعجمية تجعل الأجريتية من أقرب اللغات إلى العربية .

وبعد فإن الأجريتبية بهذه الخصائص اللغوية المشتركة مع العربية تقرّبنا من تصور تلك المرحلة التاريخية. هاجرت جماعات عربية اللغة من جزيرة العرب إلى منطقة الساحل السوري الشمالي، واحتفظت بلغتها ، واحتكت بمصريين وآشوريين، وسجلت في النقوش صلاتها بهم، وعرفت منهم نظم الكتابة، وتجاوزت ذلك كله بابتكار نظام جديد،

ثم دونت لغتها بذلك الخط الأبجدى البسيط • أما اللهجات الكنعانية المختلفة فيبدو أنها تكونت فى ظروف مغايرة واختلاط شديد، فابتعدت عن اللغة الأم التى تمثلها العربية. ويبدو أن الأجريتيين وأمثالهم يعيدون إلينا ذِكْرَ من وَصَفَهُم المورخون العرب باسم العرب العَارِبَة.

الأسلوبية التعبيرية عند شارل بالى
أسسها ونقدُها

بقلم الدكتور
محي الدين محسب

مقدمة

يحاول هذا البحث أن يقدم تحليلاً منهجياً ونقدياً لمعطيات إحدى النظريات الأساسية فى الأسلوبية الحديثة ؛ وهى النظرية التعبيرية عند شارل بالي ، ولقد دفعنى إلى ذلك ما رأيته في المكتبة العربية الأسلوبية من حاجة ماسة إلى دراسة تبين الأسس المعرفية التى انطلقت منها هذه النظرية ، وتبين - فى الوقت نفسه - النقد الموجه إليها سواء على صعيد الاتجاهات الأسلوبية الأخرى ، أم على صعيد اقتناعات ومداخل يرى الباحث أن الاعتماد عليها هو أكثر جدوى بالنسبة للتحليل الأسلوبى .

ولقد كنت - خلال قيامي بتدريس مادة الأسلوب لثلاثة أعوام متتالية لطلاب قسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة الملك عبد العزيز السعودية - أشعر بإلحاح هذه الحاجة . فالدراسات الأسلوبية العربية - بصفة عامة - قليلة، ولم أجد من بينها - على قدر ما بحثت - الدراسة التى تعمد إلى تركيز الجهد حول الاتجاه الأسلوبى المعين ، فتعمق المعرفة به ، باستثناء الاتجاه الإحصائي الذي أمحض له الدكتور سعد مصلوح عدداً من دراساته . وقد كنا

- أنا وطلابي - نتلفت فلا نجد إلا دراسات تنتمي إلى منهجية في التأليف أسميتها في دراسة سابقة[1] : منهجية التعميم والنظر الأفقى إلى السياق الموسع macro-context في دراسة العلوم[2] . وبطبيعة الحال فإن هذه التسمية لا تنطوى على أي تضمين تعريضى . فهى - لا شك - دراسات مفيدة ومطلوبة في إعطاء صورة عامة ، سواء لتطور اتجاهات العلم ، أو لجملة القضايا التى يشتغل بها ولكن من المفيد والمطلوب أيضاً أن تكون هناك دراسات تعنى بالتركيز على البعد الرأسى المنصب على دراسة اتجاه معين من هذه الاتجاهات ، أو قضية مخصوصة من هذه القضايا . ولعل المثال الذي يمكن سوقه نموذجاً لهذا النمط الثانى من الدراسات - وهو مثال من مجال الدرس الأسلوبي - تلك الدراسة التي أنجزها قيلي فان بير حول نظرية الأمامية foregrounding فى الأسلوبية[3] ؛ حيث تتبع هذا المفهوم منذ نشأته فى الشكلية الروسية ، وتطويره فى مدرسة براغ ، إلى تطوره اللاحق فى الأسلوبية الإنجليزية ، وفى نظرية الشعرية عموماً . ثم قام بعدد من التجارب الاختيارية على مدونة من النصوص الشعرية .

(١) انظر : د. محيى الدين محسب ، ١٩٩٢ ، ص ٣ : التحليل الدلالي في كتاب الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري : دراسة في البنية الدلالية لمعجم العربية . ميراناس - القاهرة .

(٢) من أمثلة هذه الدراسات :

* د. عبد السلام المسدي ، ١٩٨٢ : الأسلوبية والأسلوب . الدار العربية للكتاب .
* د. شكري عياد ، ١٩٨٣ : مدخل إلى علم الأسلوب ، دار العلوم للطباعة والنشر - الرياض .
* د. صلاح فضل ، ١٩٨٨ : علم الأسلوب : مبادئه وإجراءاته . النادي الأدبي الثقافي - جدة .
* د. منذر عياشي ، ١٩٩٠ : مقالات في الأسلوبية . اتحاد الكتاب العرب - دمشق .
* د. أحمد درويش ، (بدون تاريخ) : دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث - مكتبة الزهراء - القاهرة .

(3) Peer, W. V., 1986 : STYLISTICS AND PSYCHOLOGY: Investigations of foregrounding,Croom Helm. London.

يحاول هذا البحث إذن أن يقدم إحاطة بتصور بالي للدرس الأسلوبي . ولما كان هذا التصور وليد سياق معرفي فقد كان ثمة محاولة لربطه بهذا السياق ومن ثم أعطيت نبذة حول مفهوم «الأسلوب» قبل بالي ، ثم تلا ذلك قدر مفصل رأى الباحث كفايته لتبيان الأسس اللسانية التي أقامها دوسوسير ، والتي أثرت على تشكيل بالي لصورة هذا العلم الجديد آنذاك . ثم عمد البحث إلى الكشف عن أوجه التوافق المعرفي بين لسانيات دوسوسير وأسلوبية بالي ، ثم إلى تفصيل القول حول الموارد التعبيرية ؛ سواء التعبيرية الكامنة في مستويات بنية اللغة ، أم في تشكلات استعمالها الاجتماعي . وأخيراً انتهى البحث إلى رصد تقويمي نقدي للأسس التي انطلقت منها تعبيرية بالي ، وللمعطيات التي أفضت إليها .

ولقد حاول البحث خلال هذا المسار أن يعطي من النماذج التطبيقية ما يوضح الأفكار المثارة في النقاش . ففي عرض الموارد التعبيرية عند بالي ساق البحث أمثلة من بعض الأعمال الروائية ، دون أن نوجه هذه الأمثلة إلى محاولة ربطها بسياقها النصي ، أو مغزاها الأسلوبي ؛ لئلا يتعارض ذلك مع رؤية بالي التي يذهب فيها إلى أننا «عندما نختبر درجة توافق تعبير معين مع الإيقاع العام للعمل فإننا نمارس عندئذ علم الجمال الأدبي والنقدي لا علم الأسلوب»[1] ، ومن ثم فإن دور النصوص الأدبية بالنسبة لعلم الأسلوب يقتصر عنده على أنه «مصادر» فحسب .

أما في محور النقد والتقويم فقد حاولت - من خلال بعض النماذج الشعرية - أن أقدم تصوري للأسلوب من جهة ارتباطه بالسياق والمغزى ، وليس بمعايير صورية ومطلقة .

(١) انظر : د. صلاح فضل ، سبق ذكره ، ص ٣٩ .

وبطبيعة الحال فإن اختيار الكتابة حول موضوع ما إنما ينطوي - بشكل ضمني أو صريح - على موقف من هذا الموضوع . فكما أنه ليس ثمة «قراءة بريئة» ، فليس ثمة أيضاً كتابة بريئة ؛ وذلك - ببساطة - لأن الكتابة قراءة . ووفق هذا التصور فقد كانت وجهة النظر التى تبناها الباحث إزاء المنهج التعبيري عامة ، وإزاءه متجسداً في أسلوبية بالي خاصة ، هى امتدا لما تبناه في دراسة سابقة قامت على مبدأ (التحليل الأسلوب التزامنى للنص)(1) . ولقد تبلور هذا الامتداد في النظر إلى الرسالة اللغوية برؤية تخالف تلك النزعة الاختزالية التي تتبدى فى ثنائية المعنى المعرفي ، أو الاتصالي ، والمعنى التعبيري. وقوام هذه الرؤية هو أن الرسالة اللغوية تحمل دائماً طبقات من المغزى بقدر ما يحملها السياق ، وبقدر ما تتعدد بؤر الاهتمام التي يركزها عليها مستقبلها . وبصياغة اخرى يمكن القول أن الرسالة اللغوية جهاز لإنتاج المغزى، وبؤرة الاهتمام جهاز لإنتاج التأويل ، والذي يتحكم في الجهازين هو سياق النص بمعناه الواسع حيث يشمل كفاءة المستقبل(2) - الذي يقلص عملية إنتاج المغزى والتأويل ، أو يضاعفها . واعتقد أن الأسلوبية التي ادعى موتها يوما ما(3) - يمكن أن تجني من ثمار هذا التصور ما يجعلها جديرة بالبقاء . ولعله قد يكون كافياً لسياق هذه المقدمة أن تنص على ثمرتين :

فهذا التصور - أولاً - يحل إشكال افتقاد المعيار ، وافتقاد كيفية القياس ، فى التقسيم الثنائى إلى : معنى معرفي ومعنى تعبيري ، أو دلالة صريحة ودلالة

(1) انظر : د. محيي الدين محسب ، ١٩٩٤ : التحليل الأسلوبي التزامني مع قراءة تطبيقية على قصيدة «أنوار المدينة» للشاعر إبراهيم ناجي. ضمن كتاب تذكاري أصدره مركز اللغة العربية بكلية الآداب - جامعة القاهرة تكريما لفولفديترش فيشر، ١٩٩٥ .

(2) انظر السابق حول مفهوم الكفاءة بأنواعها المختلفة .

(3) انظر (إشارة لذلك فى : كنراد بيرو - تعريب : عبد الله صولة - ص ١٣٠ : الأسلوب والأسلوبية . مجلة علامات ج٩ م ٣ سبتمبر ١٩٩٣ - النادي الأدبي الثقافي بجدة .

إيحائية . فالمعيار في هذا التصور هو أن كل استعمال يحمل مغزى مرجعه سياق هذا الاستعمال .

وهذا التصور - ثانياً - يكشف عن أن الأسلوب ظاهرة مرجعها سياق الاستعمال وليس مرجعها النظام اللغوي المجرد ، وبالتالي فهو - أي هذا التصور - يحرر الأسلوب من هذه السلطة التي حصرته في كونه «اختياراً» مما يسمح به هذا النظام ، أو في كونه «انحرافاً» عنه . وذلك لأن كل استعمال لغوي إنما هو تحقيق لغاية أسلوبية .

ولقد كان هذا التصور ماثلاً وراء محور المعالجة التقويمية النقدية التي أدارها هذا البحث حول تعبيرية بالي .

مدخل : الأسلوب قبل بالي

لقد كان مصطلح الأسلوب style وكذلك مصطلح الأسلوبية stylistics[1] مصطلحين قائمين قبل أن ينشىء بالـي ما يعد أول دراسة علمية لمعالجة الظاهرة تحتى مـسمى «الأسلوبـية» . وفى رصده لدلالـيات هذا المصـطلح في الشـقافة الغربية يذكر سيمور شاتمان[2] أنه - أى المصطلح - قد تـعرض - فى مسار هذه الثقافة - إلى عدد من التعميمات الدلالية .

ومن بين هذه التعـميمات تحول الكلمة من مجرد الـدلالة على تلك الأداة التي يكتب بـها على ألواح شمعية معيـنة إلى الدلالة على الوظيفـة التي تؤديها تلك الأداة ؛ وهى وظيفة الكتابة . ومن ثم أصبح الكاتب الذي يتميز في هذه الوظيفة شخصاً ممـتدحاً . ولقد قاد ذلك إلى دلالة الكلمة على «طـريقة التعبير التي تميز كاتباً معيناً» . ومرة أخرى نواجـه نوعاً من التعميم الدلالي : فالكاتب الذي يصل إلى «الإجادة» لابـد أن يكون متميزاً ومختلفـاً عن غيره . ومن ثم فإن فكرة «الاختلافـات والتمايزات» أصبحت مرادفة لفـكرة «الأساليب» . من خلال تطور هذه الفكرة انبثق مفهوم يرى أن الأسلوب هو «الطريقة الفردية فى إنجاز أمر ما» . ثم مـن خلال المزج بين هذين المفهـومين ؛ أي دلالة الأسلوب على الطـريقة الجيدة ، ودلالته عـلى الطريقة الـفردية فى الإنجاز انبثـق مفهوم

(١) يذكر ستيفن اولمان أن مصطلح stylistics يعود إلى الفترة الرومانسـية : فالمصطلح الألماني Stilistik كان شائعاً منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر ، والاسم الإنجليزي stylistic - بصيغة المفرد - ترد له شـواهد تعود إلـى سنة ١٨٤٦ م ، والفـرنسي stylistique يرد فى معجـم ليتر Littre سنة ١٨٧٢م ، ومع ذلك فإن قيام علم للأسلوب لم يتم إلا في مطلع قرننا الحالى - انظر :
Ullmann. S., 1966, P. 100 : LANGUAFE AND STYLE. Basil Blackwell. Oxford

(٢) انظر :
Chatman, S., 1971 pp. 399-422: THE SEMANTICS OF STYLE. in : Kristeva, J., et al (eds.): ESSAYS IN SEMIOTICS. Mouton, The Jague-Paris

ثالث يتمثل في اتخاذ مصطلح الأسلوب التعريف التالي : «الأسلوب هو تلك الملامح التي توجد في التأليف الأدبي ، وتنتمي إلى الشكل والتعبير ، وليس إلى جوهر الفكر ، أو الموضوع المعبر عنه» .

ولقد قاد ذلك إلى تطور المصطلح ليرادف مفهوم «الشكل» ، ثم ليأخذ عند الكلاسيكيين الجدد دلالة «التزيين والحلية» التي تضاف إلى العمل الأدبي فتحسنه . ولقد ظلت هذه الفكرة هي السائدة حتى قامت المدرسة الرومانسية في أواخر القرن الثامن عشر وخلال القرن التاسع عشر لتتبنى مقولات مغايرة لمفاهيم الكلاسيكية الجديدة . ويطلق الدارسون على وجهة النظر الرومانسية في «الأسلوب» مسمى «النظرية العضوية» organic theory[١] . ولعل أوضح تعبير عن هذه النظرية هو قول كولريدج : «إذا كنا نبحث عن تعريف القصيدة الحقة فإنني أقول بأنها ينبغي أن تكون عملاً تتآزر أجزاؤه ، ويفسر أحدها الآخر ، وينسجم كل منها ويتساند» . وكذلك قوله «ليس باستطاعتك أن تحصل على لذة حقيقية دائمة في أي عمل من الأعمال دون أن يكون منبثقاً من طبيعة هذا العمل بكليته»[٢] .

وبطبيعة الحال فإن ما نقصده من إيراد هذه الخطوط العريضة ليس استقصاء مدققاً لتطورات مفهوم الأسلوب قبل أن ينشىء بالي ما نسميه الآن بعلم الأسلوب الحديث . فما نقصده هو أن هذه التطورات التي تعرض لها المصطلح كانت تمثل اجتهادات معرفية حاولت القبض على كنه ظاهرة الأسلوب . فتارة

---

(١) انظر مادة style في :
Premingger, A., (ed.) 1974: PRINCETON ENCYCLOPEDIA OF POETRY AND POETICS. Princeton University Press.

(٢) للمزيد من التفصيل حول عبارات كولريدج هذه انظر : ديفيد ديتشس ، ترجمة : د. محمد يوسف نجم ١٩٦٧م – ص ١٥٦ – ١٦٨ : مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق . دار صادر – بيروت .

نُظِرَ إلى الظاهرة من زاوية ثنائية العام والخاص ؛ لتكون أعلق بالقطب الثاني من حيث كونها تجلياً للتمايز والخصوصية في إنتاج نشاط ما . وتارة نظر إليها من زاوية ثنائية الشكل والمضمون ؛ لتكون أعلق بالطرف الأول من هذه الثنائية عند الكلاسيكيين ، وبالوحدة العضوية بين الطرفين عند الرومانسيين . ولقد كانت هذه الاجتهادات وغيرها - من إسهامات مجالات معرفية أخرى - بين يدي بالي (١٨٦٥ - ١٩٤٧م) الذي رأى أن الظاهرة تستحق أن يفرد لها علم خاص .

ولأن الأفكار لا تموت ، وإنما تتحور ويستولد منها غيرها ، فإننا سنرى في أسلوبية بالي بعض أوجه الشبه وبعض أوجه المفارقة مع هذه التطورات السابقة . فأمام ثنائية العام والخاص سنجد أن أسلوبية بالي قد مالت إلى الطرف الأول . كذلك سوف نجد أن ثمة التقاء بين أسلوبية بالي ومفهوم الأسلوب عند الكلاسيكيين ، الأمر الذي جعل ليتش وشورت يضعان الاتجاهين تحت مسمى «النظرية الثنائية» في الأسلوب[1] . كذلك يمكن أن نجد وجه التقاء بين مفهوم الأسلوب عند الرومانسيين ومفهومه عند أحد الاتجاهات الأسلوبية التي انتقدت النظرية الثنائية ؛ وهو الاتجاه الذي أطلق عليه ليتش وشروت مسمى «النظرية التوحيدية»[2] .

ومع ذلك فإن المجال الذي كان له التأثير الأقوى في تشكيل بالي لصورة هذا العلم الجديد لم يكن كامناً في هذه الجذور العميقة التي تفرق فيها دم الأسلوب بين قبائل المذاهب الأدبية تارة ، وبين سطوة المعايير البلاغية تارة أخرى . لقد كان مجال اللسانيات هو المجال صاحب ذلك التأثير الأقوى .

(1) Leech, G., & Short, M., 1981, p. 19 : STYLE IN FICTION> Longman-London.

(2) Ibid. pp. 24-26 .

ومن المهم في هذا السياق أن نشير إلى أن بالي لم يكن بعيداً عن تلك الثورة المنهجية التي كانت اللسانيات تمر بها في مطلع القرن العشرين . فهو أحد تلاميذ رائد هذه الثورة : فردينان دوسوسير (١٨٥٧ - ١٩١٣م) ، وهو أحد اثنين - الثاني هو : سيشهي Sechehaye - قاما بجمع محاضرات أستاذهما ليصدراها تحت هذا العنوان الشهير "Course de linguistique génerale" ، ثم هو خليفة أستاذه على مقعد تدريس اللسانيات في جامعة جنيف . ومن ثم فإن من المشروع تماماً أن نفحص أسس هذه الثورة المنهجية اللسانية حتى يتبين لنا كيفية تغلغلها وتداخلها في أسس أسلوبية بالي .

الإطار اللساني

على الرغم من محاولة بعض مؤرخي اللسانيات إرجاع بعض الأفكار التي قال بها دوسوسير إلى أصول سابقة ، وبخاصة في أعمال مفكري المثالية الرومانسية الألمانية مثل هيردر وهمبولت وغيرهما ، فإن ريادة دوسوسير للسانيات الحديثة - من حيث تأثيره في تحولها المنهجي بشكل يكاد يكون جذرياً - من الأمور الثابتة . فلسانيات دوسوسير هي التي أحدثت تأثيراً حقيقياً في التحول عن المنهج التاريخي الذي كان سانداً في لسانيات القرن التاسع عشر . ولقد كان الصلب المعرفي الذي شكل قوام التفكير اللساني التاريخي هو الاعتقاد في قيمة النظرة التطورية . في حين كان الصلب المعرفي الذي شكل جوهر تلك الثورة الجديدة هو الاعتقاد في قيمة النظرة إلى معطيات الحالة الآنية. وبعبارة وجيزة نقول إن لسانيات دوسوسير كانت أحد مظاهر التحول المعرفي الشامل من الفلسفة التاريخية إلى الفلسفة الوضعية .

لقد انطلق دوسوسير من أن اللغة - أي لغة - ما هي إلا نظام علاقي فريد. ومن ثم فإن أي وحدة لغوية : كالصوت ، أو الكلمة ، أو المعنى ، لا نكتسب قيمتها ووجودها إلا من خلال علاقاتها بالوحدات الأخرى داخل النظام اللغوي المعين . وبالتالي فإن النظرة المنهجية إلى هذه الوحدات يجب أن تتمثل كونها نقاطاً في نظام تربط بينها شبكة من علاقات التقابل والاختلاف[1] . ولقد قادت هذه النظرة دوسوسير إلى القول بأن مهمة اللسانيات الحقيقية هي وصف اللغة ، وضبط قواعد استعمالها ، في حالة معينة من حالاتها .

---

(١) انظر تحليل فكرة «القيمة» عند دوسوسير ، وربطها بفكرة القيمة في الاقتصاد السياسي ، في :
Silverman, D., & Torode, B., 1980, pp. 254-56: THE MATERIAL WORD: some theories of language and its limits. Routledge & Kegan Paul-London.

وفي سبيل الوصول إلى ذلك الوصف وهذا الضبط قدم دوسوسير عدداً من محاور التفريق بين ثنائيات متقابلة اشتهرت في الدرس اللساني باسم «الثنائيات السوسيرية» The Saussurean dichotomies[1] . وكان من أهم هذه الثنائيات .

ا - اللغة والكلام langue & Parole

اللغة - كما في قولنا : اللغة العربية ، أو اللغة الإنجليزية ، أو اللغة الألمانية . . . إلخ - تعني عند دوسوسير[2] ذلك النظام الموجود في أدمغة أعضاء المجتمع الذين يستخدمون هذه اللغة . وهذا النظام لا يملكه الفرد الواحد ، وإنما هو أمر جماعي يتوزع على كل أعضاء هذا المجتمع . وبعبارة أخرى فإن اللغة هى تلك المجموعة المتنظمة المنسجمة مع نفسها من الرموز والعلاقات التي تصطلح عليها الجماعة ، ويشترك في استعمالها جميع أفراد تلك الجماعة . ومن هذا المنطلق فإن دوسوسير يرى أن اللغة «واقعة اجتماعية» وليس «فردية» ، وبهذا الاعتبار يمكن - في منظوره - أن تدرس دراسة علمية حقيقية من حيث إمكان إخضاع ظواهرها للتصنيفات التعميمية ، والوصول إلى العلاقات الداخلية لبنيتها ، أو لـ «شفرتها» .

أما «الكلام» فهو ذلك النشاط الفردي الذي يقوم به عضو المجتمع اللغوي معتمداً على الاختيارات والبدائل الممكنة التي تقدمها له شفرة اللغة . ولأن الكلام مرتبط بالاستعمال الفردي فإنه - عند دوسوسير - يبدو مظهراً متشعباً

(١) انظر :

Lyons, J., 1977, V. 1, pp. 239-45 : SEMANTICS Cambridge University Press.

(٢) دوسوسير ، ترجمة صالح القرمادي (+خ) - ١٩٨٥م ، ص ٤٢ وما بعدها : دروس في الألسنية العامة - الدار العربية للكتاب - تونس .

متنافر المقومات ، وبالتالي فهو غير خاضع للدراسة العلمية المنهجية . ومن ثم تبقى «اللغة» هى الموضوع الوحيد للسانيات[1] .

ومن الواضح أن هذا التفريق الذي يطرحه دوسوسير إنما هو تفريق بين النظام اللغوي المجرد ، من جهة ، والأداء الفردي الذي يظهر على ألسنة أصحاب هذا النظام ، من الجهة الأخرى . وفي إطار هذا التفريق يصبح «الكلام» اختياراً من بدائل ممكنة في النظام . وسوف نرى الكيفية التي تجلى بها هذا التفريق في أسلوبية بالي ، وبخاصة في تشكيل مفهوم «الاختيار» .

ب - المادة والشكل : substance & form

هذه الثنائية أمر جوهري في منهج دوسوسير . ومن خلالها قدم نظريته القائلة بأن اللغة لا يمكن إلا أن تكون نظاماً من القيم ينشىء نفسه بين كتلتين مبهمتين غير واضحتى المعالم هما : الأفكار والأصوات . وفي سياق تشبيهاته الشهيرة يشبه دوسوسير اللغة بـ «الموج» الذي يعطينا فكرة عن اتصال الماء بالهواء ولكنه هو نفسه ليس الماء وليس الهواء . وقياساً على ذلك فإن اللغة ليست هى «الأفكار» وليست هى «الأصوات» ، بل هى التحام مادة الفكر بمادة الصوت . وذلك الالتحام هو ما يتجسد شكلاً في صورة لغة معينة . وفي صورة تشبيهية أخرى يقول دوسوسير : «يمكننا أن نشبه اللغة بورقة يمثل الفكر وجهها والصوت قفاها ، فلا نستطيع أن نقطع الوجه بدون أن نقطع في الوقت نفسه القفا»[2] .

والنقطة المهمة في هذه الثنائية أن اللغة - في مفهوم دوسوسير - تعد «شكلاً» وليس «مادة» . وذلك يعنى - مثلاً - أن التكوين الصوتيمي لكلمة ما

(١) السابق - ص ٤٢ .

(٢) السابق .

إنما هو مركب complex من «الصوتيمات» phonemes التي يكتسب كل منها جوهره ووجوده من الشكل الذي يفرضه النظام اللغوي على مادة الصوت . وكذلك فإن معنى أي وحدة معجمية lexeme إنما هو فرض شكل ما - بصورة اعتباطية - على مادة الفكر السديمية الغامضة ، من قبل مجتمع ما أو جماعة ما .

وفي إطار هذه النظرة إلى اللغة بوصفها شكلاً فإن قيمة أى عنصر لغوي لا تقوم ولا تتحدد إلا من خلال اختلافه عن شكل العناصر الأخرى التي تقع معه فى أحد مستويات اللغة . ولقد اشتهرت هذه الفكرة في الدرس اللساني باسم «مبدأ القيم الخلافية» . وأهم ما أفضى إليه هذا المبدأ هو فكرة استقلال كل نظام لغوي بشكله[1] الخاص ، أو لنقل ببنيته الداخلية التي لا يشبهه فيها نظام لغوي آخر . وسنجد فيما يلي من هذا البحث كيف أن بالي اعتمد على هذا المبدأ في نظرته - مثلاً - إلى علم الأسلوب المقارن ، بل في نظرته إلى مفهوم الأسلوب نفسه من جهة علاقته بحساسية المتكلمين بلغة معينة .

ج - المحور الافقي والمحرر الراسي : syntagmatic & paradigmatic

وهذه الثنائية تختص بتحديد العلاقات القائمة بين وحدات النظام اللغوي . ففي كل مركب لغوي تنشأ علاقات أفقية بين كل وحدة لغوية والوحدات المجاورة لها في سلسلة هذا المركب . وأبرز سمات هذه العلاقة أنه لا يمكن النطق بعنصرين لغويين معاً في وقت واحد . كما أن أي عنصر لا يكتسب قيمته إلا بفضل اختلافه - صوتيماً أو صرفيماً أو نحوياً أو دلالياً - عما هو سابق له

(٢) تجدر الإشارة هنا إلى أن مفهوم «الشكل» عند دوسوسير لا يتعلق فقط بجانب الدال signifier وإنما أيضاً بجانب المدلول signified ؛ فالمفاهيم التي تجسدها لغة معينة إنما هى فرض شكل معين على مادة الفكر التي هى ملكة إنسانية عامة .

أو لاحق من العناصر الأخرى . كذلك تتسم هذه العلاقة بأن عناصرها يمكن إدراكها من خلال حضورها وتجسدها - بشكل تعاقبي - في سلسلة المركب اللغوي ؛ ومن ثم يمكن ضبط هذه العناصر ومعرفتها بطريقة تصنيفية دقيقة .

أما المحور الرأسي فيقوم على أن ثمة علاقات استدعائية بين وحدات النظام اللغوي . وتتعدد أوجه هذا الاستدعاء بالترادف أو بالتباين أو بالتقال أو بالتضاد أو بالخصوص أو بالعموم . . . إلخ ، ومن ثم فهناك دائماً إمكان استبدال وحدة لغوية بأخرى مادامتا ترتبطان بوجه من هذه الوجوه ، أو مادامتا تقعان في زمرة set واحدة .

ولا شك أن وجود هذا الإمكان الاستبدالي يتصل اتصالاً وثيقاً بفكرة «الاختيار» التي ستحتل حيزاً مرموقاً في الدرس الأسلوبي . على أن ما يعنينا هنا هو أن نشير إلى بعض خصائص هذه العلاقة . وأولى هذه الخصائص هى أن العلاقة الاستدعائية تجمع بين عدد من العناصر بصورة غيابية ، بمعنى أن هذه العناصر ليست ماثلة في الصورة المتحققة للمركب اللغوي ، وإنما هى كامنة في شفرة النظام ؛ أي في اللغة . ومن ثم ينتج عن ذلك الخصيصة الثانية ؛ وهى أن هذه العلاقة لا تخضع لترتيب معين ، وغالباً ما تتسم بطبيعة فردية نظراً لما يحيط بـ «الاستدعاء» من عوامل نفسية أو مقامية . ثم تأتي الخصيصة الثالثة متولدة عن الخصيصتين السابقتين ، وهى أن عدد عناصر العلاقة الاستدعائية غير معلوم ؛ وبالتالي لا يمكن إخضاعها للملاحظة والتصنيف . ولقد كانت هذه العلاقة إحدى الإشكاليات التي واجهتها - كما سنرى - أسلوبية بالي .

التوافق المعرفي

في هذا الإطار اللساني نشأت أسلوبية بالي . وبالتالي يصبح من المنطقي أن نبحث عن أصداء ذلك الإطار في هذه الأسلوبية التي عرفت باسم «الأسلوبية التعبيرية» أو «الأسلوبية الوصفية» . ولعل هذه التسمية الثانية تتسق مع تسمية لسانيات دوسوسير - أيضاً - بـ «اللسانيات الوصفية» . وفي هذا الاتساق يكمن الأساس المعرفي الجامع بين أسلوبية بالي ولسانيات دوسوسير من جهة أن كلتيهما تمثلان توجهاً مضاداً للمنهج التاريخي ، وللفلسفة التطورية الكامنة وراءه . وفي هذا السياق نجد بالي يحمل على هذا المنهج على أساس أن «التاريخ لا وجود له بالنسبة للوعي اللغوي»[1] ، وأنه إذا كانت مهمة علم الأسلوب هى «أن ندرس بطريق التأمل الاستبطاني العلاقات القائمة بين أشكال الفكر والعبارة عنها» فإن «جميع الاعتبارات التاريخية لا محل لها أو هى على الأصح مستحيلة»[2] .

إن بالي يبني هذا التصور على أساس التفسير نفسه الذي بنى عليه دوسوسير منهجه الوصفي . وهذا التفسير يقوم على أن اكتشاف نظامية اللغة لا يمكن أن يتم إلا بدراستها - بشكل تزامني - في حالة معينة من حالاتها . ويصوغ بالي هذا التفسير على النحو التالي «إن الذي يتكلم لغته لا يعيش في الماضي ، بل في الحاضر الأدنى ؛ فكل الارتباطات التي يخلقها الاستعمال الحي للغة الأم متزامنة ، أنشأتها جميعاً حالة واحدة للغة ، هذه الحالة تتألف من شبكة من الارتباطات اللغوية توجد بصور متماثلة إلى حد كبير لدى سائر المتكلمين باللغة[3] .

---

(١) شارل بالي : علم الأسلوب وعلم اللغة العام - ترجمة د. شكري عياد - ١٩٨٥ - ص ٣٦ - دار العلوم للطباعة والنشر - الرياض . (نشير إليه فيما يلي بـ : بالي) .

(٢) السابق - ص ٤٧ .

(٣) السابق - ص ٤٧ .

ومن الواضح أن العبارة الأخيرة تكاد تعيد جوهر تعريف دوسوسير للطرف الأول من ثنائية اللغة / الكلام ، وهو التعريف الذي قامت عليه فكرة أن اللغة واقعة اجتماعية يمتلكها جميع أعضاء الجماعة المستعملة لها ، ولا يمتلكها الفرد الواحد . ولقد كان تأكيد بالي على هذا الوجود الجمعي للغة واضحاً في جعله مهمة الأسلوبية هي الكشف عن «الوقائع التعبيرية» داخل «الأوساط التي تختص بها ، والمناسبات التي تصلح بها ، والأغراض التي تدعو إلى اختيارها، وذلك في حالة حالة»[1] . بل إن هذا التأكيد يبدو بصورة أوضح حين يحصر بالي اهتمام علم الأسلوب في «التعبير المسموع حين يدل على وسط اجتماعي (قطاع شعبي مثلاً) أو على صورة محددة أو عامة من صور الحياة (كالسن ، الطفولة مثلاً) أو على صورة خاصة من صور الفكر (التفكير العلمي مثلاً)»[2] .

لقد كان الهدف الذي سعى إليه بالي هو تقديم دراسة منظمة systemic للخصائص الوجدانية - التي أسماها فيما بعد : الخصائص التعبيرية[3] - القارة في الاستعمال الحي للغة . فهذه الخصائص القارة هي التي يمكن وضعها في صورة «نماذج» يمكن تحليل محتواها ووقائعها الأسلوبية التعبيرية . وبالتالي فإن أسلوبية بالي لا تتعلق بظواهر التعبير لدى فرد متكلم معين إلا بالقدر الذي يمثل فيه استعماله اللغوي «واقعة» تعبيرية يمكن نمذجتها . وبذلك يكون بالي قد استبعد أحد المفاهيم الرئيسية التي أعطيت - قبله - لمصطلح الأسلوب ، وهو المفهوم الذي أشرت إليه سابقاً ، وتمثل في تعريف الأسلوب بأنه «الطريقة الفردية في إنجاز أمر ما» . وبعبارة وجيزة نقول إن أسلوبية بالي قد

---

(١) السابق - ص ٢٤ - ٢٥ .

(٢) السابق - ص ٢٨ .

(٣) انظر : Ullmann, S., op. cit., p. 101

نظرت إلى الأسلوب على أنه «أسلوب الجماعة الاجتماعية» وليس «كلام» الفرد بخصائصه الذاتية .

ومن أجل التأسيس لقيام دراسة منظمة لـ «نماذج» الوقائع الأسلوبية فقد فرق بالي بين جانبين من المعنى :

المعنى المفهومي le sens notionne

والقيم الوجدانية التأثيرية valeurs affective

وجعل مهمة علم الأسلوب هى دراسة نماذج هذه القيم التأثيرية الكامنة في اللغة بوصفها ذات وجود نظامي اجتماعي حي . ولا شك أن هذه التفرقة تقودنا إلى قضية أصل ؛ هى قضية علاقة اللغة بالفكر ، أو لنقل قضية الدلالة اللغوية . ولقد رأينا كيف ربط دوسوسير بين اللغة والفكر ، وذلك من خلال مناقشة ثنائية المادة والشكل عنده : فـ «ليس في اللغة الطبيعية شيء يمكن أن يعد بأكمله فكرياً محضاً»[1] ، وإنما هناك أيضاً تلك الجوانب التعبيرية التي تكشف عن حركات الشعور لدى المتكلمين ، وتثير الانطباعات لدى المخاطبين. وإذا كان علم الأسلوب يهدف إلى دراسة اللغة «في علاقتها بالحياة الواقعية»[2] فإن «معنى ذلك أن الفكر الذي يلتمس تعبيره فيها لا يكاد يخلو من صبغة وجدانية»[3] .

ومن الواضح أن بالي - هنا - لا يفصل بين «الفكر» و «الشعور» على أساس أن كلاً منهما يمثل منطقة مستقلة عن الآخر . بل على العكس من ذلك. فهو يؤكد ارتباطهما على أساس أن أي مسلك تعبيري إنما يحمل في

---

(١) بالي - ص ٢٦ .

(٢) السابق - ص ٢٩ .

(٣) السابق - ص ٢٩ .

طياته دائماً عنصراً فكرياً وعنـصراً وجدانياً : يقول بالي «لم أزعم قط . . . أن لغة الوجدان لها وجود مسـتقل عن لغة العقل»[1] . وبالتالي فـإنه يرى أن علم الأسلوب ينبغي أن يدرس اللغتين معاً «في علاقتهما المتبادلة ، ويبحث نسبة كل واحدة إلى الأخرى في تكوين هذا النـمط أو ذاك من أنماط التعبير»[2] . ولعل هذه النقطـة ستكون من أكثر النقـاط إثارة للجدل في أسلوبيـة بالي ، وهذا ما سيتضح عند الحديث عن النقد الموجه إلى هذه الأسلوبية .

وإذا كان ما سبق يمثل محاولة لتبيان الأسس المعرفية العامة التي انطلق منها بالي ، فإن البحث يعمد الآن إلى محاولة أخـرى تستهدف الكشف عن الكيفية التي فصل بها القول حول الجوانب التعبيرية للغة .

(١) السابق -ص ٣١ - ٣٢ .

(٢) السابق - ص ٣٢ .

موارد التعبيرية

تستمد اللغة تعبيرتها - عند بالي - من مصدرين هما :

أ - المؤثرات الطبيعية .

ب - المؤثرات الاستدعائية .

وهذان المصدران يحتاجان إلى فضل بيان :

أ - المؤثرات الطبيعية :

وهي مؤثرات قارة في طبيعة بعض الأشكال اللغوية التي تحمل بذاتها خصائص تعبيرية معينة . وتتوزع هذه الأشكال على مستويات البنية اللغوية الثلاثة : الصوتي والصرفي والتركيبي . وبالتالي فإن الأسلوبية التعبيرية تنقسم عند بالي إلى ثلاثة علوم فرعية يتعلق الأول بتعبيرية الأصوات ، والثاني بتعبيرية متن اللغة ، والثالث بتعبيرية التراكيب . وسنتناول هذه العلوم الثلاثة تحت عناوين : الأسلوبية الصوتيمية ، والأسلوبية الصرفيمية ، والأسلوبية التركيبية ، وهي عناوين استخدمها ستيفن أولمان في كتابه «اللغة والأسلوب»[(١)] .

١ - الأسلوبية الصوتيمية phonostylistics :

وهي تعالج الإمكانات التعبيرية التي تحملها التكوينات الصوتية وفق خصائصها المخرجية والفيزيائية والتوزيعية . ويندرج تحت هذه التعبيرية الصوتية عدد جم من الظواهر تبدأ من استغلال العلاقة الطبيعية بين الصوت والمعنى في

---

(١) انظر : Ullmann, S., op. cit., p. 111

(١) انظر في تعريف مفهوم «السجل» : الأسلوبية وعلم الدلالة - ستيفن أولمان = ترجمة وتعليق د. محيي الدين محسب ، ١٩٩٢ ، ص ٩٩-١٠٢ . ميراناس - القاهرة .

ظاهرة المحاكاة الصوتية (الأونوماتوبيا) ، وتنتهي عند استغلال تعبيرية الصوتيم الواحد من خلال تواتره التكراري في سلسلة كلامية معينة .

ولا شك أن ثمة سجلات registers[1] كلامية معينة تعمد إلى استغلال هذه الطاقة التعبيرية بصورة واضحة . ويأتي في مقدمة هذه السجلات : الإعلانات، وكلام الأطفال ، والشعر . فمثلاً نجد في إعلان عن أحد أنواع المياه الغازية أن كلمة (منعش) قد كتبت بالشكل التالي : منعشششششش . وذلك اسغلالاً لتعبيرية صوت الشين وما يثيره تكراره من محاكاة لصوت فوران هذه المياه عند فتح الزجاج . ويحفل سجل الكلام الطفولي بهذه الظاهرة التعبيرية ، فنجد مثلاً استغلال الخصائص النطقية للهاء المفتوحة والميم الساكنة في (هَم هَم) لجعل الطفل يفتح فمه للطعام ثم يغلقه عليه ، ثم تصير (هم) بعد ذلك اسماً لعملية الأكل ، فتدخل في معجم ما يسمى بالكلام الأمومي motherses الذي يتسم بدوره ببروز استغلال تعبيرية الأصوات ؛ فتشيع فيه المبالغة الواضحة في أنماط التنغيم ، وفي ظاهرة التصغير[2] ، أما في الشعر فظواهر التعبيرية الصوتية تعد أبرز مظهر من مظاهر ما أسماه ياكوبسون تركيز الرسالة اللغوية على ذاتها في إطار تحقيق اللغة لوظيفتها الشعرية[3] . ولا شك أن التمثيل لأشكال التعبيرية الصوتية في الشعر يكاد يضيق عنه مجال هذا البحث وغرضه . فكل الظواهر التي أشار إليها بالي في حديثه عن الإمكانات التعبيرية الكامنة في المادة الصوتية وهي : «الأصوات المتميزة وما يتألف منها ،

---

(١) انظر :

Carroll, 1986, p. 308: PSYCHOLOGY OF LANGUAGE. Brooks/Cole Publishing Comp - California.

(٢) انظر مقالة ياكوبسون Linguistics and Poetics في :

Sebeok, T., (ed.) 1960, p. 356 : STYLE In LANGUAGE. The M.I.T. Press.

(٣) بالي - ص ٣٢ .

وتعاقب الرنات المختلفة لـلحركات ، والإيقاع ، والشدة ، وطول الأصوات ، والتكرار ، وتجانـس الأصوات المتحركة والساكنة ، والـسكنات . . . إلخ[١] - أقول : كل هـذه الظواهر وغيـرها يمكن أن نجد لـها أمثلـة متنوعة مـن الواقع الشعري[٢] .

غير أن الإشكال الذي يواجهنا هذا هو : هل تعد هذه الظواهر الصوتية في الشـعر ضمـن ما يقـع تحت ما أسـماه بالـي بـ «القـصد الجمـالي» الذي يميز الاستعمال الأدبي للغـة فيخرجه عن مجال الأسلوبية التي تجعـل مناط اهتمامها الاستعمال التلقائي[٣] ؟ . وإذا كانت هذه النقطة تمثـل أحد المآخذ التي وجهت إلى أسلـوبية بالي -حـتى ضمن الـتطورات اللاحقـة في الأسلوبيـة التعبـيرية نفسها- فإن الـبحث سيعود إلى مناقشـتها في موضع لاحق عندما يـعرض النقد الموجه إلى أسلوبية بالي عموماً .

٢ - الأسلوبية الصرفيمية morphostylistics :

وهي تعالج الجوانب التعبيرية الكاملة في طبيعة التكوين الصرفي للكلمة ، وفي المدى التوزيعي الذي يشغله نـوع معين من أنواع الكلم (أسماء ، أفعال ، صفات ، ظروف . . . إلخ) في سلسلة كلاميـة معينة ، وفي العلاقات الدلالية

(١) ثمة دراسة مـفيدة في هذا المجال أنجـزها الدكتور / عبـد الفتاح محمـد ، وقد كنت اقترحـت عليه موضوعها لنيل درجة الدكتوراه ، وعنوانها «الرمزيـة الصوتية في نقد الشعر الجاهلي» ، وهي ما تزال مخطوطة بمكتـبة كلية الآداب بجامعة المنيا ، وتـشتمل هذه الدراسة على مقدمة نـظرية حول الفروض والتحققات العلمية التي عولجت من خلالها قضـية الرمزية الصوتية . كذلك يمكن الرجوع إلى الفصل الـسادس من كـتاب: Chapman, R., 1982: THE LANGUAGE OF ENGLISH LITERATURE. Edward Arnold--London. حيث يقـدم تفسيرات نـسائية ، وأمثلة مـتنوعة للظاهرة في أجناس أدبية مختلفة .

(٢) بالي - ص ٢٩ .

(٣) السابق - ص ٣٦-٣٧ .

(الترادف ، التضاد . . . إلخ) القائمة بين الكلمات في هذه السلسلة ، وفي المجالات الدلالية التي تنتمي إليها هذه الكلمات .

وعلى سبيل التمثيل لذلك نأخذ المقطع التالي من رواية «خان الخليلي» (ص ١٣٣) لنجيب محفوظ :

«وضحكوا جميعاً ، فدارى بكياسته غضبه وجاراهم في ضحكهم . وودعهم عند ذاك ومضى إلى العباسية ، وقد انقطعت المواصلات جميعاً ، مدلجاً من طريق الحسينية . ووجد الطريق خالياً والسكون مطبقاً والظلام جاثماً . وكان جسده ساخناً مبتلاً بالعرق وحلقه يابساً ، فاصطدم برطوبة كثيفة يزفرها الخريف بغزارة - خاصة - في الهزيع الأخير من الليل . وما عتم أن سرت في أطرافه قشعريرة باردة ، ولسعت البرودة صدره ، وزكم منخره . وكانت ليلة السرار وقد احلولك غبشها ، وظاعف من غلظه انتشار سحاب دثر النجوم الساهرة ، فلاحت المنازل القديمة على جانبي الطريق كأشباح جالسة القرفصاء ذاهبة في سبات عميق» .

حيث يمكن أن نلمس - من منظور الأسلوبية التعبيرية - جوانب من تعبيرية الكلمة على النحو التالي :

أ - من طبيعة تكوينها الصرفيمي وما تنطوي عليه من رمزية صوتية مثل (اصطدام ، يزفرها ، قشعريرة ، احلولك ، غبشها) .

ب - من الموازاة الموقعية بين أبنية متماثلة :

مثل (داري ، جاري-خالياً ، مطبقاً ، جاثماً ، ساخناً ، مبتلاً ، يابساً).

ج - من علاقة التقابل بينها :

مثل (غضبه / ضحكهم ، يابساً / مبتلاً ، ساخناً / باردة ، جالسة / ذاهبة ، الساهرة / سبات) .

د - من علاقة الترادف التي تحيل إلى الانتماء إلى مجال دلالي معين مثل
مجال المغادرة في (ودع ، مضى ، مدلجاً ، ذاهبة) .
ومجال الكثرة في (كثيفة ، بغزارة ، انتشار) ،
ومجال الظلمة في (الظلام ، الهزيع ، الليل ، ليلة السرار ، عتم ، احلولك ، غبشها) .

ولعل مما يستدعي الإشارة هنا أن بالي يرى[1] أن الدراسة التاريخية للمفردات - من خلال تتبع تسلسل معانيها وعلاقاتها الاشتقاقية بكلمات أخرى - قد وقعت في خط منهجي ينبغي على الأسلوبية أن تتفاداه . ويتمثل هذا الخطأ في مسارين تولدت عنهما نتائج غير صحيحة .

اولهما : تركيز الدرس على الكلمات وهي في حالة عزلة وانفراد عن سياقها الآني ، وإسقاطها على الماضي . أو لنقل بعبارة لسانية اصطلاحية : إن هذا الخطأ يتمثل في إغفال البعد الأفقي synchronic للغة لصالح البعد الرأسي diachronic . وبالتالي فإن هذا التركيز أدى إلى عدم النظر إلى الارتباطات التي تنشأ من المقارنة التلقائية بين كل كلمة ومرادفاتها وأضدادها . . . إلخ ، «مع أن هذه المقارنة هي العامل الجوهري في ردود الأفعال العقلية والوجدانية التي يدرسها علم الأسلوب»[2] .

وثانيهما : الاعتقاد بفكرة أن للكلمة معنى أساسياً يكشف عنه الأصل الاشتقاقي الذي يظهر بدرجة ما في سائر المعاني التالية . وتتمثل خطورة هذا المسار في أنه يحيل قضية معنى الكلمة إلى قضية أصل وظلال ، وهذا ما ينافي شرطاً جوهرياً لحياة اللغة وهو قدرتها «على تشقيق المعاني وتحطيم الارتباطات

---

(١) السابق - ص ٣٦ .

(٢) السابق - ص ٣٦ .

لخلق ارتباطات أخرى»[1] . كذلك فإن هذا المسار يؤدي إلى اعتقاد خاطئ آخر يتمثل في إقامة تلازم مطلق ، أو معياري ، بين الصيغة والقيمة ، أو بين الدال والمدلول ، في حين أن «العلامة الواحدة لها في العادة قيم كثيرة ، وأن هناك علامات كثيرة للتعبير عن كل قيمة»[2] .

ومن الواضح أن رفض بالي هنا لأن يدخل في التحليل الأسلوبي الدراسة الاشتقاقية لمعنى الكلمة إنما يدخل ضمن منظوره العام في رفض اللسانيات التاريخية ، وهى اللسانيات التي كان لها تأثيرها الواضح في صياغة المسارين السابقين كما تجليا في بحوث علماء الدلالة المبكرين وعلى رأسهم بريل Breal[3] ، وعلماء البلاغة وعلى رأسهم فونتانييه Fontanier[4] . بيد أن هذه أيضاً من النقاط التي تعرضت - كما سيتضح في معالجة البحث لنقد أسلوبية بالي - للتحوير والتعديل في المسار اللاحق للسانيات عموماً ، والأسلوبية خصوصاً .

٣ - الأسلوبية التركيبية syntacticostylistics :

وهى تعالج الطاقات التعبيرية الكامنة في أشكال التركيب النحوي للجمل . وذلك مثل ما يحدث - لاعتبارات تعبيرية - من تقديم وتأخير ، وحذف ،

---

(١) السابق - ص ٣٧ .

(٢) لقد حاول علم الدلالة التاريخي diachronic semantics أن يضع قوانين للمعنى على غرار فكرة «القوانين الصوتية» التي طبقتها مدرسة «النحاة الجدد» في دراسة التطور الصوتي ، ولقد تمثلت هذه القوانين الدلالية العامة - عند بريل وأتباعه - في أن المعنى الأصلي للكلمة يتغير إما بالتوسع ، أو بالتقييد ، أو بالمجاز ، أو باكتساب ارتباطات انحطاطية pejorative أو ارتباطات إعلائية ameliorative - انظر : Lyons, J., op. cit., V. 2, p. 620 .

(٣) حول فكرة المعنى الأصلي للكلمة في بلاغة فونتانييه - انظر :
Ricoeur, P., 197, p. 50 : THE RULE OF METAPHOR. Routledge & Kegan Paul. London

(٤) بالي - ص ٤٠ .

واختيار بدائل تركيبية لصيقة بالتعبير عن الجوانب الوجدانية - مثل : التعجب، والمدح والذم ، والاستفهام المجازي . . . إلخ ، وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا المستوى من مستويات البنية اللغوية قد نال حظاً موفوراً من اهتمام البلاغة التقليدية عبر تاريخها الممتد . غير أن بالي يأخذ على هذه المعالجة التقليدية تمحورها حول دراسة علاقة التركيب بالفكر ، ومن ثم فإنه يرى أن «بحث التراكيب الوجدانية لم يكد يبدأ»[1] . وفي هذا السياق يقرر بالي أن كثيراً «من الحيل التركيبية يصدر عن حركة الوجدان»[2] . فمثلاً ظاهرة «دمج الجمل» واستخدامها لتؤدي معنى الكلمة الواحدة إنما تعود إلى ميل العناصر الانفعالية «إلى وقف التحديدات الفاصلة بين أجزاء الجملة المنطقية أو التحليلية»[3] . وهكذا نجد - مثلاً - أن التركيب (يا دين محمد) يتحول إلى كتلة مدمجة تعادل دلالياً التعبير الانفعالي الذي تثيره كلمة (هائلة !!) ؛ وذلك كما في عبارة المعلم نون في رواية (خان الخليلي ص ٩٢) : «الكتب في الدنيا أكثر من بني آدم ألم تر إلى مكتبة الحلبي . . . فيها كتب يا دين محمد لو صفت جنباً إلى جنب لكاثرت طلبة الأزهر» .

ب - المؤثرات الاستدعائية :

يختلف هذا النوع من المؤثرات عن سابقه في أنه يكمن في العلاقة بين الأشكال اللغوية والظروف والمواقف والأوساط التي تستخدم فيها . وبالتالي فإن تعبيرية هذا النوع مستمدة من هذه العلاقة :

---

(١) السابق - ص ٤٠ .

(٢) السابق - ص ٤٠ .

(٣) انظر بحث بيير جيرو P. Guiraud في : : Sebeok, T., (ed.), 1972, pp. 1122-23 CURRENT TRENDS IN LINGUISTICS. V. 9 : Lingulstics in Western Europe. Mouton. The Hague-Paris.

الشكل اللغوي ⟵⟶ الاستعمال الاجتماعي

ولقد حاول بالي أن يقدم ثبتاً للأساليب قائماً على نوع العلاقة بين الشكل اللغوي والفئة الاجتماعية التي تستخدمه ، أو النشاط الاجتماعي الذي يستعمل فيه . فهناك لغات الطبقات الاجتماعية ، واللغات المهنية ، ولغات أجناس الخطاب (علمية ، أدبية ، شعرية) . . .) ، وكذلك هناك لغات تعبر عن العلاقة الاجتماعية ، أو الدور الاجتماعي ، أو المكانة الاجتماعية . . . إلخ .

ويرى بيير جيرو[1] أن القيم التعبيرية لهذه الأساليب ترتبط بما يلي :

أ - تقاليد الحديث tone :

ويمكن اختلاف تقاليد الحديث في أن كل شخص لديه عدد من مسالك الكلام وفق الحالات المختلفة في الممارسة الاجتماعية الحية . فالمسلك الكلامي مع الأصدقاء - مثلاً - يختلف عن المسلك الكلامي مع الأطفال ، ومع الرئيس يختلف عنه مع زميل العمل . . . وهكذا . ولعل ذلك ما يدركه الروائيون الجيدون عندما يصوغون مواقف الحوار في رواياتهم ، أو عندما يجعلون اللغة تعبر بمستوياتها المختلفة عن سياق الموقف ، وعن حالة الشخصية ، ووضعها الاجتماعي أو الطبقي ، وموقفها من الآخرين . . . إلخ .

وفي هذا السياق يمكن أن نلاحظ - على سبيل المثال - الاختلاف في استعمال «الضمائر وأساليب الخطاب» في حوار «عثمان بيومي» مع رئيسه «حمزة السويفي» مدير الإدارة ، في رواية (حضرة المحترم) لنجيب محفوظ . ففي حين تظهر ضمائر الجمع التوقيرية (أقدم لكم ، فضلكم ، عندما تحتشدون) وتتكرر عبارتا «يا سيدي» و «يا فندم» في أول حوار بينهما (ص ٤٤-٤٥) ، تأخذ هذه المظاهر اللغوية في الخفوت كلما توطدت العلاقة بينهما ليكتفي باستعمال ضمير الخطاب المفرد (ص ٥٢ ، ص ٥٨ ، ص ٦٩ ، ٧٠) .

وإذا كانت البلاغة القديمة قد ميزت - في إطار ما يعرف بـ «دائرة فرجيل»[1] - بين أساليب ثلاثة : الأسلوب العادي ، والأسلوب المتوسط ، والأسلوب العالي ، فإن هذه المسالك الكلامية يمكن تصنيفها وفق هذا التقسيم الثلاثي . ففي المنزل ، وفي المقهى ، وفي الشارع ، يبرز استخدام الأسلوب العادي الحميم . أما في العمل ، والمكتب ، والعلاقات الاجتماعية غير الحميمة فإن استخدام الأسلوب المتوسط هو النمط المساند . ويبقى الأسلوب العالي هو النمط المتبع في المناسبات الرسمية حيث يتحدث المتكلم بلغة رصينة يظهر فيها قدر كبير من التأنق والعناية .

ومن الملاحظ أن هذا التقسيم إنما هو امتداد لفكرة الارتباط بين «المقام» و «المقال» التي أقرتها البلاغة . ومن ثم يمكن أن نطلق على المعالجة الأسلوبية التي تدرس هذه الارتباطات : «أسلوبية الموقف» .

وهناك إلى جانب هذا النوع نوع آخر يمكن أن نسميه «أسلوبية الخطاب» . ويرتبط هذا النوع الثاني باختلاف التقليد اللغوي الذي يتبع أعرافاً سائدة في خطاب معين . فهناك مثلاً : الأسلوب الشعري ، وهو الأسلوب الذي تظهر فيه أعراف الإبداع الشعري في فترة معينة من حياة ثقافة معينة . وداخل هذا الأسلوب تتعدد أساليب أنواع فرعية : فهناك أسلوب الشعر الغنائي ، وأسلوب الشعر الملحمي ، وأسلوب شعر المرائي . . . إلخ . وإلى جوار ذلك هناك الأسلوب العلمي الذي يتسم بخصائص معينة كسيطرة المصطلحات الفنية ، والتعريفات ، والتحليلات المنطقية . . . إلخ .

---

(١) فرجيل شاعر روماني عاش في القرن الأول قبل الميلاد . وفي إنتاجه الشعري يمثل ديوانه «قصائد ريفية» نموذجاً للأسلوب البسيط ؛ حيث إنه يدور حول حياة الفلاحين البسطاء . أما ديوانه «قصائد زراعية» فهو يمثل نموذج الأسلوب المتوسط ؛ حيث إنه يخاطب الرومان لحثهم على التمسك بأرضهم الزراعية . وفي النهاية تأتي ملحمته الشهيرة «الإنيادة» نموذجاً للأسلوب السامي أو الرفيع .

ولعل المثال الجيد لذلك نجده في هذه الفقرة التي يسوق فيها نجيب محفوظ (الطريق - ص ١٧٠ ، ١٧٣) تحليلات «نخبة من رجال الفكر» للأسباب الكامنة وراء ارتكاب صابر الرحيمي لجريمته .

«تحدث أستاذ في الجامعة عن الزواج غير المتكافئ بين عم خليل وكريمة باعتباره المسئول الأول عن الجريمة . وقال كاتب يوميات صحفية : إن المسئول الأول هو الفقر ، هو الذي أغرى زوج كريمة الأول ببيعها إلى زوجها الثاني ، وأن كريمة شهيدة لصراع الطبقات وفوارقها . وناقش أستاذ بالخدمة الاجتماعية نشأة صابر فى أحضان تاجرة أعراض ورواسبها في نفسه ، وقال أستاذ علم نفس إن صابر مصاب بعقدة حب الأم وأنه يمكن تفسير اندفاعه الإجرامي بأمرين مهمين ، فهو أولاً وجد في كريمة بديلاً عن أمه فأحبها ، وأن لا شعوره أصر على الانتقام لأمه فقتل صاحب الفندق كرمز للسلطة . . . وقال شيخ من رجال الدين أن المسألة في جوهرها مسألة إيمان مفقود ، وأن صابر لو بذل في البحث عن الله عشر ما بذله في البحث عن أبيه لكتب الله له جميع ما طمح إليه عند أبيه في الدارين» .

حيث نجد تلازماً واضحاً بين كل شخصية والتعبيرات والاصطلاحات السائدة في مجالها ، أو لنقل : في سجلها : فأستاذ الجامعة مهتم بإرجاع المسألة إلى مفهوم عام (الزواج غير المتكافئ) . وكاتب اليوميات الصحفية ينزع إلى عبارات الإثارة التي تسم الخطاب الصحفي . وأستاذ الخدمة الاجتماعية يستعمل المفاهيم المساندة في علم النفس الاجتماعي (النشأة والرواسب) . أما أستاذ علم النفس فهو يفسر المسألة بمنظور سيكولوجي (العقدة والدافع واللاشعور) . أما الشيخ فيفسر (جوهر) المسألة بمفهوم (الإيمان المفقود) وانعدام بذل الجهد (في البحث عن الله) الذي يوصل إلى (جميع ما يطمح إليه في الدارين) .

ويرى بالي أن «المزج أو الخلط بين هذه التقاليد الكلامية - سواء كان هذا المزج مقصوداً أم غير مقصود ، إرادياً أم غير إرادي - يمثل وسائل بالغة الثراء للتأثير التعبيري»[1] . ولكن يبدو أن هذا القول لم يكن يمثل مبدأ نظرياً مطرداً عند بالي ؛ لأنه لو كان كذلك لكان كفيلاً بأن تدخل الأساليب الأدبية في مجال الأسلوبية باعتبار أنها - أي هذه الأساليب - كثيراً ما تعمد إلى هذا المزج بقصد جمالي يستهدف إحداث التأثير التعبيري الذي يشير إليه بالي هنا . ولكن بالي استبعد دراسة هذه الأساليب لقيامها على القصد ، وليس على العفوية والتلقائية .

ب - لغة العصر :

في فترات معينة من حياة اللغة تشيع مفردات ، وعبارات معينة . ويحدث أن تختفي هذه المفردات والعبارات من الاستعمال في العصور التالية ، ولذلك فإنه عندما يتم استدعاء إحدى هذه المفردات أو العبارات ، فإنه يتم أيضاً استدعاء عصرها الذي ارتبطت به . وهذا ما نجده - مثلاً - عندما تستدعي شخصية الأم في (خان الخليلي - ص ١٨٨) ذلك التعبير العربي القديم (ومن يشابه أباه ما ظلم) فتحوره في سياق تقرير مشابهة ابنها لها ليكون : (ومن شابه أمه فما ظلم) !! . وكذلك يفعل بهذا التعبير نفسه علي السيد في رواية (ثرثرة فوق النيل - ص ٥٦) : «إني أحدكم أيها المنحلون العصريون ومن شابه أصدقاءه فما ظلم» !! .

ج - لغة الفئة الاجتماعية :

وهذا يكتسب الأسلوب تعبيريته من خلال استدعائه للفئة الاجتماعية التي تستخدمه . فلكل فئة خصائص صوتية ، ومفردات ، وتعابير ، تميزها عن

---

(١) انظر بحث بيير جيرو - سبق ذكره p. 1123 .

غيرها من الفئات الأخرى . ونجد ذلك واضحاً - مثلاً - في تجسيد توفيق الحكيم لأسلوب البدو في في «عودة الروح - ج٢ ص ٢٨-٢٩» عندما يورد العبارات التالية على لسان «عبد العاطي البدوي» :

- والله والله «عرجاوي» ما يخشها . . . وشرف «البدوي» نطسه الوش من هادي البارودة !
- والله هادا الفلاح ما يبات فيها !
- احنا بدو شرفا ، ما يمشي علينا كلام عمدة فلاحين . .
- كيف يا بيه «البدوي» مثل «الفلاح» ؟؟ !
- . . . احنا بدو ما نرضى الضيم !

ففي هذه العبارات تلاحظ بعض السمات اللغوية التي تستدعي أسلوب البدو مثل :

النفي بـ : ما (في : ما يخشها ، ما يبات ، ما يمشي ، ما نرضي) ،
والإشارة بـ : هدا ، والاستفهام بـ : كيف ،
واستخدام مفردات معجمية معينة (فبدلاً من «بندقية» يستخدم «بارودة») ،
واستخدام صيغتي (مثل ، والضيم) بشكل أقرب إلى مستوى الفصيح ،
ثم استخدام ضمير المتكلم الجمعي الذي يجسد كما هى الذات مع الجماعة (نطسه ، احنا بدو شرفا ، احنا بدو ما نرضي الضنيم)

د - لغة الجماعة الاجتماعية :

في المؤسسات الاجتماعية المختلفة يوجد تنوعات أسلوبية مختلفة . فمثلاً العاملون في المجال المصرفي يشيع بينهم معجم لغوي خاص مثل : الإيداع

والسحب ونسبة الأرباح والائتمان . . . إلخ . والعاملون في الحقل الأكاديمي الجامعي كذلك فنجد : المحاضرة ، والدراسات العليا ، والمنهج العلمي . . إلخ . ولعل إشارة بالي التي سقناها من قبل عن تعبيرية المزج بين تقاليد الحديث تصدق هنا أيضاً . وفي هذا السياق يمكن أن نشير - تمثيلاً - إلى استغلال المعلم نونو (في : خان الخليلي - ص ٤٦) للسجل اللغوي الخاص بالتجارة العالمية ليعبر من خلاله عن حركة «الخادمات» بين أحياء القاهرة : «الذنب ذنب الأحياء الأخرى . لقد ضاقت بالفساد ، فصدرت ما يزيد عن حاجتها إلينا على حد قول الراديو عن التجارة العالمية . هنا نحن نصدر المواد الأولية ، والأحياء الأخرى نوردها مصنوعة . فمن بعض أطراف هذا الحي تصدر الخادمات فتحولها الأحياء الأخرى إلى غانيات» !! .

هـ - لغة المنطقة الجغرافية :

لكل منطقة جغرافية ملامح لهجية خاصة . ويؤدي استعمال هذه الملامح في مواقف اجتماعية معينة إلى تفجير طاقة تعبيرية موحية . فأهل الإسكندرية - مثلاً - يعبر الواحد منهم عن نفسه بصيغة الجماعة فيقول : بنحبوه ، في حين يقال في بعض لهجات الصعيد : معاحبه . ويبدو استغلال هذه الملامح اللهجية واضحاً في الأدب التمثيلي المكتوب بغير المستوى القياسي من اللغة (نسميه في ثقافتنا العربية : الفصحى) .

و - لغة الجيل :

يؤدي الاختلاف من جيل إلى جيل إلى فروق واضحة في المسلك الكلامي . ومن ثم فالكبار يستخدمون في مواقف التدليل والمداعبة مع الأطفال أسلوباً يحاول محاكاة أسلوبهم . وبالتالي فإن هذا «التدليل» يمثل غرضاً تعبيرياً خاصاً .

لقد كانت أسلوبية بالي - كأي نظرية أصيلة - مشروعاً علمياً . وهي بصفتها تلك لا تخلو من سمتين أساسيتين : الإضافة والنقص : بـ «الإضافة» تحقق تحويل المسار المعرفي السابق عن أوجه القصور الكاملة فيه . وبـ «النقص» تفتح المجال للمسار اللاحق لكي يزيد من كفاءة أدواته ، ويقوي من آليات حفره المعرفي بخصوص الظاهرة المستهدفة دراستها .

وفي جانب الإضافة يمكن أن يحسب لأسلوبية بالي الإيجابيات التالية :

١ - تأسيس علم مستقل لدراسة ظاهرة الأسلوب في اللغة ، وذلك بعد أن كانت هذه الظاهرة موزعة - بشكل انتقائي وغير منظم ، وإن لم يخل من الفوائد في بعض جوانبه التي أفاد منها بالي نفسه[1] - في مباحث البلاغة والنحو .

٢ - قدمت أسلوبية بالي بعض المفاهيم الأساسية التي أصبحت تمثل موضوعات معتادة للنقاش والتمحيص في الدراسات الأسلوبية اللاحقة ؛ وذلك مثل : التعبيرية ، والقيم الأسلوبية ، والاختيار .

٣ - يمثل حديث بالي عن تعبيرية المؤثرات الاستدعائية تراثاً مبكراً لمعالجة تلك القضايا التي يعالجها في ظرفنا التاريخي الراهن عدد من العلوم ، وذلك مثل معالجة علم اللغة الاجتماعي ، والأسلوبية اللسانية Styloliñguistics ، والتداولية Pragmatics لقضايا : النوعيات اللغوية ، والتنوعات اللغوية الجغرافية والاجتماعية ، والتحول الشفري

(١) انظر : ب. فاير - ك . بايلون - ترجمة : طلال وهبة ، ١٩٩٢ ، ص ٢٢٨ : مدخل إلى الألسنية . المركز الثقافي العربي - بيروت .

code-switching ، والسياق ، والحدث الكلامي . . . إلخ[1] .

أما جانب النقص فإن الإشكالات التي أثارتها أسلوبية بالي ، والانتقادات التي وجهت للأسلوبية التعبيرية عموماً ، والتعديلات التي اقترحتها اتجاهات أسلوبية أخرى ، كل ذلك يستحق وقفة متأنية .

ولعل أول ما يمكن أن يقف عنده البحث هو استبعاد بالي للأساليب الأدبية من مجال الدرس الأسلوبي . وذلك لأن لهذا الاستبعاد تضمينات تتعلق بالأسس النظرية نفسها التي انطلق منها بالي ، كما أنه كان بؤرة للنقد الموجه إلى أسلوبيته .

لقد كان المعيار الذي تم على أساسه هذا الاستبعاد هو أن الأسلوبية تختص بالاستعمال الجماعي العفوي ، أما الأساليب الأدبية فإنها لا تستعمل إمكانات اللغة على هذا النحو التلقائي الذي تستعملها به الأساليب الأخرى . فهناك في الأدب دائماً القصد الجمالي ، وهناك دائماً تنبه الأديب لتقاليد الجنس الأدبي الذي يؤدي من خلاله رسالته اللغوية . ومن ثم فوجود القصد ينافي العفوية ، ومراعاة التقاليد والأعراف الأدبية (مثلاً : الوزن والقافية في الشعر) مما يقع خارج إطار النظام اللغوي بمعناه الدقيق . ويضاف إلى ذلك أن سياق تعبيرية بالي يوحي بأن فكرة وجود «أسلوب أدبي» متميز هي نفسها موضع شك . وذلك أن النص الأدبي «لا يقتصر على جانب معين من التجربة الإنسانية ، ولا يستبعد أياً منها»[2] . وبالتالي فهو يستهلك - كما في النصوص القصصية

---

(١) يمكن الرجوع حول مثل هذه القضايا في علم اللغة الاجتماعي إلى : د. هدسن : علم اللغة الاجتماعي . ترجمة : د. محمد عبد الغني عياد - ١٩٨٧ - دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد . وفي الأسلوبية اللسانية إلى : Enkvist, N., E., 1973: LINGUISTIC STYLISTICS. Mouton, The Hague-Paris, S., 1983: وفي التداولية إلى : Levinsion, PRAGMATICS. Cambridge University Press.

(2) Chapman, R., 1973, p. 13: LINGUISTICS AND LITERATURE, Arnold-London.

والمسرحية بشكل خاص - عدداً من الأساليب . فأين يمكن إذن أن نجد الأسلوب هنا مادمنا نفتقد التعبيرية التي تربط صاحبه بجماعة اجتماعية معينة ؟ وبتجربة إنسانية محددة ؟ . وحتى في بعض المواضع التي بدا فيها بالي وكأنه يدخل الاستعمالات الأدبية في الدرس كان يقول مثلاً : «لقد آن الأوان كي لا ننظر إلى اللغة الأدبية على أنها شيء مستقل، أو خلق من عدم ؛ فهي قبل كل شيء كيفية خاصة من لغة الناس ؛ إلا أن المعاني البيولوجية والاجتماعية في لغة الناس تستحيل فيها معاني جمالية»[1] ، أقول حتى في هذه المواضع فإن بالي يقدم مبرر القصد المنافي للعفوية . ومادامت دائرة اهتمام الأسلوبية هي الاستعمال العفوي فإن النتيجة المترتبة على ذلك هي خروج الاستعمال الأدبي من هذه الدائرة .

لقد آمنت أسلوبية بالي - شأنها في ذلك شأن نموذجها اللساني أرساه دوسوسير - بـ «الكلي المتجانس» . ومن ثم فقد بدت النصوص الأدبية أمامها وكأنها من مجال «الكلام» الفردي. يقول بالي «إننا إذا درسنا أسلوب بلزاك - مثلاً - فإننا ندرس الأسلوبية الفردية لبلزاك . وسيكون هذا الأمر خطأ عظيماً. فثمة هوة لا يمكن تجاوزها بين استعمال الفرد للكلام في الظروف العامة التي تشترك فيها مجموعة لسانية ، والاستعمال الذي يقوم به شاعر ، أو روائي ، أو كاتب من الكتاب»[2] .

ويبدو لي أن لتفريق بالي بين اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة ، ولاحتفائه الظاهر بالأولى أثراً كامناً هنا . فلأن النصوص الأدبية ترتبط عادة بالكتابة ؛ أي أنها لغة مكتوبة ، فإنه نظر إليها من خلال تلك الأوصاف التي نعت بها

---

(١) بالي ، ص ٣١ .

(٢) انظر تعليق الدكتور منذر عياشي على هذه العبارة في كتابه : مقالات في الأسلوبية . ص ٣٤ (سبق ذكره) . وانظر هناك أيضاً تفريق بالي بين الأسلوبية والنقد الأدبي .

اللغة المكتوبة من مثل قوله إنها دائماً «مظهر لأحوال ذهنية وأشكال معنوية لا تعبر عنها اللغة العادية» ، وإنها تظل «تحويلاً وتحريفاً» للغة المنطوقة ، وإنها «لغة لا زمنية . . . لا تكاد تعطي صورة من الحالة الحاضرة للغة»[1] . وعلى الرغم من أن هذا القول قد يوحي باحتفاء ظاهر بـ «الكلام» ؛ إلا أنه في الحقيقة يثير مفارقة منهجية - سنعود إلى بلورتها بعد قليل - حين ندرك أن مادة الأسلوب عند بالي هى «اللغة» وليس «الكلام» . على أن ما يهم التوقف عنده هنا هو أن هذا الإطلاق التعميمي بخصوص اللغة المكتوبة يدخل في إطار تلك النزعة المضادة للبعد التاريخي للاستعمال اللغوي . وإذا كانت اللغة في أي حالة من حالاتها الآنية - شأنها في ذلك شأن الإنسان - لا تتخلص من تاريخها، وإنما تعيشه ممتزجاً بنسق حاضرها وسياقه ، فإن إغفال هذا البعد يتعارض مع مقولة الوصف التزامني نفسها التي ينبغي أن تأخذ في الاعتبار كل أشكال التنوعات اللغوية المستعملة ، ومن بينها الشكل المكتوب ، ولعل من الحقائق الواضحة التي جلاها النظر الوصفي - وبخاصة في اللسانيات الاجتماعية - أن العلاقة التاريخية بين شكل لغوي ممتد عبر التاريخ ، وعبر نصوصه المكتوبة والمنطوقة ، قد تكون أقوى من العلاقة القائمة بين أشكال متعاصرة تنتسب إلى فترة زمنية محددة[2] . وفي هذا السياق تبدو العربية نموذجاً واضحاً حيث «العناصر الكتابية فيها أقوى بكثير من العناصر الكلامية ، والجانب التراثي لها أشد ضغطاً وأكثر فعالية من الجانب العفوي»[3] .

ولا شك أن «الهوة» التي يتحدث عنها بالي هنا إنما هى ناجمة عن النموذج اللساني الذي توافقت أسلوبيته معه ؛ أقصد لسانيات دوسوسير التي أرادت أن

(١) انظر : بالى ص ٤١-٤٢ .

(٢) انظر : Lyons, J., 1977, V. 2, pp. 620-21

(٣) د. صلاح فضل . ١٩٨٨ ، ص ٤٨ .

تصف اللغة بوصفها نظاماً آلياً في ذاته ولذاته ، دون النظر إلى ارتباطاته التاريخية والثقافية ، أو صيرورته وتنوعاته الاجتماعية في استعمال الأفراد[1] .

لقد حاولت أسلوبية بالي أن تتسق مع هذا الأصل المنهجي ، وذلك بأن وضعت الاستعمالات «الكلامية» في صورة «نماذج» ، أو في صورة «فئات أسلوبية» تعبر عن «فئات اجتماعية» . وبذلك تكون قد تجاهلت دور الفرد حتى في تحديد مفهوم الفئة أو الجماعة الاجتماعية . ولعل المأخذ الذي يمكن تقريره هنا هو أن أسلوبية بالي أغفلت دور الفرد ومبادراته في اختيار أنظمة سلوكه الكلامية التي يحدد من خلالها انتماءه إلى الجماعة التي يود الانتماء إليها[2] . وبالتالي أغفلت الدور الذي يلعبه «التقمص الأسلوبي» في الحراك اللغوي الاجتماعي عموماً ، وفي الأساليب الأدبية خصوصاً .

كذلك ثمة إشكال آخر في مفهوم «النماذج» في أسلوبية بالي وهو تحديد انتماء هذه النماذج ؛ أهي من مستوى «اللغة» ؟ أم من مستوى «الكلام» ؟ . إن عرض بالي لأساليب (الطبقة ، والجيل ، والمؤسسة - والمنطقة . . . إلخ) يميل بنا إلى أن ثمة أساليب مختلفة بقدر اختلاف العوامل والمحددات الاجتماعية . وبالتالي فإن «الأسلوب» يبدو وكأنه ظاهرة في الاستعمال ، أي ظاهرة في «الكلام» ، في حين أن المبدأ المعلن في النموذج اللساني هو دراسة

---

(١) لقد كان إصرار لسانيات دوسوسير على أن اللغة - وليس الكلام - هي الموضوع الحق لدراسة اللسانية مجال نقد شديد . ومن ذلك النقد الذي وجهه ميدفيديف وباختين - انظر : Swingewd, A., 1986, p. 22 : SOCIOLOGICAL POETICS AND AESTHETIC THEORY . Macmillan وكذلك النق الذي وجهه أصحاب علم اللغة الاجتماعي - انظر : Bell, R., T., 1976, pp. 20-23 SOCIOLINGUISTICS. B. T. Batsford LTD-Londod .

(٢) يقول هدسن : «ولابد أن ننوه إلى أن المجموعات هي تلك التي يدرك المتحدث الفرد وجودها، وليست بالضرورة هي نفس المجموعات التي يحددها عالم الاجتماع مستخدماً منهجه العلمي الموضوعي» - انظر : د. هدسن - سبق ذكره - ص ٥٥ .

«اللغة» ؛ أي ذلك الشيء الكلي المتجانس المشترك بين أعضاء مجتمع لغوي معين ، والمبدأ المعلن في النموذج الأسلوبي هو دراسة أسلوب الجماعة الاجتماعية ، ومن جهة كونه «اختياراً» من البدائل الكامنة في النظام المشترك .

وبالتالي أصبحت أسلوبية بالي تمثل مفارقة منهجية واضحة أدت إلى أن يطلق عليها أحياناً : «لسانيات العبارة (= الكلام) ، وأحياناً أخرى : «أسلوبية اللغة»[1] . ويشرح عبد الله صولة هذه المفارقة المنهجية بقوله : «ففي قولنا (لسانيات العبارة) مفارقة مأتاها كون اللسانيات تعني الدراسة العلمية الموضوعية الشمولية المجردة ، وكون العبارة تعني التفرد والذاتية . فكأن الجمع بينهما يؤدي إلى خنق الأسلوبية وحصر آفاقها ، وجعلها تنتهي إلى أن تكون مجرد وصف وإحصاء وتبويب ، وهو ما يناقض مرامى الأسلوبية نفسها، ويعود بها من بعض الوجوه إلى ميدان البلاغة ؛ أي إلى النزعة التبويبية . وفي قولنا (أسلوبية اللغة) ابتعاد بموضوع هذه الأسلوبية عما جعلت له ؛ أي البحث في تفرد العبارة»[2] .

لقد كان هدف إقصاء «الفرد» من عملية الوصف هدفاً مشتركاً بين لسانيات دوسوسير وأسلوبية بالي . وإذا كنا قد أشرنا إلى وصف بالي لدراسة أسلوبية الفرد بأنه «خطأ عظيم» فإننا نعيد إلى الأذهان ما قاله دوسوسير من أن الفرد لا يستطيع أن يغير كلمة واحدة في اللغة[3] . وهذه بدورها تمثل مفارقة في لسانيات دوسوسير : مفارقة بين تلك التجريدية المتعالية على الواقع المادي في مفهوم «اللغة» langue عنده ، والقول في الوقت نفسه بأن اللغة واقعة اجتماعية . لقد كان المفترض أن يؤدي المبدأ الثاني إلى تقديم دراسة «الكلام»

(١) عبد الله صولة : الأسلوبية الذاتية أو النشوئية . ص ٨٣ - مجلة فصول - م ٥ ع ١ - ١٩٨٤ م .

(٢) السابق ص ٨٣ .

(٣) انظر في تحليل هذه الفكرة : Silverman, D., & Torode, B., op. cit. p. 52

على اللغة باعتبار أنه أصلها ومحرك صورتها . وفي هذه الحالة كان من الممكن أن يأخذ الكلام الفردي الطبيعي - أي الذي يتم في الاتصال الاجتماعي الحي - بدوره في النظرية اللسانية على النحو الذي أخذه فيما بعد في علم اللغة الاجتماعي ، وفي التداولية ، وفي الأسلوبية الأدبية. غير أن كلا الموقفين - موقف دوسوسير وموقف بالي - كان لهما خلفيتهما الإيديولوجية من خلال وضع هذا التقابل بين «الفرد» و «المجتمع» . وفي هذا السياق يقول بالي «فبما أن اللغة منظومة اجتماعية ، فهى تقتضينا دائماً أن نضحي بفكرنا الخاص من أجل فكر الناس جميعاً»[(١)] . لقدكان تفكير الرجلين يدور في فلك هذا التقابل الذي حُل عن طريق ابتداع فكرة «العقد الاجتماعي»[(٢)] .

ولقد كان على الأسلوبية التعبيرية أن تتجاوز في مراحلها التالية موقف بالي من استعمال اللغة في الأدب . ومن ثم دخلت دراسة الأساليب الأدبية في مجال الأسلوبية كما هو الأمر عند ماروزو ، ومارسيل كريسو ، وستيفن أولمان وغيرهم . بل إننا نلمح من عبارة كريسو في هذا الصدد نوعاً من تفضيل التوجه بالبحث الأسلوب إلى هذه الأساليب على ما عداها من أنماط الأساليب التي وقف عندها بالي . يقول كريسو : «إن العمل الأدبي، كأي إيصال آخر ، يزود الأسلوبية بمواد تحتاجها لكي تتابع إنجازاتها . إنها مواد ملائمة ومريحة»[(٣)]. ومع ذلك فإن الأسلوبية التعبيرية عند بالي ما تزال تحمل في

---

(١) بالي - ص ٣٠ .

(٢) انظر : Silverman, D., & Torode, B., op. cit. p. 52

(٣) انظر هذه العبارة في : منذر عياشي ، سبق ذكره ص ١٤٤ ، وانظر كذلك : د. صلاح فضل ، سبق ذكره ، ص ٤٦ - حيث يشير إلى رأى كريسو في أن «الدراسة الأسلوبية تقدم بيانات دقيقة مقنعة عن العمل الأدبي ، وإن كان هدفها الأخير يتجاوز دراسة أفراد معينين؛ إذ يتركز على تحديد القوانين العامة التي تحكم اختيار التعبير في إطار لغة محددة ، والعلاقة بين التعبير والتفكير في هذه اللغة» . ومعنى ذلك أن كريسو يلتقي والخصيصة الجوهرية في أسلوبية بالي وهى أنها أسلوبية النماذج العامة .

طياتها إشكالات ربما تكون أعمق من مجرد دخول النصوص الأدبية في مجال دراستها . وهذا ما سيحاول البحث أن يجلي بعض جوانبه من خلال المناقشة التالية .

ذكرت من قبل أن أسلوبية بالي تنطلق من أساس معرفي مؤداه أن «الأسلوب» هو العنصر الوجداني أو التعبيري في اللغة . ومن الواضح أن هذه النظرة تجعلنا أمام نوعين من المعنى ، أو - على الأقل - أمام طبقتين من المعنى :

١ - المعنى الصريح ، أو المباشر ، أو المعرفي .

٢ - المعنى التعبيري .

ووفقاً لهذا التقسيم فإن العلم الذي يدرس النوع الأول من المعنى هو علم الدلالة اللساني . أما العلم الذي يدرس النوع الثاني (المعنى التعبيري) فهو علم الأسلوب .

ومن ثم فقد كان وصف بعض الباحثين[(١)] لهذه النظرية بأنها تمثل شكلاً من أشكال «الثنائية» dualism وصفاً صحيحاً . ولعل مكمن الصعوبة التي تواجهها هذه النظرية الثنائية هو مشكلة تحديد «المعنى المعرفي» أو «الدلالة الصريحة» : أين تبدأ ؟ وأين تنتهي ؟ ، وبالتالي أين يبدأ «المعنى التعبيري ؟ . ولقد ترتب على إثارة هذا السؤال أن استخلاص المعنى التعبيري «يبقى في نهاية الأمر تجربة فردية في القراءة»[(٢)] ، وبالتالي فهو أمر «لا يخلو من الذاتية»[(٣)] .

---

(1) Leech, G., & Short, M., op. cit. p. 18.

(٢) انظر مداخلة د. حمادي صمود في : ندوة العدد : الأسلوبية ، صو ٢١٨ - مجلة فصول - م٥ ع١ - ١٩٨٤م .

(٣) السابق - الموضع نفسه .

وقد يكون من المهم في وقفتنا تلك أن نلفت الانتباه إلى بعض النتائج التي تترتب على القول بهذه الثنائية التي تستمد جذورها - كما يقرر بول ريكور - من الفلسفة الوضعية المنطقية[1] . وأول ما يمكن تقريره هنا أن هذه الثنائية توصل - في تحليلها النهائي - إلى إنتاج مفهومين للأسلوب : أولهما أن الأسلوب هو العنصر الوجداني أو التعبيري في اللغة . وثانيهما أن الأسلوب اختيار . وفيما يلي يحاول البحث أن يمحص هذين المفهومين ، وأن يناقش الإشكالات التي يثيرانها .

أولاً: الأسلوب = العنصر الوجداني أو التعبيري:

من الواضح أن أسلوبية بالي تذهب إلى أن الأسلوب هو تلك العناصر الوجدانية أو التعبيرية التي تطرأ على المعنى المعرفي في أشكال لغوية معينة ، وفي استعمالات معينة . ومن ثم فإن عمل الأسلوبي هو عزل هذه الأشكال والاستعمالات، وتصنيفها ، وتبويب معانيها التعبيرية . وهنا يمكن الذهاب إلى أن هذا القول قد يحمل في داخله نوعاً من النزعة «الإطلاقية» تتمثل في «تثبيت» هذه الأشكال والاستعمالات لأداء أغراض تعبيرية معينة . وبالتالي تبدو هذه الأشكال وكأنها تحمل تعبيريتها بضرورة ذاتية تتحرك معها أني تحركت، وبخاصة أنها ليست مرتبطة بالسياق الكلامي ، وإنما بالنظام اللغوي .

ولما كانت الوقائع اللغوية - بطبيعتها - وقائع دينامية ومرنة فإن هذا «التثبيت المتوازي» يغفل حقيقة أن سياقات لغوية واجتماعية مختلفة تنتج أساليب مختلفة. ومن ثم فإن ما يبدو عنصراً أسلوبياً تعبيرياً في سياق معين قد لا تكون له هذه القيمة الأسلوبية - أو بالأحرى قد تكون له قيمة مختلفة - في سياق آخر .

(١) عن : د، أحمد درويش ، ص ١٧١ ، سبق ذكره .

ولتوضيح ذلك نقول إن عبارة (قرأ فلان في سره آية الكرسي) تستدعي السجل اللغوي الخاص بالدين والتدين ، وأنها تعبر عن الورع أو ما إلى ذلك . ولكن لننظر إلى هذه العبارة نفسها في سياق رواية نجيب محفوظ (حضرة المحترم - ص ٧) : «وهو يغادر المكان قرأ في سره آية الكرسي» ؛ حيث تتحول تعبيريتها كلياً إلى الدلالة العميقة على التطلع العارم في نفس بطل الرواية (عثمان بيومي) للوصول إلى (الكرسي) الذي يجلس عليه المدير العام ، ولتصبح (آية الكرسي) هى آية المنصب التي ظل البطل يركض وراءها إلى النهاية .

وإذا كان بالي قد تحدث عن تعبيرية الصوت ، وحاول أن يحدد موارد هذه التعبيرية في عدد من الظواهر الصوتية مثل الشدة ورنات الحركات والتكرار . . .إلخ ، فإن كل سياق ترد فيه أي ظاهرة من تلك الظواهر يضفي عليها مغزى أسلوبياً فريداً . وعلى سبيل المثال فإن تكرار صوت /ح/ في النص التالي[1] :

يا رسحة الماء قد سدت موارده

أما إليك طريق غير مسدود

لحائم حام حتى لا حيام له

محلأً عن طريق الماء مطرود

يستمد قيمته الأسلوبية من تحوله إلى مؤازرة المغزى الكلي للنص ؛ وهو إحساس العجز وامتناع الطريق ، ومن ثم بقاء حركة الدوران التي تعود إلى نقطة البداية نفسها . فكما أن الذات هنا تدور حول المكان ولا تصل ، كذلك

(1) Ricour, P., 1977, op. cit., p. 90 .

الصوت يدور ويتكرر ، فتبدأ الوحدات المعجمية بصوت /ح/ وتنغلق بصوت /م/ لتصنع كل وحدة دائرة مغلقة ولكنها متكررة . ولا شك أن الذي أدى إلى هذا التحول ، ويؤدي إلى غيره من التحولات ، إنما هو السياق . وفي هذا الصدد يقول رينيه ويليك : «إن الأداة الأسلوبية stylistic device ليست ثابتة . إنها دائماً تتغير عن طريق سياقها الخاص»[1] . وهو يضرب مثالاً لذلك حرف العطف الواو : «فحرف الواو عندما يتكرر كثيراً في سياق قصة من قصص الكتاب المقدس يعطي للتعبير معنى الاطراد والوقار . لكن هذه الواو لو تكررت كثيراً في قصيدة رومانتيكية فإنها قد تعطي انطباعاً بالتعويق والإبطاء في وجه مشاعر ساخنة متدفقة»[2] .

وإذا كنا قد سقنا من قبل مثالاً من رواية نجيب محفوظ (الطريق) لتعبيرية استدعاء الشكل اللغوي للفئة التي تستعمله (أستاذ الجامعة ، والصحفي، وأستاذ الخدمة الاجتماعية ، وأحد شيوخ رجال الدين) ، فإن الوقوف عند رصد هذه التعبيرية الاستدعائية لم يوصلنا إلى المغزى الذي يربط بين هذه الجزئية والسياق النصي الذي وردت فيه . وفي هذا الصدد يمكن أن نقول إن النص هنا يحاول ترسيخ نسبية (الطريق) ؛ أي نسبية (الحقيقة) ، من خلال تعداد منظورات مختلفة لرؤيتها . ويزداد هذا الترسيخ تعميقاً عندما نجد أن رد فعل بطل الرواية على هذه الآراء هو «الفتور» و «الحيرة» و «الاستهانة» . ثم

---

(١) يروي أن إسحق الموصلي أنشد الأصمعي هذا النص الذي قاله في غضب المأمون عليه ، فقال له الأصمعي احسن في الشعر ، غير أن هذه الحاءات لو اجتمعت في آية الكرسي لعابتها» - (انظر : د. عبد العزيز عتيق ، ١٩٨٦ - ص ٣٠٧ : تاريخ النقد الأدبي عند العرب . دار النهضة العربية - ط٤) . وبطبيعة الحال فإن الأصمعي هنا يحتكم إلى معيار ثابت ، وهو أن تكرير حرف أو حرفين في كلمات الجملة الواحدة نوع من المعاظلة ؛ أي تعقيد الكلام وموالاة بعضه فوق بعض .

(٢) انظر مقالة رينيه ويليك في : Sebeok, T., (ed.) 1960, p. 417 STYLE IN LANGUAGE. The M.I.T. Press.

هذا التعليق الذي يومئ إلى عدم امتلاك أي من هذه الآراء لسر الحقيقة : «لكن أحداً لم يعرف إن كانت كريمة صادقة أم كاذبة ، ولا إن كان الرحيمي موجوداً أم لا» . وبطبيعة الحال فإن التقابل بين «كريمة» و «الرحيمي» يأخذ في سياق الرواية بعداً يمثل وجهين من وجوه الحقيقة الوجودية .

ومن خلال هذه الوقفات البسيطة ربما يتبين لنا أن الاقتصار على مجرد رصد وجوه الاستدعاء التعبيري لا يكشف عن كثير من طبقات المغزى التي يفيض بها السياق .

وبطبيعة الحال فإن اعتماد الأسلوبية التعبيرية على فكرة الوصف الآلي للغة لا يحل هذا الإشكال . فالسياقات - حتى حالة معينة من حالات اللغة - تتباين وتتنوع . وإذا أخذنا «النص» - اي نص - على أنه سياق ، وإذا أخذنا «الكلمة» على أنها ممثلة لأي شكل لغوي ، فإن ملاحظة ريفاتير التي يقول فيها «إن الأسلوبية التعبيرية أغفلت النظر إلى تجسد المعنى في النص (السياق) ؛ حيث إن معنى الكلمة (الشكل اللغوي) - مهما يكن على مستوى اللغة - يتغير في النص حتماً بفعل ما يسبقها وما يليها»[1] ، تصبح ملاحظة صحيحة ومؤكدة لملاحظة رينيه ويليك السابقة .

ولعل هذه الملاحظة تكتسب مصداقيتها - بشكل متزايد - عند محاولة تطبيق أسلوبية بالي التعبيرية على النصوص الأدبية . فخلو نص معين من جدول هذه العناصر التعبيرية التي قام الأسلوبي بعزلها وتصنيفها سيؤدي - بالضرورة - إلى الحكم على هذا النص بأنه يخلو من «التعبيرية» ، وبأنه بالتالي يخلو من «الأسلوب» . ولا شك أن مثل هذا الاستنتاج يحتمل قدراً كبيراً من

---

(١) انظر ما قاله م. ريفاتير «معايير لتحليل الأسلوب» ص ١٢٥ - في : اتجاهات البحث الأسلوبي - ١٩٨٥ م - ترجمة د. شكري عياد - دار العلوم للطباعة والنشر - الرياض .

الجدل والاختلاف معه . وذلك لسبب بسيط هو أن كل نص (سياق) إنما هو تحقيق لأسلوب . وإذا كان الأمر كذلك فإن غياب عناصر الجدول التعبيري يعد - في حد ذاته - سمة أسلوبية لهذا النص . وفي هذا السياق نتذكر قول ماكنتوش : «إن بعض المؤثرات التي تلفت إليها النظر بشدة يمكن أن نحصل عليها عن طريقة لغة عادية normal تماماً»[١] . ففي سياق النص يتحول العادي إلى غير عادي .

وعلى سبيل المثال فإن ما يسميه ياكوبسون بـ «النزعة الاستعارية» metaphoricism[٢] تعد أحد المؤثرات التعبيرية البارزة في الشعر . ومع ذلك فإننا نجد قصائد جيدة وهي خلو من هذه النزعة : من ذلك مثلاً قصيدة صلاح عبد الصبور «أجافيكم لأعرفكم» في ديوانه «أقول لكم» ؛ حيث نجد النص وقد خلا تقريباً من أي تركيب استعاري عدا ثلاثة تراكيب يمكن أن نطلق عليها أنها تراكيب جاهزة أو مصكوكة (ظهر السوق ، تطول أحاديث الندامى ، بيت السما) ، ومع ذلك فهو يمتلك مؤثراته.الأسلوبية التي «تستلفت إليها النظر بشدة» .

أنا شاعر . .
ولكن لي بظهر السوق أصحاب أخلاءُ
وأسمر بينهم بالليل أسقيهم ويسقوني
تطول بنا أحاديث الندامى حين يلقوني
على أني سأرجع في ظلام الليل حين يفض سامركم

---

(١) انظر : Chotman, S., (ed.) 1971, p. 368 LITERARY STYLE. Oxford University Press.

(٢) انظر دراسة رينيه ويليك "stylistics, poetics, and criticism" في المرجع السابق p. 73 .

6 وحين يغور نجم الشرق في بيت السما الأزرق
7 إلى بيتي
8 لأرقد في سماواتي
9 وحيداً ... في سماواتي
10 وأحلم بالرجوع إليكمُ طلقاً وممتلئاً
11 بأنغامي ... وأبياتي
12 أجافيكم ... لأعرفكم

وحيث إن سياق هذا البحث لا يتيح تحليلاً مفصلاً للكشف عن الجوانب الأسلوبية العميقة في هذا النص فإنني سأكتفي بالإشارة إلى بعض الملامح التي تؤكد تحقيقه لأسلوبه الخاص ، أو لنقل لمغزاه الأسلوبي .

وإذا كان عنوان النص يجسد - منذ البداية - مفارقة واضحة حين يجعل «المجافاة» وسيلة للمعرفة ؛ أي يجعل الابتعاد عن الآخر وسيلة لكثافة حضوره، فإن ثمة عدداً من المظاهر اللغوية والإيقاعية في النص يجسد بدوره هذه المفارقة . ومن ذلك ما يلي :

١ - استخدام ضمير الغياب المُكنّي عن الأصحاب حين يكون الحديث عنهم وهو بينهم (عالم الاندماج) وذلك في : 3,4 واستخدام ضمير الحضور - المخاطب - المكني عنهم أيضاً حين يكون بعيداً عنهم (عالم الوحدة وذلك في : 5,10,12 :

والمغزى هنا **في الحضور غائبون ، وفي الغياب حاضرون .**

٢ - بساطة الجملة عند التعبير عن عالم الوحدة (في : 1,7,8,9,11,12) ، في مقابل تعقيدها (في : 2,3,4) عند التعبير عن عالم الاندماج . وهذا

يتضافر أيضاً مع البساطة الإيقاعية البادية عند الحديث عن الذات في وحدتها ، والكثافة الإيقاعية عند الحديث عنها وهى في عالم الاندماج .

المغزى : **في الوحدة تشف الحقائق وتتجلى ، وفي الاندماج تنعقد الظواهر وتتداخل .**

٣ - المقابلة بين مفهوم التفريغ في عالم الاندماج (تفريغ الكلام ، وتفريغ الشراب ، ثم انفضاض السامر وانطفاء الضوء الكوني ، في : 3,4,5,6) ومفهوم الامتلاء في عالم الوحدة (من خلال التعبير المباشر في 10 ، ومن خلال استخدام صيغ الجموع في 9,11) :

المغزى **الاندماج نقصان ، والوحدة اكتمال**

٤ - تكاثف ضمير الملكية في الكلمات (بيتي ، سماواتي ، أنغامي ، أبياتي) وتكرار شبه الجملة (في سماواتي) ، في الجزء الأخير من النص ، وهو الجزء المتمحور حول صورة عالم الوحدة .

المغزى : **يقين الامتلاك - أو امتلاك اليقين - يتم في عالم الوحدة ، وهذا الامتلاك مظهر من مظاهر يقين المعرفة .**

٥ - المقابلة بين ظرف المكان الأرضي (بظهر السوق) الذي يحدد موقع الأصحاب (عالم الاندماج) ، وظرف المكان العلوي (في سماواتي) الذي يحدد موقع الذات في عالم الوحدة .

المغزى : **الموقع الأول يقيم تماساً واضحاً مع فكرة اللغط والضوضاء المستدعاة من تضمينات (السوق) ، مما يعني إعاقة فعل المعرفة . والموقع الثاني يستعدي فكرة التجرد والسمو ، ومن ثم فكرة علم اليقين ؛ أي المعرفة الحقة .**

٦ - يرتبط بالنقطة السابقة تحديد الظرف الزماني لعالم الاندماج (بالليل) ، في مقابل انتفاء التحديد الزماني لعالم الوحدة :

المغزى : **في عالم الاندماج يكون حس الذات بالزمن - وبخاصة الزمن الليلي المعيق للإدراك الدقيق - عائقاً من التجرد لفعل المعرفة ، في حين تتحرر الذات من هذا الحس في عالم الوحدة لتستغرق في زمن المعرفة المطلقة؛ زمن الحلم (لأرقد في سماواتي ... وأحلم) .**

ومنْ ثم فمن مجموع تنويعات المغزى تلك ينهض المغزى الكلي للنص ، وهو المغزى الذي جسده العنوان حين جعل المجافاة طريقاً للمعرفة . ولقد توافقت تلك التنويعات مع المسار الأسلوبي للنص بتشكلاته المتنوعة أيضاً .

إن ثنائية المعنى في الأسلوبية التعبيرية تفترض ضمناً أن هناك أشكالاً لغوية محايدة أو بريئة . وهو افتراض لا يستند إلى معيار واضح يسنده . فكل استعمال للغة محفوف دائماً بارتباطات وتضمينات عاطفية أو أخلاقية أو إيديولوجية[1] . وإذا كان بالي نفسه قد أقر بعدم وجود انفصال بين الجانب العقلي والجانب الوجداني في اللغة (انظر ص ٤٠ ما تقدم) فإنه بذلك يكون قد أقر ضمناً بأن الأسلوب قائم في كل استعمال لغوي . بيد أنه حين يرى (انظر ص مما تقدم) أن مهمة علم الأسلوب هي بحث لغة العقل ولغة الوجدان في علاقتهما المتبادلة ، وبحث نسبة كل واحدة منهما إلى الأخرى ، ودور كل منهما في تكوين هذا النمط التعبيري أو ذاك ، فإنه بذلك يكون قد أقر ضمناً بإمكان وجود استقلالية بينهما تسمح ببحث دور هذه وتلك . ولقد تبدت نتائج هذا الموقف المزدوج في مفهوم «الاختيار» الذي تبنته أسلوبية بالي ، بل الأسلوبية التعبيرية عموماً . وهذا ما ستتناوله النقطة التالية .

(1) Leech, G., & Short, M., op. cit., p. 18 .

ثانياً: الأسلوب = الاختيار :

لقد أدت هذه النظرية الثنائية إلى تبني مبدأ تفسيري ارتبط بمفهوم التعبيرية ارتباطاً وثيقاً[١] . ويقوم هذا المبدأ على فكرة أن الأسلوب «اختيار» ، وهو المبدأ الذي يظهر بشكل جلي على لسان أحد تلاميذ بالي - وهو كريسو - حين يقول : «إن مهمتنا هي أن نفسر الاختيار الذي يقوم به المتكلم في كل قطاعات اللغة المختلفة ليعطي قوله الدرجة القصوى من التأثيرية»[٢] . وحين نتفحص جوهر هذا المبدأ - في سياق النظرية الثنائية في الأسلوب - نجد أنه يقوم على أن اللغة - بوصفها نظاماً كلياً ، أو شفرة عامة - تقدم للمستعمل عدداً من «البدائل» التي يمكن أن تعبر كل مجموعة منها عن جوهر معنوي واحد ، أو لنقل : عن «مضمون» واحد ، ولكنها تتباين فيما بينها في درجة القوة التعبيرية.

وأول إشكال يواجهنا هنا هو تحديد طبيعة «الاختيار» . فمن الواضح أن بالي يربط ما بين الاختيار والعفوية . فالأسلوب عنده اختيار تلقائي . وعلى هذا الأساس استبعد الأساليب الأدبية لأنها تقوم على الاختيار القصدي . ولكن المشكلة هنا هي أنه وضع مبدأ الاختيار في صورة قطبين متقابلين : العفوية والقصد ، أو لنقل حسب مصطلحات لويس ميليك L. Milic : قطبي الاختيار العفوي اللاواعي unconscious option والاختيار القصدي الواعي conscious choice[٣] . والسؤال هنا هو : كيف ينهض مبدأ الاختيار أصلاً إذا كان مستعمل اللغة يمارسها بشكل خالص العفوية والتلقائية ؟ . إنه سيكون في

---

(١) انظر : Ullmann, S., op. cit. ch. vii

(٢) انظر السابق p. 102. n. 4 .

(٣) انظر مقالة لويس ميليك : "Rhetorical Choice and Stylistic Option : The Conscious and Unconscious Poles" في : Chatman, S., (ed.) op. cit., pp. 77-88 .

هذه الحالة يمارس «عاداته اللغوية» وليس اختياراته الأسلوبية التي تتباين أمامها قيم «البدائل الممكنة في النظام» وتتباين وظائفها ؛ أي تتباين قوتها التعبيرية .

وأتصور أن مبدأ الاختيار - لكي ينهض أصلاً - لابد أن يفرق فيه بين جانبين : جانب إنشاء الرسالة اللغوية نفسها ، وهذه عملية يتداخل فيها الوعي واللاوعي ، أو لنقل : الجبر والاختيار ، وجانب تفسير الرسالة ، وهذا ينظر إلى القصد الكامن خلف العملية الأولى ؛ إلى ما يقصده الوعي وما يقصده اللاوعي على حد سواء . وذلك باعتبار أن «اللاوعي» هو نتاج خبرة وتجارب سابقة ، وأن ما يمكن أن نسميه بـ «اللاوعي اللغوي» إنما هو نتاج مهارة تم اكتسابها إلى أن تحولت إلى «ملكة» فبدت وكأنها - حين الاستعمال - ممارسة خالصة العفوية . ولذلك فإننا حين نحلل نصاً ما ، ونكشف فيه عن أشياء يرى صاحب النص أنها لم تخطر له حين إنشاء نصه ؛ إنما نكشف عن مظاهر لتلك الخبرة الممتدة بامتداد تحول المهارة إلى ملكة ؛ أي أننا نكشف عن قصد الملكة . ومن ثم يكون الأسلوب كامناً في عملية القصد برمتها .

ولقد وصل مبدأ الاختيار ذروة محاولة تقنينه على يد ريشارد أوهمان الذي اعتمد في أسلوبيته على المعطيات المبكرة لنظرية النحو التوليدي التحويلي[1] . وحيث إن هذه النظرية - في بداياتها - قد حللت العلاقة بين التراكيب على ضوء مفاهيم ثلاثة هى « البنية العميقة » ، «البنية السطحية» و «قواعد التحويل» فإنها توصلت إلى الاعتقاد بأن صور التراكيب السطحية التي تنتمي

---

(٣١) حول أسلوبية أوهمان التي اعتمدت على الصورة المبكرة لنظرية النحو التحويلي - انظر :

Leech, G., & Short, M., op. cit. pp. 20-4*

Enkvist, N., E., op. cit. pp. 79-81*

وحول الصلة بين الأسلوبية ونظرية النحو التحويلي يمكن الرجوع إلى مقالة ج. ب. ثورن : «النحو التوليدي والتحليل الأسلوبي» في : اتجاهات البحث الأسلوبي - ترجمة د. شكري عياد - سبق ذكره - ص ١٥٥ - ١٦٩ .

إلى بنية عميقة واحدة ، أي إلى مضمون دلالي واحد ، إنما هي تراكيب «مترادفة» ، وأن تلك البنى السطحية المختلفة يمكن ردها إلى هذه البنية العميقة الواحدة عن طريق قواعد التحويل . وبناء على هذا التصور أقام أوهمان دراسته الأسلوبية على أساس أن الاختلافات بين الأساليب إنما ترجع إلى اختلاف تطبيقات «قواعد التحويل» ما بين تطبيق مكثف (كما في أسلوب فوكنر)، أو أقل كثافة (كما في أسلوب هيمنجوي) . . . إلخ .

ولقد كانت تلك الفكرة (فكرة اتفاق المعنى واختلاف الأسلوب) مثار نقد لدى بعض اتجاهات الأسلوبية الأخرى ، وبخاصة لدى من أسماهم ليتش وشورت بأصحاب النظرية التوحيدية monism في الأسلوب[1] . فهؤلاء يذهبون إلى أن أي تركيبين لغويين مختلفين إنما ينتجان معنيين مختلفين ، وبالتالي أسلوبين مختلفين . ولقد تبنى الأسلوبيون القائلون بذلك مبدأ يرى أن «الأسلوب هو المعنى»[2] ؛ أي أنه ليس حلية إضافية زائدة على المعنى المعرفي ، وليس اختياراً بين مترادفات ؛ لأنه - ببساطة - ليس هناك مترادفات تعبر عن معنى واحد . وتعود جذور هذا الاتجاه إلى فلسفة كروتشه[3] ، بيد أنه وجد تعبيره الأقوى - في قرننا الحالي - في الاتجاه النقدي الأنجلو - أمريكي المسمى

---

(١) انظر : Leech, G., & Shor, M., op. cit. pp. 24-6.

(٢) ويمكن القول أن النظرية التأليفية في عدم الدلالة تقدم دعماً قوياً لهذا المبدأ . ففي هذه النظرية يقوم التوصل إلى تعيين التمثيلات الدلالية للجمل على أساس أنه يتم بالتأليف بين المكونات الدلالية للوحدات المعجمية التي تؤلف عناصر الجملة ، وتعيين العلاقات النحوية القائمة بين هذه العناصر ؛ حيث إن «نسق الصرفيمات morphemes نفسه يمكن أن يعني أموراً مختلفة عندما يوضع في ترتيبات تركيبية مختلفة» - انظر : Katz, J., 1972, pp. 35-36: Semantic Theory. Harper & Row, New York. وانظر كذلك: Atkinson, M., et. al., 1982, p. 189; pp. 199-216: Foundations of General Linguistics. UNWIN HYMAN, London.

(٣٤) انظر دراسة رينيه وبليك المشار إليها في (٢٠) p. 70 .

بـ «النقد الجديد» New Criticism . وقد لخص ويمسات - وهو أحد ممثلي هذا الاتجاه - هذا المبدأ بقوله : «يبدو لي أن ليس ثمة ضرورة لتقديم برهان على المبدأ القائل بتماهي الأسلوب والمعنى ، وهو المبدأ الذي استقر اليوم بثبات . إنه - كما يبدو لي - المبدأ الذي لا يكاد المنظر الحديث يهرب منه ، بل لا يكاد يرغب في ذلك[١] .

وقد يكون في هذه النظرة - أو هذا المبدأ - نوع من حدة المغالاة التي توجد - في محصلتها الأخيرة - تماهياً تاماً بين «علم الدلالة» و «علم الأسلوب» ؛ وبالتالي فإن أحدهما يفقد شرعية وجوده بوصفه علماً مستقلاً . ومن ثم فإن حل هذا الإشكال عن طريق التفريق بين «المعنى» و «المغزى» قد أسهم في إنقاذ البحث الأسلوب من الوصول إلى طريق مسدود . وذلك على أساس أن الترادف يقع في «المعنى» ؛ أي في المحمول المنطقي ، أو في «البنية العميقة» بمفهومها في كتابات تشومسكي المبكرة[٢] ، أما «المغزى» فهو شيء كامن في الأسلوب ؛ أي في آليات الاختيار ، وسياقه ، وغاياته ، مما تكشف عنه تجربة القراءة .

وحتى تقترب هذه المسألة من درجة الوضوح فإنني أسوق الموقف التالي الذي جاء في كتب التراث[٣] ، وهو عبارة عن حوار دار بين أبي العباس المبرد

(١) ترد عبارة ويمسات هذه في دراسة شاتمان المشار إليها في (٢) من مراجع المدخل p. 405 .

(٢) حول تطور مفهوم البنية العميقة في لسانيات تشومسكي انظر : Matthews, P., H., "Deep Structure" pp. 148-158. في : Allerton, D., J., et. al. (eds.) 1979: Function and Context in Linguistic Analysis. Cambridge Uni. Press.

(٣) انظر مثلاً :

عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز - ص ٢٠٥ - تحقيق محمد رشيد رضا - مطبعة محمد علي صبيح - ط ٦ .

فخر الدين الرازي : مفاتيح الغيب - ١/١٢٧ - دار الفكر - بيروت .

السكاكي : مفتاح العلوم - ص ١٧١ - دار الكتب العلمية بيروت .

والكندي ، وذلك حين تساءل هذا الأخير قائلاً : «إني أجد في كلام العرب حشواً ؛ يقولون : عبد الله قائم ، ثم يقولون : إن عبد الله قائم ، ثم يقولون : إن عبد الله لقائم ، والمعنى واحد» . فأجابه المبرد بقوله : «بل المعاني مختلفة . فقولهم : (عبد الله قائم) إخبار عن قيامه ، وقولهم : «إن عبد الله قائم) جواب عن سؤال سائل ، وقولهم :(إن عبد الله لقائم) جواب عن إنكار منكر قيامه» . فالكندي هنا ينطلق من تصور منطقي للمعنى : فهذه التراكيب الثلاثة التي ذكرها تحمل معنى واحداً ؛ أي قضية منطقية واحدة ، موضوعها (عبد الله) ومحمولها (القيام) . وبالتالي فإن كل هذه التراكيب مترادفة . أما المبرد فهو يرى أن كل تركيب يحقق - بالإضافة إلى هذا المعنى - مغزى يشير إلى اختلاف سياق الخطاب وعلاقة طرفية (المتكلم والمخاطب) بمضمون الرسالة .

وقد لا يكون من قبيل الاستطراد أن نقول إن عبد القاهر الجرجاني أخذ تفرده في التفكير البلاغي العربي من إيمانه بهذه الفكرة ، وإلحاحه عليها ، وذلك حين يقول بوضوح : «ولا يغرنك قول الناس : قد أتى بالمعنى بعينه ، وأخذ معنى كلامه فأداه على وجهه ، فإنه تسامح منهم . والمراد أنه أدى الغرض . فأما أن يؤدي المعنى بعينه على الوجه الذي يكون عليه في كلام الأول حتى لا تعقل ههنا إلا ما عقلته هناك . . ففي غاية الإحالة»[1] . فـ «الغرض» الذي يعنيه الجرجاني هذا هو ذلك المحمول المنطقي، أو لنقل هو «المعنى» المقابل لـ «المغزى» .

على أن هذا الحل بدوره - أقصد الحل عن طريق التفريق بين المعنى والمغزى - قد يفضي إلى شكل آخر من أشكال الثنائية ، وحينئذ نتساءل : وما معيار التفريق بين المعنى والمغزى ؟ وأين ينتهي هذا ليبدأ ذلك ؟ . وهنا يمكن أن

(١) عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز - ص ٢٦٠ .

نقول إن هذا التفريق أمر ضروري ، على الأقل من الناحية النظرية . فمما لا شك فيه أن الحس اللغوي لا يمكنه إلا أن يقر بوجود تلك الصلة المشتركة التي رآها الكندي - مثلاً - في التراكيب السالفة الذكر . وهذا ما يؤكده ليتش وثورت أيضاً عندما يقولان إن ثمة «اعتقاداً منتشراً يرى أن المضمون الأساسي للجملة قابل للتعبير عنه في صورة قائمة من القضايا الأولية تؤلف مع العلاقات المتبادلة فيما بينها بنيتها العميقة ، أو تمثيلها الدلالي . وهناك كثير من المدارس اللسانية تأخذ بمسلمة مبدأ الترادف - أو المعنى نفسه في صور مختلفة - بوصفها حقيقة أساسية»[1] .

غير أن تلك القابلية ، أو هذه المسلمة ، إنما تعود إلى إحدى الملكات الأساسية في الذهن البشري ، وهي قدرته الدائمة على التجريد وإدراك التشابه من خلال إسقاط الاختلافات . ولا شك أن هذه القدرة إنما «تعمل» وفق قانون الاهتمام ، وهو - بطبيعته - قانون سياقي ؛ بمعنى أنه يتغير من موقف إلى آخر ، ومن حالة إلى أخرى . فما يبدو غير مثير للاهتمام في موقف قد تكون له الأهمية كلها في موقف آخر . وبالتالي فإننا قد نكون في موقف يمثل فيه إدراك الصلة بين الجمل المشتركة في بنيتها العميقة (إدراك المعنى) مغزى دالاً على طبيعة اهتمامنا : ومن هنا يعبر موقف الكندي - مثلاً - عن طبيعة اهتمامه المنطقي .

وإذن يمكن القول إنه لا يوجد استعمال للغة إلا والمغزى كامن فيه ، وإننا عندما نقارن بين اختيار واختيار إنما نقارن بين مغزى ومغزى . ولعل الثغرة التي لا تستطيع ثنائية أوهمان الدفاع عنها هي أنه تصور - بإجراءاته التحويلية - أنه يرد المغزى إلى المعنى . فهو عندما سلب جمل فوكلر - مثلاً - من إجراءاتها التحويلية ، وردّها إلى جمل بسيطة أساسية kernel sentences ، إنما قدم جملاً

(١) انظر : Leech, G., & Short, M., op. cit. p. 23.

يمكن أن نجدها في نـص آخر ، فتشكل بذلك سمة أسلـوبية ذات «مغزى» في سياقها الجديد .

ولما كانت فكرة «المغزى» تـرتبط ارتباطاً وثيقاً بفكرة تعدد الـوظائف اللغوية فقد كان المدخل الأسلوبي التعددي - متمـثلاً في الاتجاه الوظيفي وبخاصة عند هالـيدي - ذا جـدوى واعدة - في أكـثر من نـاحيـة - لسد ثـغرات الثـنائـية الأسلوبية . ففي حين حصر بالي وظائف اللغة فـي وظيفـتين هـما التعبـير عن الفكر ، والتعبير عن الوجـدان ، فإن هاليدي يرى أن للغة ثلاث وظائف[1] هى :

* الوظيفة التصورية ideational وهى قيام اللغة بالتعبير عن الحقائق الإدراكية والمعرفية ، وكذلك قيامها بتنـظيم هذه الحقائق ، خلال تجربة الإنسان مع عالم الواقع .

* الوظيفة التـفاعلية interpersonal حيث يستخدم المتكـلم أو الكاتب اللغة بوصفها وسيلة لإقحام ذاته في الحدث الكلامي ، وذلك من خلال قيامها بالتعبير عن تعليقاته وميوله ، وتقويماته ، وعن علاقته بمستمعه .

* الوظيفة النصية textual حيث تقوم اللغة بالإشارة إلى ذاتها خلال النص . وبهذه الوظيفة يحقق النص تماسكـه الدلالي ، ويقرر العلاقات القائمة بين جملـه وأجزائه . وتبدو هذه الـوظيفة بوضوح فـي تعبيرات مثـل : كما أشرت سابقـاً ، وخلاصة ما سبق ، وسـيأتي الحديث عن ذلـك ، وعلى العكس من ذلك ، وبالإضافة إلى هذا . . . إلخ ، كما تبدو في مؤشرات

---

(١) انظر دراسة هـاليدي « Linguistic Function and Litrary Style: An Inquiry into the Language of William Golding" "The Inherthors" » في Chatman, S., (ed.) 1971, op. cit. p. 332-34 .

عود الضمير والإشارة إلى الخطاب نفسه مثل : (هذه قصة من قصص ألف ليلة وليلة) ، أو إلى أجزاء منه مثل : (في هذه المقدمة ساشرح . . . ، . . . إلخ) .

ومن خلال تأكيد هاليدي على مكانة علم الدلالة في الأسلوب[1] ، وتأكيده على أن وظائف اللغة تؤثر على بنيتها[2] ، فإن الأسلوب عنده يكون قائماً في كل اختيار لغوي ، بما في ذلك اختيار موضوع الحديث[3] . فالنظام اللغوي عند هاليدي شبكة من الاختيارات الوظيفية المتقابلة على كل مستويات هذا النظام :

أ - المستوى الصوتي: الأصوات المجهورة في مقابل المهموسة، والصوامت في مقابل الحركات ، والشديدة في مقابل الرخوة . . . إلخ .

ب - المستوى الصرفي : التقابلات القائمة في إطار مقولة العدد : المفرد والمثنى والجمع ، والتقابل في إطار مقولة النوع : المذكر والمؤنث ، والتقابل في إطار مقولة التعيين : النكرة والمعرفة . . . إلخ .

ج - المستوى النحوي : الجملة الفعلية في مقابل الاسمية ، والاستفهامية في مقابل الخبرية ، والجملة البسيطة في مقابل المركبة أو الموسعة . . . إلخ .

د - المستوى الدلالي : أسماء المحسوسات في مقابل أسماء المعاني ، المحسوسات الحية في مقابل المحسوسات غير الحية ، المحسوسات الحية الإنسانية في مقابل المحسوسات الحية غير الإنسانية . . . إلخ .

---

(1) Ibid. p. 330 .

(2) Ibid. p. 333.

(3) Ibid. p. 346.

ومن ثم فـإن كل اختيار يقـوم به الكاتب يمـكن أن يُرى على ضوء خلـفية مقابل آخر ، ومن خلال هـذا التقابل يمكن أن يتكشف لنـا مغزى هذا الاختيار أو ذاك .

وللتمثـيل لذلك نأخذ - في عجـالة سريعة أيضاً - نصـاً آخر من نصوص صلاح عبد الـصبور الشعرية هو قـصيدة «الصمت والجناح» فـي ديوانه «أحلام الفارس القديم» (الأعمال الكاملة ، ص ٢١٧) .

1 - الصمت راكد ركود ريح ميته*
2 - حتى جنادب الحقول ساكته
3 - وقبة السماء باهته
4 - والأفق أسود وضيق بلا أبواب
5 - منكفىء من حيثما التفت كالسرداب
6 - ونحن ممدودان في ظلال حائط قديم
7 - مفترشان ظلنا
8 - ملتحفان بالعذاب
9 - وفجأة أورق في حقل السما نجم وحيد
10- ورف في الصمت البليد ريش طائر فريد
11- همست يا صديقتي توجهي لربنا
12- وناشديه أن يبث في ظلالنا
13- رفرفة الحياة من جديد

(*) هكذا ورد السطر الأول فـي الديوان . وهو بمعايير العروضـيين للرجز لا يستقيم . فـهل هو مقصور قصداً فنياً بحيث يوازر العدول الإيقاعي الدلالة الكامنة التي يجسدها الجزء الأول من النص كما سنرى بعد قليل ؟ أم ان السطر في اصله كان سطـرين : الأول : الصمت راكد ، والثاني ركود ريح ميته : ومن ثم فوروده عـلى هذا النحو مـجرد خطأ مطبـعي ؟ . إن كانت الثانـية فهو خطأ صـادف سياقاً فاستوى!! .

ولعله من الواضح - بدءاً من القراءة الاستكشافية الأولى - أن النص يقيم تقابـلاً بين عالمين : عالم "الـصمت" (1-8) وعالم "الجـناح" (9-13) وإذا كـان الصمت ينطوي على المكون الدلالـي (- كلام) والجناح ينطوي على المكون (+ حركة) فإن الجمع بينـهما يقيم تفاعلاً دلالياً فيتحول مـكون كل دالة إلى نقيض مكون الدالة الأخرى . ومن ثم يصبح مـكون الصمت هو (- حركة) ومكون الجناح هو (+ كلام) . ولقد انعكس ذلك في النص فرأينا عالم الصمت يتجسد في دوال انعدام الحركة ، ورأينا عالم الجناح يخترق الصمت البليد ، ويستدعى دائنتين كلاميتين واضحتين : همست ، وناشديه .

وإذن يمكن القول إن بنـية الصمت في هذا النص هى قـطب السلب ، في حين أن بنية الجناح هـى قطب الإيجاب . ويكون من مهمة التـحليل الأسلوبي هنا أن تستكـشف الكيفية التي انبـنى بها أسلوب النص من خلال انـقسامه إلى أسلوبين متقابلين ؛ أي أن نرى بنية عالم الصمت على ضوء بنية عالم الجناح ، وبنية عالم الجناح على ضوء بنية عالـم الصمت . وطبيعة الحال فإن من المتوقع أن ينعكس هذا التقابل على كل مستويات التشكيل اللغوي للنص .

ولعل فيـما سبق إشارة إلى الـتقابل على مسـتوى المكون الدلالي لـلدالتين المحوريتـين فـي النص ؛ دالـة الصمت التي يـدور في فلكهـا الجزء الأول من النص ، دالة الجناح التي تمثل محور الجـزء الثاني . وإذا كنا قد رأينا مكون كل واحدة مـنهمـا على ضـوء مكون الأخـرى ، فإن نظـرة سريعـة إلى المكـونات الدلالـية للدوال الأخـرى الواردة في الجـزء الأول ، وتلك الواردة فـي الجزء الثاني ، تكشف - بوضوح - عن هذا التقابل نفسه :

* عالم الصمت = قطب السلب :

الركود = (- حركة)

ميتة = (- حياة)

ساكنة = (- صوت)

باهتة = (- لون)

ضيق = (- اتساع)

منكفئ = (- اعتدال)

بلا أبواب = (- المفتاح)

قديم = (- جدة)

* عالم الجناح = قطب الإيجاب :

أوراق ، حقل = (+ اخضرار)

نجم = (+ ضوء)

رف ، توجهي ، يبث ، رفرفة = (+ حركة)

همست ، ناشديه = (+ كلام)

وحيد ، فريد ، جديد = (+ جدة)

وإذا كان هذا التقابل واضحاً على مستوى المكونات الدلالية لدوال النص فإنه يتعزز بتقابلات أخرى على المستويين : الصوتيمي والتركيبي . فعلى المستوى الصوتيمي يمكن أن نرصد ثلاث ملاحظات :

أ - التقابل بين شيوع الحركة الطويلة (الألف) في الجزء الأول ، وشيوع الحركة الطويلة (الياء) في الجزء الثاني :

المغزى : **تجسيد انطباع المخالفة والتغاير نتيجة تغاير الانطباع السمعي الناجم عن الحركتين .**

ب - ازدياد نسبة شيوع صوتيم /ر/ في الجزء الثاني بشكل يستلفت النظر : فعلى الرغم من قصر هذا الجزء بالنسبة للجزء الأول فإن هذا الصوتيم يتكرر في الجزء الثاني ٨ مرات ، وفي الجزء الأول ٥ مرات .

المغزى : **استغلال خصيصة التكرارية في هذا الصوتيم مما يعضد من تلك الحركية المهيمنة في الجزء الثاني قياساً على الجزء الأول .**

ج - ازدياد نسبة شيوع صوتيمي /ب/ و /ت/ في الجزء الأول عنها في الجزء الثاني بدرجة تصل إلى الضعف . والصوتيمان كلاهما انفجاري :

المغزى : **تحقيق التجاوب مع الضيق النفسي المهيمن على الجزء الأول .**

وعلى المستوى التركيبي يمكن أن نلاحظ التقابل واضحاً بين تراكم الجمل الاسمية في الجزء الأول من النص ، وتركم الجمل الفعلية في الجزء الثاني . وكذلك بين استخدام الجمل الخبرية التقريرية في الأول ، وتنوع جمل الجزء الثاني بدخول التراكيب الإنشائية (يا صديقتي ، توجهي ، وناشديه) :

المغزى : **تعزيز لدلالة المسئولية في عالم الصمت ، ودلالة الحركية في عالم الجناح .**

وبطبيعة الحال فإن كل اختيار من هذه الاختيارات الأسلوبية إنما اتخذ مغزاه من خلال السياق الذي ورد فيه . وفي هذه الحالة لا يقتصر الأمر على فحص الأسلوب في المظاهر اللغوية بمعناها الخالص ، وإنما يتعدى ذلك إلى كل ماله صلة بكيفية العمل : فإذا كان هذا العمل مثلاً نصاً قصصياً فإن بنيته الكلية ، والشخصيات ، والمواقف ، والحبكة ، كل ذلك يدخل في تحليل أسلوب هذا

النص[1] . وإذا كان النص نصاً شعرياً فإن مـن المهم أن نلتفت إلى الدور الذي يلعبه التشكيل الإيقاعي ، وتشكلات القافية ، والتوزيع الكتابي لسطور النص، متزامناً كل ذلك مع المـعطيات اللغوية التي أشرنا إلى بعـض مظاهرها . وهكذا تتحول الأسلوبية مـن مجرد علم تصنيفي - كما هى أسلـوبية بالي - إلى علم وظيفي تحليل ممتد الآفاق .

(١) ينسب رينيه ويليك هذا المبدأ إلى Ulrich Leo - انظر دراسة ويليك المشار إليها في (٢٠) أعلاه .

الدلالة الزمنية لصيغة الماضى فى العربية

دراسة فى ضوء السياق اللغوى

بقلم الدكتور
محمد رجب محمد الوزير

مجال هذا البحث هو دراسة الدلالة الزمنية لصيغة الماضى فى ضوء السياق . وترجع أهمية هذه الدراسة إلى أنها تصوغ الدلالة الزمنية لصيغة الماضى فى ضوء سياقات نصوص لغوية متنوعة لم تكن شريحة مألوفة اعتمد عليها النحاة ، فالنصوص في البحث لم يؤلف درسها من قِبَل النحاة . وتهدف هذه الدراسة إلى :

(١) صوغ الدلالات الزمنية الرئيسة لصيغة الماضى العربية وما يتفرع عنها من دلالات تختلف باختلاف الجهة من قرب أو بعد أو استمرار أو تكرار أو انتهاء . . . إلخ .

(٢) بيان العلاقة بين الدلالة الزمنية لصيغة الماضى وما يجاورها من دلالات زمنية لصيغ أخرى فى سياق النص نفسه .

(٣) بيان آراء العلماء العرب قدامى ومحدثين فى الدلالة الزمنية لصيغة الماضى .

---

* اجيز هذا البحث بعد تحكيمه فى عام ١٩٩٥م .

(٤) بيان الجهد الذى قام به المستشرقون لدراسة الدلالة الزمنية لصيغة الماضى العربية..

ومادة هذا البحث نصوص لغوية جُمِعت من مظان عديدة ومتنوعة هى :

القرآن الكريم ، والحديث النبوى الشريف من كتابَىْ : أوصاف النبى ﷺ للترمذى (ت ٢٠٩هـ) ، وفتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢هـ) ، والحكايات الواردة فى كتابين فى التفسير ، هما : الكشاف للزمخشرى (ت ٥٣٨هـ) ، وتفسير الفخر الرازى (ت ٦٠٤هـ) ، وكتاب مجمع الأمثال للميدانى (ت ٥١٨هـ) ، والدواوين الشعرية ، وهى : ديوان امرئ القيس ، وديوان عنترة بن شداد ، وديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس ، وديوان سحيم عبد بنى الحسحاس ، وديوان عمر بن أبى ربيعة ، وديوان الفرزدق ، الشعر الوارد فى المراجع الأدبية ، وهى : الأصمعيات للأصمعى (ت ٢١٣هـ) ، ورسائل الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) ويتيمة الدهر للثعالبى (ت ٤٢٩هـ) ، وكتب المغازى والسير والطبقات ، وهى : المغازى للواقدى (ت ٢٠٧هـ) والسيرة النبوية لابن هشام (ت ٢١٣هـ) ، والطبقات الكبرى لابن سعد (ت ٢٣٠هـ) ، وكتب التاريخ ، وهى : فتوح البلدان للبلاذُرِىّ (ت ٢٧٩هـ) ، وتاريخ الرسل والملوك للطبرى (ت ٣١٠هـ) ، ومروج الذهب للمسعودى (ت ٣٤٦هـ) ، والكامل فى التاريخ لابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) .

إن جهود علماء النحو القدامى والمفسرين فى توضيح مسائل متفرقة عن الزمن فى العربية أضاف إليها اللغويون العرب المحدثون جهوداً كبيرة فى مجال دراسة زمن الفعل ووضع تصور عام لدلالاته المختلفة ، وعمل جداول زمنية له ، وبحث مسائل فرعية متعلقة بالزمن ، ومن أبرز هؤلاء اللغويين فى هذا

المجال : الدكتور إبراهيم أنيس فى كتابه : من أسرار اللغة ، والدكتور تمام حسان فى كتابيه : مناهج البحث فى اللغة ، واللغة العربية معناها ومبناها ، والأستاذ حامد عبد القادر فى مقاله : معانى الماضى والمضارع فى القرآن الكريم ، المنشور فى مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة - الجزء العاشر ، والدكتور مهدى المخزومى فى كتابيه : فى النحو العربى نقد وتوجيه ، وفى النحو العربى ، قواعد وتطبيق على المنهج الحديث ، والدكتور إبراهيم السامرائى فى كتابه : الفعل زمانه وأبنيته ، والأستاذ عباس العقاد فى مقاله : الزمن فى اللغة ، المنشور فى مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة - الجزء الرابع عشر ، والدكتور حسن عون فى مقاله : عن الأساليب التعبيرية : كان + الماضى بدون قد - هذه هى مثار البحث ، وهو منشور فى مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة الجزء الثامن والعشرون ، والدكتور محمود فهمى حجازى فى كتابه : المدخل إلى علم اللغة ، والدكتور مالك يوسف المطلبى فى كتابه : الزمن واللغة .

أما هذا البحث فإنه يحاول مايأتى :

أولاً : دراسة الدلالة الزمنية لصيغة الماضى فى ضوء سياقات نصوص لم تكن مألوفة لدى النحاة واللغويين .

ثانياً : بيان حد الثراء الزمنى الذى يفوق القسمة الثلاثية (الماضى والحاضر والمستقبل) بقسمين ، هما : الدلالة على ما قبل الزمن الماضى والدلالة على زمن ما بعد المستقبل اعتماداً على السياق ؛ مما جعل التصور عن الزمن العربى ليس مقصوراً على الأزمنة الثلاثة .

ثالثاً : وضع الأفكار المطروحة فى إطار الفكر اللغوى ، قديمه وحديثه ، عربيته

وأوربيته ، ولم يُمَثَّل فيها بوجهة نـظر واحدة . وفى النهاية النص هو الحكم للوصول إلى الحقيقة العلمية المنشودة .

منهج التحليل :

يقوم المنهج التحـليلى لدراسة الدلالة الزمنية لصيغة المـاضى فى العربية فى ضوء السياق اللغوى على عدة أسس توضح فى النقاط التالية :

(١) تُحَدَّد الدلالة الزمنية لصيغة الماضى فـى البحث وكذلك جهتها من قرب أو بعد أو استـمرار أو تكرار أو انتهاء أو غـير ذلك فى ضوء السيـاق اللغوى للنصوص .

(٢) إذا وردت للـدلالة الزمنـية لصيـغة الماضى فـى ضوء سياق مـعين دلالات أخرى فرعيـة لها ، ذكرت الدلالة الرئيـسة بأمثلتهـا ، فالدلالات الأخرى الفرعية بأمثلتها .

(٣) إذا وردت دلالة زمنية كثيرة الاستعمال لـصيغة الماضى فى ضوء سياق معين أو موقع معين ، وأخرى مختلفة عنها وأقل استعمالاً منها ، ذكرت الأولى بأمثلتها ، فالأخرى بأمثلتها ، وأشير إلى الاختلاف بينهما .

(٤) تتم دراسة الـدلالة الزمنية لصـيغة الماضى فى كـل قسم فى حالة مجيـئها مثبتة ، فمجيئها منفية .

(٥) يُشار فـى البحـث إلى العلاقـة بين الدلالـة الزمنـية لصيـغة الماضـى وما يجاورهـا من دلالات زمنية أخـرى فى سياق النـص نفسه ؛ مما يـكون له الأثر الأكبر فى تحديد الدلالة الزمنية لصيغة الماضى بدقة .

(٦) يكون التركيز فى اختيار المادة من القرآن الكريم على آيات السور التى تتميز بالسياق القصصى الذى استخدمت فيه صيغة الماضى بكثرة وبدلالات زمنية

متنوعة ، كما في سورة البقرة وآل عمران والمائدة والأعراف ويوسف وابراهيم والنحل والكهف والنمل على سبيل المثال . ويفيد الباحث من كتب التفسير في إلقاء الضوء على سياق آيات تلك السور وغيرها ؛ حتى تتضح الدلالة الزمنية لصيغة الماضي فيها .

كما يكون التركيز أيضاً على كتب التاريخ التي قدمت الحكاية بأدق تفصيلاتها المرتبطة بتحديد الدلالة الزمنية وتعدد أنماطها من شخصيات وأحداث وملابسات وأحاديث مباشرة بعد لفظ (قال) أو ما في معناه أو محاورات وغير ذلك .

(٧) يُلْقى الضوء على ما يحيط بالنص الوارد في البحث من مناسبات وملابسات وشخصيات ؛ مما يوضح الدلالة الزمنية لصيغة الماضي في ضوء سياقها اللغوي .

(٨) تُحلَّل مكونات بعض التراكيب الفعلية التي تحتوي على صيغة ماضٍ ، كما هو الحال مثلاً في أفعال الشروع التي تكوّن هي وصيغة المضارع بعدها وحدة واحدة لا تنفصل ، مؤداها أن حدثاً قد بدئ به في الماضي .

(٩) يوضح الباحث آراء علماء العربية القدامى واللغويين المحدثين من العرب والأوروبيين في كل دلالة زمنية لصيغة الماضي على حدة ، ويحلل هذه الآراء ويقارن بينها من حيث تناول هذه الدلالة ، ومدى قرب كل رأي أو بعده من الحقيقة التي تظهرها النصوص .

(١٠) تذكر في البحث المصطلحات المختلفة التي أطلقها العلماء على دلالة زمنية معينة لصيغة الماضي ، ويُختار أقربها نفعاً من الناحية العلمية لهذه الدلالة ، مع بيان سبب الاختيار .

(١١) إذا تُرْجم رأي لمستشرق في البحث ، وكانت أمثلته التي أوردها دليلاً

على رأيه غير موثقة ، ذكر رأيه واستُعيض عن أمثلته بأمثلة أخرى مماثلة موثقة يأتي بها الباحث من مظانها ويشير إلى هذه المظان فى الهامش .

(١٢) يُستعان فى البحث بجدول إحصائى لبيان عدد الأفعال الماضية التى وردت فى سياق « حكاية الحال الآتية » عما أخبر به الله عز وجل عن أحداث يوم القيامة وأوصافها وقرب مجيئها ، وبيان مواضع هذه الأفعال فى القرآن الكريم وعدد مرات ورودها ونسبتها المئوية للوصول إلى نتيجة علمية دقيقة .

(١٣) رغم الاعتماد على الوصف متمثلاً فى النصوص ، والتحليل المعتمد على آراء القدامى والمحدثين ، فإن البحث يصل إلى نقد جملة من الآراء وإثبات بعض الآراء لدى الباحث .

وانطلاقاً من هذا كله ينتظم البحث إلى الأقسام التالية :

القسم الأول
دلالة صيغة الماضي على الزمن الماضي

لصيغة الماضي في مجال الزمن الماضي دلالات عديدة متنوعة ، هي :

أولاً : الدلالة على حدث مُنْتَهٍ في وقت ما من الماضي .

ثانياً : الدلالة على حدث بُدِئ به في الماضي وانتهى فيه كذلك .

ثالثاً : الدلالة على قرب وقوع الحدث في الماضي .

رابعاً : الدلالة على تكرار وقوع الحدث في الماضي .

خامساً : الدلالة على استمرار وقوع الحدث في الماضي .

سادساً : الدلالة على انتهاء وقوع الحدث في زمنٍ ماضٍ قريب من لحظة التكلُّم .

سابعاً : الدلالة على الزمن الماضي الدائم .

وفيما يلي بيان لهذه الدلالات في ضوء السياق بالتفصيل :

أولاً : دلالة صيغة الماضي على حَدَثٍ مُنْتَهٍ في وقت ما من الماضي :

وهي أكثر دلالات هذه الصيغة شيوعًا في العربية ، نحو :

« حَضَرَ الطلابُ » ، و « فَهِموا الدرسَ » .

« كَبِرَ عليٌّ » ، و « أُلْحِقَ بالمدرسة » .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إذ أَوَى الفتيةُ إلى الكَهْفِ فقالوا ربَّنا آتنا من لدنك رحمة ﴾ [1] .

---

(١) سورة الكهف ، الآية ١٠ .

إن حدَثَى : الأُوىّ والقول ، كما دل عليهما سياق الآية ، انتهيا فى وقت ما من الماضى ، دون تحديد جهة زمنية معينة ؛ كالقرب مثلاً أو البعد أو الاستمرار أو التكرار . . . إلخ .

ومنه قول امرئ القيس [(١)] :

وأدْبَرْنَ كالجَزْعِ المُفصَّلِ بَيْنَهُ ∴ بجيدِ الغُلامِ ذى القميص المُطَوَّقِ

فإدبار البقر الوحشى حدث منته فى وقت ما من الماضى ومن ذلك حديث الحسن بن أبى الحسن البصرى ، عن مسراه ، ﷺ . يقول الحسن :

« فمضى رسولُ الله ، ﷺ ، ومضى جبريلُ عليه السلام معه ، حتى انتهى به إلى بيت المقدس ، فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى فى نفر من الأنبياء ، فأمَّهُمْ رسولُ الله ، ﷺ ، فصلَّى بهم » [(٢)] .

إن أحداث : المضىّ ، والانتهاء ، والوجود ، والإمامة ، والصلاة ، كما دل عليها سياق الحديث ، أحداث منتهية فى وقت ما من الماضى .

وتعرض فيما يلى عدة تعريفات لهذا النوع من الاستعمال ثم تتبع ببعض الملاحظات عليها . فمن هذه التعريفات :

(١) تعريف سيبويه الذى اعتمد فيه على ذكر أشكال متنوعة من صيغ الماضى دالة على الزمن الماضى ، دون تحديد لأية جهة ، يقول : « فأما بناء ما مضى فذَهَب وسَمِع ومكُث وحُمِد » [(٣)] .

---

(١) ديوان امرئ القيس : ص١٥٣ ، البيت ٢٧ من قصيدته (الا انعم صَباحاً) ، والبيت من بحر الطويل . ويعنى بـ (ادبرن) : البقر الوحشى ، شبّههن فى صفائهنّ وبريقهن واختلاف الوانهن بالجزع ، وهو الخرز .

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية : ٢/ ٣٩٨ .

(٣) الكتاب : ١/ ١٢ .

(٢) عَرَّف الزمخشرى هذا النوع بأنه « الدال على اقتران حَدَثٍ بزمان قبل زمانك »[١] .

(٣) سمَّاه الدكتور تمام حسان « الماضى البسيط »[٢] وعرَّف البساطة بأنها « الخلو من معنى الجهة أو بعبارة أخرى عدم الجهة فيكون معنى الجهة هنا معنى عدميا »[٣] .

(٤) أطلق الأستاذ حامد عبد القادر عليه اسم « الماضى المطلق »[٤] ورأى أنه « أبسط الأنواع وأعمها فى الدلالة . . . أما أنه أعمها فى الدلالة فلأنه يدل على مجرد وقوع الحدث فى الماضى دون الإشارة إلى قرب أو بعد أو استمرار أو انقطاع أو توكيد أو غيره »[٥] .

وتابعه فى هذه التسمية الدكتور مهدى المخزومى ، فيشير إلى أن بناء (فَعَلَ) يدل « على أن العمل تَمَّ فى زمان ماضٍ مطلق ، مثل قولهم : دخل الزائرون وجلسوا فى أماكنهم ، وهو الاستعمال الأصل والدلالة الأساس فى بناء (فعل) »[٧] .

(٥) أشار الدكتور مالك المطلبى إلى أن صيغة الماضى تُعَبِّرُ « عن دلالة زمنية غير محددة فى الماضى »[٧] .

---

(١) ذكر ابن يعيش هذا التعريف (فى شرح المفصل : ٧/٤) وشرحه بقوله : « الماضى ما عدم بعد وجوده فيقع الإخبار عنه فى زمان بعد زمان وجوده ، وهو المراد بقوله الدال على اقتران حدث بزمان قبل زمانك أى قبل زمان إخبارك . ويريد بالاقتران وقت وجود الحدث لا وقت الحديث عنه » .

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٤٥ .

(٣) الكتاب نفسه : ٢٤٥ .

(٤) مقالة : معانى الماضى والمضارع فى القرآن الكريم ، مجلة مجمع اللغة العربية : ٦٧/١٠ .

(٥) المقالة نفسها : ٦٥/١٠ .

(٦) فى النحو العربى نقد وتوجيه : ١٢٢ ، ١٥٤ .

(٧) الزمن واللغة : ٢٢٠ .

(٦) رأى زُوكِن[١] أن صيغة الماضى تكون « الزمن الفعلىّ للحكاية »[٢] (الماضى التاريخى)[٣] حين يكون الكلام عن حدثٍ منتهٍ فى الماضى[٤] ، وعادةً ما تُتَرْجَمُ هذه الصيغة بصيغة الماضى البسيط فى اللغة الألمانية مثل : جاء زيدٌ »[٥] .

وافقَ زُوكِن كلٌّ من ركندورف[٦] وبروكلمان[٧] فى أن صيغة الماضى العربية هى الزمن الفعلى للحكاية .

(٧) أوضح دينز[٨] أنه « بالنظر إلى نقطة حاضر المتكلِّم (أو الكاتب) بوصفها الوقتَ المُعَيَّنَ[٩] ، تُعَبِّرُ صيغةُ الماضى (فَعَل) عن زمن الماضى البسيط[١٠] ، مثل : جاء »[١١] .

من التعريفات السابقة تتضح عدة أمور ، هى :

١ - ورود مسميات مختلفة لهذا النوع ، منها ما اتخذ الشكل أساسًا ، وهو « بناء ما مضى » ، ومنها ما اتخذ المعنى أساسًا ، مثل : « الماضى

(١) SOCIN, A.

(٢) Das Tempus der Erzählung.

(٣) Perfectum historicum.

(٤) Einer abgeschlossenen Handlung in der Vergangenheit.

(٥) SOCIN, A : Arabische Grammatik, § 98, s.S. 90.

(٦) RECKENDORF (H.) : Arabische Syntax, § 7, s.S. 10.

(٧) BROCKELMANN, CARL : Arabische Grammatik, § 91, s.S. 119.

(٨) DENZ.

(٩) Als Relationswert.

(١٠) Die einfache Vergangenheit.

(١١) DENZ, ADOLF : Die Struktur des klassischen Arabisch, s.S. 71.

البسيط » و « الماضى المطلق » ، ومنها ما اتخذ الموضوع أساسًا ، وهو « الماضى التاريخى » .

ويلاحظ أن « الماضى البسيط » [1] و « الماضى التاريخى » [2] مسميان منقولان من قواعد اللغات الأوروبية .

٢ - أن دلالة صيغة الماضى على حدث منتهٍ فى وقت ما من الماضى تستعمل كثيرًا فى الحكاية .

٣ - أن انتهاء حدث هذا الزمن يكون قبل نقطة حاضر المتكلم أو الكاتب ، أى قبل وقت الإخبار بهذا الحدث .

٤ - أن هذا الزمن هو المعنى الأصلى لصيغة الماضى فى العربية .

نفى صيغة الماضى الدالة على حدث منته فى وقت ما من الماضى :

تنفى صيغة الماضى الدالة على حدث منتهٍ فى وقت ما من الماضى (فَعَل وما يشبهها) بـ « لم يفعل » و « ما فَعَل » [3] ، من ذلك قوله تعالى :

﴿ يا أيُّها الرَّسُولُ لا يَحزُنْكَ الذين يُسَارِعُونَ فى الكُفْرِ من الذين قالوا آمَنَّا بأفواهِهِم ولم تُؤْمِن قُلوبُهُمْ ﴾ [4] .

---

(١) يقابل : Die einfache Vergangenheit فى الألمانية .

(٢) يقابل : Perfectum historcum فى اللاتينية .

(٣) يقول سيبويه (فى الكتاب ٣ : ١١٧) : « إذا قال : فَعَلَ فإن نفيه لم يَفْعَل ... وإذا قال : لَقَد فَعَلَ فإن نفيه ما فَعَل ، لأنه كأنه قال : والله لقد فَعَل فقال : والله ما فَعَل » .

ولاحظ الدكتور مالك المطلبى (فى كتابه : الزمن واللغة : ٢٢١) أن نفى « فَعَل » بـ « لم يفعل » و « ما فَعَل » سواء من الناحية الزمنية عند سيبويه إذ هما ينفيان وقوع الحدث فى الزمن الماضى غير المحدد ، وأن النفى بـ « ما » آكد من النفى بـ « لم » ، يقول سيبويه (فى الكتاب : ٣/١٩٧) : « الحَلِفُ توكيد » .

(٤) سورة المائدة ، آية ٤١ .

فصيغة الماضى فى قوله (لم تؤمن) تدل على حدث منته فى وقت ما من الماضى .

وقول البَلاذُرِىّ (ت ٢٧٩هـ) : « وكانت خزاعة فى صلح رسول الله ﷺ ، فاقتتلت بنو بكر وخزاعة بعرفة ، فأمدَّتْ قريشٌ بنى بكر بالسلاح وسقوهم الماء وظللوهم ، فقال بعضهم لبعض : نكثتم العهد فقالوا : ما نكثنا والله ما قاتلنا إنما مددناهم وسقيناهم وظللناهم » (١) . فصيغة الماضى فى قوله (ما نكثنا) و (ما قاتلنا) تدل على حدث منته فى وقت ما من الماضى .

ثانياً : الدلالة على حدَث بُدِئ به فى الماضى وانتهى فيه كذلك :

وهى دلالة صيغة الماضى لأفعال الشروع (٢) مركبةً مع مضارع بعدها ، ومنها : طَفِق يَفْعَلُ ؛ جَعَل يفعلُ ، أخذ يفعلُ ، أنشأ يفعلُ ، عَلِقَ يفعلُ ، هَبَّ يفعلُ .

إنَّ التركيب الفعلى « طَفِقَ يَفْعَلُ » ، وأمثاله ، وحدة واحدة لا تنفصل ، مؤداها أن حدثًا قد بدئ به فى الماضى . وهذه الدلالة ليست مقصورة على جزء من التركيب دون الآخر (٣) . ففى نحو : « جَعَل خالدٌ يذاكِرُ » يتكون

---

(١) فُتوح البلدان : ٥٠ .

(٢) سميت بأفعال الشروع لـ « شروع المسمَّى باسمها فى خبرها » . ينظر : شرح شذور الذهب لابن هشام : ١٨٩ .

(٣) إن وحدة هذا التركيب الفعلى ودلالتها فى الفصحى مازالتا تحكمان استعمال كثير من اللهجات العربية الحديثة ؛ ففى اللهجة المصرية مثلاً يقال : آم ينام 'aam yinaam اى قام ينام ، وفى منطقتى جنوب الشرقية والباطنة بسلطنة عُمان يقال : جام يُوكِل gaam yuukil اى : قام يأكلُ ، وفى منطقة الداخلية بها يقال : بَدَ يْسِير bada ysiir اى : بدأ يَسِيرُ ، وبَدْيتْ تسيرْ badyit tsiir اى بدأتْ تَسِيرُ . وفى لهجة الرباط بالمغرب يقال : بْدَا ياكُلْ bdaa yaakul اى بَدَأ يأكُل ، وبْدَاتْ تاكُل bdaat taakul اى : بَدَأتْ تأكُل . ويلاحظ أن فعل الشروع فى هذه اللهجات يسند ، كما هو فى الفصحى ، إلى الاسم الظاهر وإلى ضمير التكلم والخطاب والغيبة .

التركـيب من حدث رئـيس هو « يذاكـر » ؛ وجِهَةِ بدء هذا الحدث فـى الماضى متمثلة فى (جعل) .

فلو فُصِل هذا التركيب لخرج الفعل (جـعل) عن معنى الشروع إلى معنى آخـر كالإيجـاد مـثلاً فى نحـو قوله تعالـى : ﴿ وجَعَلَ الظُّلمات والنورَ ﴾ [1] أى : أوجدهـا ، أو التحـوّل فى نحـو : « جعلـتُ الخشَب كُرْسِيًا » ، أى : صيَّرتُه ، ولأخذ الفـعـل (يذاكـــر) جهـة زمنيـة أخرى غير جهــة البدء فى الماضى .

أطلق الدكتور تمام حسان على الدلالة الزمنـية لتركيب (طفـق يفعـل) : « الماضى الشروعى » [2] بالنظر إلى الجزء الأول من هـذا التركيب (طفق) . وأطلق الدكتور مالك المطلبى عليها : « الحاضر الشروعى » [3] بالنظر إلى الجزء الأخير من التركيب نفسه (يفعل) .

تتفرع الدلالة الزمنية لتركيب « طفـق يفعل » وأمثاله طبقًا للسياق الذى يرد فيه إلى فرعين :

الأول : الدلالة على حدث بُدئ به فى الماضـى وانتهى فى الماضى أيضًا وذلك إذا ورد التـركيب فـى الحكـاية. من ذلـك قوله تـعالـى : ﴿ وطَفِقا يَخْصِفَان عليهما من وَرَقِ الجنة ﴾ [4] . أى : « شرعَا يخيـطان ورقةً على أُخرَى كما يُخْصَفُ النِّعالُ لـيستترا بها » [5] . لا شـك أن حدَث

---

(١) سورة الأنعام ، الآية ١ .

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٤٥ .

(٣) الزمن واللغة : ٢٨٣ .

(٤) سورة الأعراف ، الآية ٢٢ ، وسورة طه ، الآية ١٢١ .

(٥) ابن هشام : شرح شذور الذهب : ١٩٢ .

الخَصْف ، كما دل عليه سياق الآية الكريمة ، بدئ به فى الماضى وانتهى فيه كذلك .

ومن ذلك أيضاً ما حكاه الواقدى (ت ٢٠٧هـ) عن رجل من مُضَر قابل النبى ﷺ . زعم الرجل أن قومه أول من حدا الإبل فقد أغير على رجل منهم فى الجاهلية ومعه غلام ، فنفرت إبله وذهبت على وجهها شاردة ، فأمر الغلامَ أن يجمعها فرفض ، فضرب الغلامَ بعصا « فجعل الغلامُ يقول : وايداه ! وايداه ! وتجتمع الإبلُ ، فجعل سيده يقول : قل هكذا بالإبل ! وجعل النبىُّ ﷺ يضحك »[1] .

ورد فى هذه الحكاية ثلاثة أمثلة لتركيب (جعل يفعل) ويلاحظ أن حدثى القول والضحك ، كما دل عليهما سياق الحكاية ، بدئ بهما فى الماضى وانتهيا فيه كذلك .

الآخر : الدلالة على حدث بُدِئ به فى الماضى القريب واستمر فى الحاضر وذلك فى استعمالاتنا اليومية لهذا التركيب . مثل ذلك : هَبَّ خالد يُصَلِّى ، وأخذ الأستاذُ يتكلم ، وجعل علىٌّ يعمل .

لوحظ من كلام النحاة على أفعال الشروع فى الاستعمال :

(١) أن لفظ المضى يلازمهن[2] .

(٢) أنها تسند إلى الاسم الظاهر وإلى ضمير التكلم والخطاب والغيبة .

(٣) أن « طفق أشهرها »[3] .

(٤) أن « عَلِق » و « هَبَّ » أغربها[4] .

---

(١) المغازى : ١٠١١ .

(٢) ينظر : شرح التسهيل لابن مالك : ١/ ٣٨٩ .

(٣) ابن هشام : شذور الذهب : ١٩٢ .

(٤) ينظر : شرح التسهيل لابن مالك : ١/ ٣٨٩ .

وأظن أن « جعل » أشهر أفعال الشروع فى الاستعمال ، وليس كما قال ابن هشام .

يلحق النحاة العرب أفعال الشروع [1] عادة بباب (كان) وذلك لما يلى :

١ - « لمساواتها لها فى الدخول على مبتدأ وخبر ، ورفع الاسم ونصب الخبر ، إلاَّ أن هذه الأفعال رُفض فيها ترك الإخبار بجملة فعلية » [2] فعلها مضارع [3] مجرد من أنْ ، « لأن (أنْ) تقتضى الاستقبال ، والشروع ينافيه » [4] .

٢ - لأنَّ « أخبارها حاصلة المضمون كأخبار كان » [5] .

٣ - لأن الاسم فى هذا الباب حقُّه « أن يكون معرفة أو مقاربا لها ، كما يحق ذلك لاسم كان » [6] .

ثالثاً : الدلالة على قرب وقوع الحدث فى الماضى :

وهى دلالة صيغة الماضى لأفعال المقاربة مركبةً مع مضارع بعدها . وقد يُسْبَقُ المضارع بـ « أنْ » [7] . ومن هذه التراكيب : كاد (أن) يفعل ؛ أوشك

---

(١) وكذلك تلحق أفعال المقاربة والرجاء ، وإن تنوعت أسباب الإلحاق .

(٢) ابن مالك : شرح التسهيل : ١/ ٣٨٩ .

(٣) أوضح الدكتور مهدى المخزومى فى كتابه (فى النحو العربى نقد وتوجيه : ١٨٨) أن ما فى أفعال الشروع من دلالة على البدء بالحدوث « هو الذى اقتضى أن تكون (أخبارها) أفعالا » ؛ لأن البدء بالحدوث « معناه : أن الشىء لم يكن ، ولكنه ... بدئ به منذ حين ، وهذا مما يناسبه الفعل دون غيره » .

(٤) ابن مالك : شرح التسهيل : ١/ ٣٩٠ .

(٥) الرضى : شرح كافية ابن الحاجب : ٢/ ٣٠٥ .

(٦) ابن مالك : شرح التسهيل : ١/ ٣٩٥ .

(٧) يرى سيبويه (ت ١٨٠هـ) أن اقتران المضارع فى خبر كاد بـ « أنْ » خاصٌ بالشعر ؛ يقول (فى =

(أن) يفعل) ؛ كَرَبَ (أنْ) يفعل ؛ هلهل يَفْعَلُ ، أولى أن يفعلَ [1] .

إن تركيب « كاد (أن » يفعل » وأمثاله ، وحدة واحدة لا تنفصل مؤداها: قُرْبُ وقوع الحدث الوارد فى الخبر ، سواء أكان فعلا مضارعا أم مصدراً مؤولا ، ولا يلزم تحقق وقوعه بالضرورة .

هذه الدلالة ليست مقصورة على جزء من التركيب دون الآخر؛ ففى نحو: « كاد خالد يسافرُ » ، يتكون التركيب من حدث رئيس هو « يسافر » وجهة قرب، وقوع هذا الحدث فى الماضى ، متمثلة فى « كاد » . وفى نحو : « كاد علىٌّ أن ينجحَ » ، يكون الحدث الرئيس هو المصدر المؤول (أن ينجح) وجهة

= الكتاب : ٣/ ١٥٩ ، ١٦٠) : « وأمّا كاد فإنهم لا يذكرون فيها أنْ ، وكذلك كَرَبَ يفعلُ ، ومعناهما واحد . . . وقد جاء فى الشعر كاد أنْ يفعلَ » . ونسب ابنُ عقيل (ت ٧٦٩هـ) رأىَ سيبويه السابق للأندلسيين فقال (فى شرحه على ألفية ابن مالك : ١/ ٣٢٩، ٣٣٠) : « وأما « كاد » فذكر المصنف أنها عكس « عسَى » ؛ فيكون الكثير فى خبرها أن يتجرد من « أن » ويقلّ اقترانُه بها ، وهذا بخلاف ما نَصَّ عليه الأندلسيون من أن اقتران خبرها بـ « أن » مخصوص بالشعر » .

وأرى أن ما جاء فى كتاب سيبويه ينفى ذلك .

أما ابن مالك (فى شرح التسهيل : ١/ ٣٨٩ ، ٣٩٠) فيرى أن أفعال المقاربة « التزم كون خبرها مضارعا مجردًا مع هلهل ، ولابد من مقارنة أن للمضارع المخبر به بعد أولى . . . وترك ذلك بعد كاد وكرب أولى من فعله . . . والأمر بعد أوشك سواء » .

(١) يرى سيبويه أن المصدر المؤول المكون من « أن » والفعل المضارع والواقع فى خبر كاد يكون منصوبا على نزع الخافض قياسًا ، وأوجب العربُ حذف حرف الجر لكثرة الاستعمال . وتابعه فى ذلك ابن مالك (ت ٦٧٢هـ) والرضى (ت ٦٨٦هـ) مُضيفَيْنِ إليه بقية أفعال المقاربة ويقدر هذا الحرف المحذوف ويختلف من تركيب إلى آخر على النحو التالى :

كاد أن يفعل ، بتقدير : كاد من أن يفعل .

أوشك أن يفعل ، بتقدير : أوشك فى أن يفعل .

كَرَبَ أن يفعل ، بتقدير : كرب من أن يفعل .

أولى أن يفعل ، بتقدير : أولى بأن يفعل .

(ينظر : الكتاب : ٣/ ١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، وشرح التسهيل : ١/ ٣٩٤ ، وشرح الكافية : ٢/ ٣٠٤ ، ٣٠٥) .

قرب وقوعه ، وهى (كـاد) . ولا يلزم تحقق وقوع الحدث (السـفر فى المثال الأول ، والنـجاح فى المـثال الآخر) بـالضـرورة ؛ إذ لا يتحـقق وقوعـه فى السياقات العربية .

ويفهم من كلام للرضى (ت ٦٨٦هـ) عن « هلهل » [١] أن تركيبًا مثل : « كاد يفعل » وأمثاله ، فيـه مبالغـة فى قرب وقوع الحـدث أكثر مما لو قلت : « كاد أن يفعل » وأمثاله . ولكن بتناول دراسة الـدلالة الزمنية لهذين التركيبين فى بعض النصوص العربية ، من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر تبين من سياقاتها أنـه لا فرق فى الدلالة الزمنـيـة بين تركيب « كاد يفعل » وأمثاله ، وتركيب « كاد أن يفعل » وأمثاله [٢] . من ذلك :

(١) قوله تعالى على لسان هارون مخـاطباً موسى ، عليه السلام : ﴿ إنَّ القومَ استضعفونى وكادوا يقتلوننى ﴾[٣] . ففى قول هارون ﴿ كادوا يقتلوننى ﴾ مبالغة فى قرب قتل بنى إسرائـيل إياه ؛ فقد كان هارون ، عليه السلام ، يعظهم ويحذرهم من عبادة العجـل حتى قهروه وقاربوا قتله ، وحين شعر بذلك سكت عن فعل القوم ، وهو عـبادة العجل. ولكن الحدث (القتْل) لم يقع فى سياق الآيات .

---

(١) يقول الرضى (فى شرح الكافية : ٢/ ٣٠٥) : « وأما هلـهل فإنما الزم تجريد خبره من (أن) مع أنه بمعنى كاد ، لا بمـعنى طفق ؛ لأن المبالغـة فى القرب فيه أكثر . ومثـل هذا التركيب يدل علـى المبالغة كزلزل وصرصر ، فكأنه للمبالغة فى القرب لاحق بالأفـعال الدالة على الشروع ؛ فاستعمل خبره بغير أن ، نحو : هلهلتُ أقومُ » .

(٢) يؤيد ذلك ما رآه الدكتور مهدى المخزومى (فى النحو العربى نقد وتوجيه : ١٨٩) من أن دخول (أن) على الفعل بعد أوشك فى نحو : أوشك عمرو أن يقوم « لـن يغير طبيعة الجملة بعدهما ، ولن تحول بعدها إلى جملة اسمية » .

(٣) سورة الأعراف ، الآية ١٥٠ .

(٢) قول جبير بن مطعم رضي الله عنه : « كاد قلبى أن يطير »[١] .

في هذا القول مبالغة أيضًا فى قرب وقوع الحدث (طيران القلب مجازًا) ؛ نظرًا لانزعاج جبير رضي الله عنه ، حين سمع آيات من سورة الطور وفهم معناها ، تلك الآيات التى قرأها النبى صلى الله عليه وسلم ، فأسلم جبير رضي الله عنه عقب ذلك[٢] .

ويلاحظ أن الحدث (طيران القلب مجازًا) لم يقع فى سياق الحديث الشريف .

(٣) قول عمر بن أبى ربيعة[٣] :

فَـدَلَّ عليهـا القلـبَ رَيًّا عَرَفْتُهـا ∴ لها ، وهَوَى النَّفْسِ الذى كادَ يَظْهَرُ

. . . .

فَحَيَّيْـتُ إذْ فاجـأْتُها فتولَّهَـتْ ∴ وكادَتْ بمَخْفُـوضِ التَّحـيةِ تَجْهَـرُ

فقولـه فى البيت الأول : « كـادَ يَظْهَرُ » فيه مبـالغة فى قرب ظـهور هوى نفس الشـاعر ، بدليل أن هذا الـهوى قد ظهر بسرعة بعد هذا الموقـف مباشرة وذلك فى قوله : « فلمَّا فَقَدْتُ الصوتَ منهم . . . أَقْبَلَتْ مِشيةَ الحُبَابِ »[٤] .

(١) نص الحديث الشريف كما ورد فى فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى (باب تفسير سورة الطور : جـ١٨ ص ٢٣٤) : « حدثنا الحميدىُ : حدثنا سفيان قال : حدثونى عن الزُهرىّ ، عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه رضي الله عنه ، قال : سمعت النبىّ صلى الله عليه وسلم يقرأ فى المغرب بالطور ، فلما بلغ هذه الآية ﴿ أم خُلِقُوا مِن غَيْرِ شَيْءٍ أمْ هُمُ الخالِقونَ . . . ﴾ كاد قَلْبى أنْ يطيرَ » .

(٢) ينظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى : ١٨/ ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

(٣) شرح ديوان عمر بن أبى ربيعة : البيتان : ٢٤ ، ٢٨ من القصيدة الأولى : ص٩٦ وهى من بحر الطويل ، والريا : الرائحة الطيبة . تولهت : تكلفت الوله وأظهرته ، والوله : الحزن وذهاب العقل والتحير من شدة الخوف . مخفوض التحية : الذى يسر منها ولا يعلن .

(٤) شرح ديوان عمر بن أبى ربيعة : جزآن من البيتين : ٢٥ ، ٢٧ من القصيدة نفسها : ص٩٦ .

وقوله فى البيت الآخر : « كادت بمخفوضِ التحيةِ تَجْهَرُ » ، فيه مبالغة أيضًا فى قرب وقوع الجهر بالتحية ؛ بدليل مفاجأته إياها ، وحالة الوله التى انتابت محبوبته .

ويلاحظ أن الجهر بها لم يقع فى السياق .

فلا فرق إذن بين النصوص الثلاثة السابقة فى درجة قرب وقوع الحدث فيما مضى .

وأرى أنه إذا وُجد فرقٌ بين نصين فى درجة قرب وقوع الحدث ، الأول فيه تركيب (كاد يفعل) ، والآخر فيه (كاد أن يفعل) ، رجع هذا إلى اختلاف بين سياقى النصين وليس إلى اختلاف بين التركيبين .

نفى (كاد يفعل) :

ينفى التركيب (كاد يفعل) غالبًا بـ (لم يكد يفعل) . ولهذا التركيب المنفى دلالتان زمنيتان :

الأولى : الدلالة على نفى قرب وقوع الحدث فى الماضى : مثل ذلك قولك :

> لم يكد فلانٌ يموت ، « فمقاربة الموت منفية ويلزم من نفى مقاربة الموت نفى وقوعه . . . وقولك : لم يكد يموت أبلغ فى إثبات الحياة من قولك : لم يمت ، ولهذا قيل فى قوله تعالى : ﴿ إذا أَخْرَجَ يَدَهُ لم يَكَدْ يراها ﴾ [1] إن معناه : لم يرها ولم يقارب أن يراها » [2] .

الأخرى : الدلالة على نفى قرب وقوع الحدث فى زمن ما قبل الماضى [3] وإنْ

---

(١) سورة النور ، الآية (٤٠) .

(٢) ابن مالك : شرح التسهيل : ١/٣٩٩ .

(٣) Die Vorvergangenheit.

وقع حدث فعل الجملة السابقة فى الزمن الماضى [١] : مثل ذلك قوله تعالى : ﴿ فَذَبَحُوها وما كادوا يَفْعَلُونَ ﴾ [٢] . تتضمن هذه الآية زمنين ؛ الأول : زمن ما قبل الماضى ، وفيه نفى قرب وقوع الذبح ويمثله قوله تعالى : ﴿ وما كادوا يفعلون ﴾ [٣] ، والآخر : الزمن الماضى ، وفيه وقوع الذبح ويمثله قوله تعالى : (فذبحوها) .

لوحظ من كلام النحاة على أفعال المقاربة فى الاستعمال :

(١) أن « أشهرها كاد » [٤] . وأظن أن كلام ابن مالك أن « أشهرها كاد » صحيح ؛ لوجود أمثلة كثيرة استخدمت فيها (كاد) ومُثِّل ببعضها فى البحث .

(٢) أن هذه الأفعال يلازمهن « لفظ المضى إلاَّ كاد وأوشك ، فإنهما اختصا باستعمال مضارعيهما » [٥] .

(٣) أنها تسند إلى الاسم الظاهر وإلى ضمير التكلم والخطاب والغيبة .

(٤) أن اسم هذه الأفعال حقُّه « أن يكون معرفة أو مقاربا لها ، كما يحق ذلك لاسم كان » [٦] .

---

(١) Die Vergangenheit.

(٢) سورة البقرة ، الآية (٧١) .

(٣) أوضح ابن مالك (فى شرح التسهيل : ١/ ٤٠٠) الدلالة الزمنية لهذه الآية بقوله : « وأما قوله تعالى ﴿ وماكادوا يفعلون ﴾ فمحمول على وقتين ، وقت عدم الذبح وعدم مقاربته ، ووقت وقوع الذبح ، كما يقول القائل : خلص فلان وما كاد يخلص » .

(٤) ابن مالك : شرح التسهيل : ١/ ٣٨٩ .

(٥) الكتاب نفسه : ١/ ٤٠٠ .

(٦) الكتاب نفسه : ١/ ٣٩٥ .

(٥) أنه « يتعين فى أخبار جميع أفعال المقاربة أن يكون فاعل أخبارها ضميراً عائداً إلى اسمها ، فلا تقول : كاد زيد يخرج غلامه إلا أن يكون المسند إلى سببه بمعنى الفعل المسند إلى ضمير الاسم نحو : كاد زيد يخرج نفسه هو ، بمعنى : كاد زيد يموت » (١) .

رابعاً: الدلالة على تكرار وقوع الحدث فى الماضى:

وهى دلالة صيغة الماضى ضمن تركيبين ؛ الأول : كُلَّما كَتَبَ فَعَل والآخر : كان إذا كَتَبَ فَعَل .

فالتركيب الأول (كُلَّما كَتَبَ فعل) يشمل حَدَثًا رئيسًا (فَعَل) يترتب وقوعه على وقوع حدث متكرر (كَتَب) يلى كُلَّما (٢) مباشرة .

ولهذا التركيب فى اللغة دلالتان زمنيتان :

الأولى : الدلالة على « تكرار وقوع الحدث (٣) فى الماضى (٤) » وهى الدلالة الغالبة على هذا التركيب فى الاستعمال . مثل ذلك :

(١) قوله تعالى : ﴿ كُلَّما دَخَلَ عليها زكريَّا المِحرَابَ وَجَدَ عِندَها رِزقًا ﴾ (٥) .

---

(١) الرضى : شرح الكافية : ٢/ ٣٠٤ .

(٢) ذكر القيسى (ت ٤٣٧هـ) فى كتابه : مشكل إعراب القرآن (القسم الأول / ص٨٢) أن كُلَّما « فيها معنى الشرط ، فهى تحتاج إلى جواب » ، كما ذكر السيوطى (ت ٩١١هـ) فى كتابه : همع الهوامع (٤/ ٣٨٣ ، ٣٨٤) أنها « ظرف يقتضى التكرار ، مركب من « كُلّ » و « ما » المصدرية أو النكرة التى بمعنى وقت » .

(٣) Der Iterativ.

(٤) Nebes, Norbert : Funktionsanalyse von Kaana yaf'alu, Kapitel 5, S.s. 121.

(٥) سورة آل عمران ، الآية ٣٧ ، وينظر أيضًا على سبيل المثال لا الحصر : سورة هود ، الآية ٣٨ ، وسورة المؤمنين ، الآية ٤٤ .

فوقوع الحدث الرئيس (وجود الرزق) فى الآيـة الكريمة مترتب على وقوع الحـدث المتـكرر (دخول زكـريا ، عـليه الـسلام ، المحـراب) فى الماضى .

(٢) قول طريف بن تميم العَنْبرى [(١)] :

أوَ كُلَّما وَرَدَتْ عُكاظَ قبيلةٌ ∴ بَعَثُوا إلىَّ عَرِيفَهُمْ يَتَوَسَّمُ

فوقوع الحـدث الرئيس (بَعْث الـعريف) متـرتب على وقـوع الحدث المتكرر (ورود قبيلة سوق عكاظ) فى الماضى .

(٣) قول امرأة سَلَمَةَ بن هشام بن العاص بن المغيرة فى زوجها سلمة :

« واللهِ ما يستـطيع أنْ يَخرجَ ، كُلَّما خرَج صاح به الـناسُ : يا فرَّار فَرَرْتُم فى سبيل الله ! حتى قعد فى بيته فما يخرج » [(٢)] .

فوقوع الحدث الرئيس (صياح الناس بسـلمة فى قولها : « كلما خرج صاح بـه الناسُ ») متـرتب علـى وقوع الحدث المـتكرر (خروجـه) فى الماضى .

الأخرى : الدلالة عـلى تكرار وقوع الحدث فـى المستقبل : وهـذه الدلالة أقل من سابقتها ورودًا فى الاستعـمال . من ذلك قوله تعالى : ﴿ كُلَّما رُزِقُوا منها مِن ثَمَرَةٍ رِزْقًا قالُوا هذا الذى رُزِقْنا مِن قَبْلُ ﴾ [(٣)] .

---

(١) الأصمعيـات : رقم (٣٩) ، ودلائل الإعجاز لعبـد القاهر الجرجانـى (ص١٧٦ ، الشاهد ١٨٨) . وطريف شاعر جاهلى ، من بنى تميم ، قتله أحد بنى شيبان . والبيت من بحر الكامل .

أوضح عبد القـاهر معنى « بعثوا إلىَّ عريـفهم يتوسم » بقوله (ص١٧٧) : « المـعنى على تَوَسُّمٍ وتأمُّل ونظرٍ يتجدَّد من العريف هناك حالاً فحـالاً ، وتصفُّح منه الوجوه واحدًا بعد واحد » . ويتضح من السياق أن قبائل عديدة أرادت أن تبحث عن الشاعر ؛ لتنال منه .

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية : ٢٤/٤ ، ٢٥ .

(٣) سورة البقـرة ، الآية ٢٥ ، وينظر أيضـا : سورة النساء ، الآية ٥٦ ، وسـورة الأعراف ، الآية ٣٨ ، وسورة الإسراء ، الآية ٩٧ ، وسورة السجدة ، الآية ٢٠ .

فوقوع الحدث الرئيس (قول المؤمنين) فى الآية الكريمة مترتب على وقوع الحدث المتكرر (حصولهم على الرزق) فى المستقبل . وجاء الاستقبال من السياق الخاص بوصف حياة المؤمنين فى الجنات يوم القيامة .

أما التركيب الآخر (كان إذا كَتَبَ فَعَل) فيشمل حدثا رئيسا (فَعَل) ترتب وقوعه على وقوع حدث متكرر (كَتَب) ، وجهة زمنية تفيد الزمن الماضى (كان) .

ويدل هذا التركيب على تكرار وقوع الحدث فى الماضى . مثل ذلك قول ابن سعد : « وكان عمرُ رضي الله عنه ، إذا بعث عاملاً له على مدينة كَتَب ماله »[1] .

فوقوع الحدث الرئيس (كتابة مال العامل) مترتب على وقوع الحدث المتكرر (بَعْث العامل) فى الماضى .

خامسا : الدلالة على استمرار وقوع الحدث فى الماضى :

وهى دلالة صيغة الماضى (كان) مركبةً مع مضارع بعدها ، وهو ما يعرف بتركيب « كان يفعل »[2] . فصيغة المضارع تمثل الحدث الرئيس لهذا التركيب أما (كان) فتمثل جهة وقوع هذا الحدث فى الماضى .

مثل ذلك قوله تعالى فى أصحاب الشِّمال : ﴿ وكانوا يُصِرُّون على الحِنثِ العظيم ، وكانوا يقولون أئِذا مِتنَا وكُنَّا تُرابًا وعِظاما أءِنَا لَمَبْعُوثُون ﴾[3] .

---

(١) الطبقات الكبرى : ٣/٢٠٣ .

(٢) ذكر الرضى (فى شرح الكافية : ١/٢٥٢) أنه « إذا قلت : كنتُ رأيتُ زيدًا ، لا يدل على الاستمرار ، وإذا قلت : كنتُ أراه فظاهره الاستمرار » .
ولاحظ نولدكه Nöldeke (فى كتابه : Zur Grammatik des classischen Arabisch. § 57, S. 70) أن تركيب كان يَفْعَلُ يقع فى العربية « بمعنى صيغة المضارع اليونانية واللاتينية للدلالة على استمرارٍ فى الماضى أو تعوّدٍ فيه » .

(٣) سورة الواقعة ، الآية ٤٦ ، ٤٧ . والحنث : الذنب .

فقوله (كانوا يصرون) و (كانوا يقولون) يدل على استمرار إصرار أصحاب الشمال على الذنب العظيم فى الماضى ، واستمرار قولهم هذا فيه .

وقول عنترة بن شداد يرثى مالك بن زهير [١] :

وكان فتى الهيجاء يَحْمِي ذِمارها ∴ ويَضْرِبُ عِنْدَ الكَرْبِ كُلَّ بَنانِ

فقوله : (كان فتى الهيجاء يحمى ذمارها) يدل على استمرار قيام مالك بالحرب وإدارتها فى الماضى .

وكذلك قول البلاذُرىّ (ت ٢٧٩هـ) : « فكانت أموالُ بنى النضير خالصةً لرسول اللهِ ﷺ ، وكان يزرع تحت النخل فى أرضهم » [٢] .

فقوله : (وكان يزرع) يدل على استمرار الزراعة تحت النخل فى أرض بنى النضير فى عهد رسول الله ﷺ .

قام نيبز بحصر ما تعبر عنه الأمثلة التى جمعها من النصوص العربية التى تحتوى على تركيب (كان يَفْعَلُ) الدال على استمرار وقوع الحدث فى الماضى ، وذلك فى ستة معان رئيسة [٣] هى :

أ - التعبير عن الحقائق الطبيعية والجغرافية والمتعلقة بالأعراق البشرية وما يشبه ذلك ، مثل :

- « وإنما كان يكون فى بئر فى جوف الكعبة » [٤] .

---

(١) ديوان عنترة : ص٣١١ ، البيت (٥) من القصيدة (٢٧) وهى من بحر الطويل . وكان فتى الهيجاء يعنى مالك بن زهير أحد سادات عبس وقد قتل ، وتولى قتله بنو بدر . والذمار : ما يجب عليه أن يغضب له ويحميه .

(٢) فتوح البلدان : ٣١ .

(٣) ينظر (مع مراعاة التصرف فى عرض الترجمة والتغيير فى بعض الأمثلة) كتاب :
Nebes, Norbert : Funktionsanalyse von kaana yaf'alu, Kapitel 4. S 79–91.

(٤) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك (ط٣) : جـ١ / ص١١٣٠ .

- « وقد كان الإسكندر بن فيليبس المقدونى بَنَى الإسكندرية على هذا الخليج من النيل ، وكان يتفجَّرُ إليه معظم ماء النيل ، ويسقى بلاد الإسكندرية وبلاد مَرْيُوط » (١) .

- « فأخذ الجزية من المجوس الذين بها وَهُمْ كانوا أَهْل البلد والعربُ كانوا يكونون حولها » (٢) .

ب- التعبير عن طبيعة خاصة بالجسم ، مثل : « كان عمر يفوقُ الناسَ طولاً » (٣) .

جـ- التعبير عن حال ، مثل : « واللهِ لقد كُنَّا نَجْهَدُ » (٤) .

د - التعبير عن أحوال عقلية ونفسية ، مثل : كان يرى ، كان يظن ، كان يعرف ، كان يعلم ، كان يدرى ، كان يحب ، كان يُسْتَحَبُّ ، كان يطمع ، كان يريد ، كان يتمنى ، كان يكره ، كان يبغض ، كان يخاف كان يتخوَّف ، كان يهاب ، كان يتقى ، كان يخشى ، كان يرهب ، كان يرجو ، كان يأمل ، كان يشك . من ذلك :

- « وكان أبو بكر يختلف إلى الشَّأْمِ فكان يُعْرَفُ وكانَ النبىُّ ﷺ ، لا يُعْرَفُ » (٥) .

- « كان (ﷺ) يخاف على الذَّرارىِّ من بنى قريظة » (٦) .

---

(١) المسعودى : مروج الذهب ومعادِنُ الجوهر : ١/ ١٠٠ .

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك (ط٣) : جـ١ / ص١٦٨٦ .

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى : ٣/ ٢٣٥ .

(٤) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك (ط٣) : جـ١ / ص١٤٨٣ .

(٥) ابن سعد : الطبقات الكبرى : ١٥٨/١ .

(٦) الكتاب نفسه : ٤٨/٢ .

هـ- التعبير عن القُدْرَة ، مثل :

- كان يَقْدِرُ ، كان يُطِيقُ . من ذلك : « واللهِ ما أظنُّ مقياسًا كان يَقْدِرُ على واحدةٍ » [١] .

و - التعبير عن أمور أخرى ، مثل :

- كان ينتظر ، وكان يَعُدُّ . من ذلك : « وقَدْ رأى ما كُنَّا نَصْنَعُ وأنَّا كُنَّا نَنْتَظِرُ قُدُومَ رسولِ الله ﷺ » [٢] .

يضاف إلى المعانى الستة السابقة التى حصرها نبيز معنى سابع ، وهو التعبير عن عادة ما ، مثل : قول أنس بن مالك رضي الله عنه : « كان رسولُ اللهِ ﷺ يعيد الكلمةَ ثلاثًا ؛ لتعقل عنه » [٣] .

علاوة على دلالة تركيب (كان يفعل) على استمرار وقوع الحدث فى الماضى ، كما رأينا ، يوجد ثلاث دلالات أخرى للتركيب نفسه ، يحدد جهتها ظروف الزمان أو كلمات أخرى ترد مع التركيب . والدلالات الثلاث هى :

الأولى : الدلالة على « انتهاء وقوع الحدث فى وقت معين من الماضى ، مثل : وقتذاك كان الملكُ يَمُرُّ به » [٤] .

الثانية : الدلالة على وقوع الحدث فى أوقات متفرقة من الماضى ؛ وذلك إذا ورد مع التركيب ظروف زمانية مثل : كثيرًا ما ، وأحيانا ، وقلَّما ونادرًا ما ، أو ما ينوب عن ظرف الزمان من كلمات دالة على

---

(١) الواقدى : المغازى : ١/ ١٤٥ .

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك (ط٣) : ١/ ١٢٤٣ .

(٣) الترمذى : أوصاف النبىّ ﷺ : الحديث رقم (٢٢٥) ، ص٢٢٦ . أخرجه البخارى والترمذى فى جامعه .

(٤) Fischer, Wolfdietrich : Grammatik des klassischen Arabisch : § 192, S. 96.

التعدد ، مثل: مرتين ، وثلاث مرات ، وأربع مرات وغير ذلك[1] .

من ذلك : « ذُكِرَ أنَّ عثمانَ بن عفَّانٍ كان يُكْتَبُ لَهُ أحيانًا » [2]

الثالثة : الدلالة على تكرار وقوع الحدث في الماضي ، وذلك « بالاتصال بعبارات مكررة ، مثل : « ودعا برجال بني قريظة فكانوا يخرجون رَسْلاً رَسْلاً تُضْرَبُ أعناقُهم » [3] ، أو بدون عبارات مكررة ، مثل : « فدخلتُ إليه فكان يُسَائِلُني عن النَّجاشيّ » [4] » [5] .

نفي تركيب (كان يفعل) :

ينفي هذا التركيب في العربية بـ « كان لا يفعل ، ولم يكن يفعل ، وما كان يفعل » [6] ، مثل :

- « أتانا رسولُ الله ﷺ ، بالهاجرة في ساعةٍ كان لا يأتي فيها » [7] .
- « فإن ذلك لم يكن يحل لك في دينِكَ » [8] .
- « أجمع رؤساؤهم أن يغدوا يوما ، فغدوا جميعا ومعهم رؤساء سائر الأحزاب ، وطلبوا مضيقًا من الخندق يقحمون منه خيلهم إلى النبي ﷺ ، وأصحابه فلم يجدوا ذلك ، وقالوا : إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تصنعها » [9] .

---

(١) ينظر في ذلك :

Nebes, Norbert : Funktionsanalyse von kaana yaf'lu, Kapitel 4, S. 92–95.

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك (ط٤) : جـ١ / ص١٧٨٢ .

(٣) الواقدي : المغازي : ٥/٥١٣/٢ .

(٤) الطبري : تاريخ الرسل والملوك (ط٣) : ١٥٧١/١ .

(٥) كتاب نيبز السابق : ٩٧ ، ٩٨ .

(٦) الكتاب نفسه : ٦٠ ، ٦١ .

(٧) الطبري : تاريخ الرسل والملوك (ط٣) : ١٢٣٧/١ .

(٨) الكتاب نفسه (ط٤) : ١٧١٠/١ .

(٩) ابن سعد : الطبقات الكبرى : ٤٨/٢ ، ٤٩ .

سادساً : الدلالة على انتهاء وقوع الحدث فى زمنٍ ماضٍ قريب من لحظة التكلم :

وهى الدلالة الرئيسة [1] لصيغة الماضى مسبوقة بـ « قد » [2] ، نحو قول ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) : « ثم دخلت سنةُ ست وأربعين ومائة . . . وقد ذكرْنا فى سنة خمس وأربعين ومائة السبب الباعث للمنصور على بناء مدينة بغداد ، ونذكر الآن بناءها » [3] .

فقوله : (قد ذكرنا) يدل من خلال سياق الأحداث التاريخية والقرائن اللفظية على انتهاء ذكره السبب الباعث للمنصور على بناء بغداد فى زمن ماض قريب من لحظة تكلمه ، وهى قوله : (ونذكر الآن بناءها) .

ولتركيب (قد فعل) أربع دلالات أخرى فرعية ؛ يقترب ثلاث منها من الدلالة الرئيسة ، وتبعد واحدة عنها . ويذكر فيما يلى هذه الدلالات الفرعية ويراعى فى ترتيبها مدى قربها من الدلالة الرئيسة فبعدها عنها :

الأولى : الدلالة على وقوع الحدث فى الماضى القريب المتصل بالحاضر :

ويمثل ڤولفديترش فيشر [4] لهذه الدلالة بقول أحد الأشخاص : « قَدْ جُعْتُ » . فلا شك أن حدث الجوع وقع فى الماضى القريب ولا يزال هذا

---

(١) إن معظم الدلالات الأخرى الفرعية التى سترد بعد ذلك ، تدور فى فلك هذه الدلالة الرئيسة .

(٢) يرى سيبويه (فى الكتاب : ٤/ ٢٢٣) أن تركيب (قد فعل) يستعمل جوابا لقول القائل : لَمَّا يفعلْ . يقول سيبويه : « وأمَّا (قَدْ) فجواب لقوله : لَمَّا يفعلْ ، فتقول : قَدْ فَعَلَ » . ويذكر ابن مالك (فى شرح التسهيل : ٤/ ١٠٨) أن (قَدْ) « تكون حرف تقريب ؛ فتدخل على فعل ماض متصرف متوقع ، أى منتظر ؛ لتقريبه من الحال » .

(٣) الكامل فى التاريخ : ٥/ ٥٧٣ ، ويوجد أيضًا مثالان آخران على هذا فى الكتاب نفسه : ٥/ ١٣٨ ، ٦/ ٧ .

(٤) Fischer, Wolfdietrich : Grammatik des klassischen Arabisch : § 189, S. 94, 4 v.u.

الحدث مستمـراً فى لحظة تكلم هذا الـشخص . وهذا يعنى أنه جـاع منذ وقت قريب وأنه يحس الآن أيضًا الجوع .

الثانية : الدلالة على وقوع الحدث فى المستقبل القريب :

ويمثل رايت [1] لدلالة تركيـب (قد فَعَل) على المستقبـل القريب [2] بقول المؤذن قبيل قيام الصلاة : " قَدْ قامتِ الصلاةُ [3] وبأمثلة أخرى ، منها :

« أمَّا الوِلاَيَةُ فَقَدْ وَلَّيْتُ ابْنَكَ مِصْرَ » .

« قَالَ لَهُ : وَعَدْتَ هذا ، فقال : قَدْ وَفَّيْتُ المَوْعُودَ » .

الثالثة : الدلالة على وقوع الحدث فى زمن ما قبل الماضى :

وذلك إذا ورد تركيب (قد فعل) جملـة حالية مسبوقة بواو الحال ، ودلَّ فعلُ الجملة الرئيسة على الزمن الماضى .

---

(١) WRIGHT, W. : A grammar of the Arabic Language : § 2, p. 3.

(٢) The future one.

(٣) أدرك النحاة العرب الدلالة الزمـنية لـ « قد فَعَل » فى هذا المثال على المستقبل الـقريب وإن اختلفوا فى التعبير عنه والنص عليه صراحة ؛ فيرى الخـليل بن احمد ان معنى تركيب (قد فعل) هو التوقع ؛ « يقال : « قـد فعل » لقـوم ينتظـرون الخبرَ ، ومنـه قول المؤذن : قد قـامت الصلاة ؛ لأن الجـماعة منتظرون لذلك ، وقال بعضهم : تقول : « قد ركِبَ الأميرُ » لمن ينتظر ركوبه » .

ذكر هـذا الرأى ابن هشام الأنصارى (فى مغنى اللبيب : ١/١٧١ ، ١٧٢) وعلق عليه بقوله : « وقد تبين بما ذكرنا أن مراد المثبتين لذلك أنها تـدل على أن الفعل الماضى كان قبل الإخبار به متوقَّعًا ، لا أنه الآن متوقع . والذى يظـهر لى قول ثالث ، وهى أنها لا تفيد التوقـع أصلاً . . . وعبارة ابن مالك فى ذلك حسنـة فإنه قال : إنها تدخل عـلى ماض متوقع ، ولم يقـل إنها تفيد التوقـع » . (ينظر فى ذلك : شرح التسهيل لابن مالك : ٤/١٠٨) .

أما ابن يعيش فيذكر (فى شرح المفصـل : ٢/٦٦) أن الفعل الماضى « إنْ جئت معه بقد جاز أن يقع حالاً ؛ لأن (قد) تقربه من الحال . الا تراك تقول : قد قامت الصلاة قبل حال قيامها » .

مثل ذلك قول امرئ القيس [1] :

فجئْتُ وَقَدْ نضَّتْ لِنَوْمٍ ثيابَها ∴ لدى السِّتْرِ إلاَّ لبسةَ المُتَفَضّلِ

من سياق هذا البيت يتضح أن حدث الجملة الحالية (خَلْع الثياب فى قوله : وقد نضت لنوم ثيابها) وقع زمنيًا قبل وقوع حدث الجملة الرئيسة (مجئ الشاعر فى قوله : فجئتُ) بقليل .

وكذلك قول ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) :

« وكان ابن أُبى العَوْجاء قد أرسل إلى محمد بن سليمان [2] يسأله أن يؤخره ثلاثة أيام ويعطيه مائة ألف ، فلما ذكر لمحمد أَمَرَ بقتله . . . وورد كتاب المنصور إلى محمد يأمره بالكف عنه ، فوصل وقد قتله » [3] .

من تسلسل الأحداث التاريخية لهذا النص يتضح أن حدث الجملة الحالية (قتل ابن أبى العوجاء فى قوله : وقد قتله) وقع زمنيًا قبل وقوع حدث الجملة الرئيسة (وصول كتاب المنصور فى قوله : فوصل) بقليل .

ففى كل من البيت والنص السابقين جملة مركبة من جملة رئيسة يدل فعلها على الزمن الماضى ، وأخرى فرعية (حالية) يدل فيها تركيب (قد فعل) على زمن ما قبل الماضى علاوة على تضمن التركيب نفسه جهة قرب مما يليه زمنيا وهو الماضى .

---

(١) ديوان امرئ القيس : ص٣٥، البيت ٢٦ من معلقته ، وهى من بحر الطويل اللغة : نضت : خلعت . والمتفضل : اللابس ثوبا واحدًا إذا أراد الخفة . معنى البيت : أتيتها وقد خلعت ثيابها عند النوم غير ثوب واحد تنام فيه . وقد وقفت عند الستر مترقبة ومنتظرة لى . وإنما خلعت الثياب لتُرى أهلها أنها تريد النوم . (ينظر شرح الديوان : ٣٥) .

(٢) هو محمد بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس ، والى الكوفة فى عهد الخليفة العباسى المنصور .

(٣) الكامل فى التاريخ : ٧/٦ .

الرابعة: الدلالة على تحقق وقوع الحدث[1] فى الماضى:

وهى دلالة تركيب «قد فعل»[2] فى نحو «قولك: قد قامَ زيدٌ فى تقدير جواب مَنْ قال: هل قام زيدٌ أو لم يقم، فـ «قد» فى تقدير الجواب: حققت القيامَ»[3].

مثل ذلك قوله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ التى تُجَادِلُكَ فى زَوْجِها ﴾[4].

ففى (قد سمع) دلالة على تحقق وقوع السَّماع فى الماضى.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلاً مِن قَبْلِكَ مِنْهُم مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ ومِنْهُمْ مَنْ لم نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾[5].

ففى (ولقد أرسلنا) دلالة على تحقّق وقوع إرسال الرسل فى الماضى.

إن ما توصل إليه هذا البحث من أن لتركيب (قد فعل) دلالة رئيسة وهى انتهاء وقوع الحدث فى زمن ماضٍ قريب من لحظة التكلم وأن معظم دلالاته الفرعية تدور حول هذه الدلالة التى لا تؤدِّيها صيغة (فَعَل) دون (قد)،

---

(١) معنى تَحَقُّق وقوع الحدث: «تقرير معناه ونفى الشك عنه» (ينظر: شرح التسهيل لابن مالك: ٤/١٠٨).

(٢) تُؤدَّى هذه الدلالة أيضًا بصيغة الماضى مسبوقة بـ (هل) التى تأتى لتقرير الخبر كما فى قوله تعالى: ﴿ هل أتى على الإنسان حينٌ من الدهر لم يكن شيئًا مذكورا ﴾ (الآية الأولى من سورة الإنسان). أوضح ابن جرير الطبرى (ت ٣١٠هـ) معنى تركيب (هل فعل) فى هذه الآية بقوله (فى جامع البيان فى تفسير القرآن: جـ٢٩ / ص١٢٥): «يعنى جلَّ ثناؤه بقوله (هل أتى على الإنسان): قد أتى على الإنسان. وهل فى هذا الموضع خبر لا جحد، وذلك كقول القائل يقرِّره: هل أكرمتك، وقد أكرمه أو هل زرتك، وقد زاره».

(٣) المالقى: رصف المبانى فى شرح حروف المعانى: ٤٥٥.

(٤) سورة المجادلة، الآية ١.

(٥) سورة غافر، الآية ٧٨.

وكذلك ما رآه ابن هشام الأنصارى من أن هناك فرقًا فى الدلالة الزمنية بين (فَعَل) و (قد فعل)[1] ، وما لا حظه ڤولفديترش فيشر من أن « وظيفة صيغة الماضى فى الحكاية [2] لا تؤدَّى بـ « قَدْ » [3] » إنما تؤدَّى بصيغة (فَعَل) دون (قد) ، إن هذا كله ينفى ما قاله الدكتور مالك المطلبى من أن « المركب « قد فَعَل » شأنه شأن صيغة « فعل » يدل على ماض قد يكون مطلقا أو قريبًا أو بعيدًا » [4] .

سابعاً - الدلالة على الزمن الماضى الدائم :

تدل صيغة الماضى على الزمن الماضى الدائم إذا وردت فى واحد من السياقين التاليين :

الأول : إذا وردت فى سياق الحديث عن صفات الله تعالى :

من ذلك قوله تعالى :

١ - ﴿ وَكَانَ اللهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [5] .

فصيغة الماضى فى قوله « وكان » [6] تدل على الماضى الدائم فى ضوء سياق الحديث عن صفتين من صفات الله تعالى ، وهما (سميع وبصير) .

---

(١) يرى ابن هشام (فى مغنى اللبيب : ١/ ١٧٢) أنك « تقول : « قام زيد » ، فيحتمل الماضى القريب والماضى البعيد ، فإن قلت : « قد قام » اختص بالقريب » .

(٢) Die Erzählfunktion.

(٣) FISCHER, WOLFDIETRICH : Grammatik des klassischen Arabisch. § 189. S. 94. Z 4, v.u.

(٤) الزمن واللغة : ٢٣٣ .

(٥) سورة النساء ، الآية ١٣٤ .

(٦) ذكر السيوطى (فى همع الهوامع : ٢/ ٩٩) أن (كان) تختص « بمرادفة لم يَزَلْ كثيراً ، أى أنها تأتى دالة على الدوام ، وإن كان الأصل فيها أن يدل على حصول ما دخلت عليه فيما مضى مع =

٢ - ﴿ فكفى بالله شَهِيداً ﴾ (١) .

فصيغة الماضى فى قوله « فكفى » تدل على الماضى الدائم فى ضوء سياق الحديث عن صفة من صفات الله تعالى ، وهى (الكافى) .

٣ - ﴿ فَتَعَالَى اللهُ المَلِكُ الحَقُّ ﴾ (٢) .

فصيغة الماضى فى قوله « فتعالى » تدل على الماضى الدائم فى ضوء سياق الحديث عن صفة من صفات الله عز وجل ، وهى الترفُّع ، فهو المُتَعالى « الذى جَلَّ عن إفك المفترين وتنزه عن وساوس المتحَيرين » (٣) .

فالقرينة فى الآيات الثلاث السابقة هى الحقيقة الدينية بأن صفات الله تعالى قديمة ودائمة . وزمن صيغة الماضى فى هذه الآيات « عبارة عن وجود الشىء فى زمان ماض على سبيل الإبهام ، فليس فيه دليل على عدم سابق ولا على انقطاع طارئ » (٤) .

= انقطاعه عند قوم ، وعليه الأكثر ، كما قال أبو حيّان . أو سكوتها عن الانقطاع وعدمه عند آخرين ، وجزم به ابن مالك . ومن الدالة على الدوام الواردة فى صفات الله تعالى نحو ﴿ وكان اللهُ سميعًا بصيرًا ﴾ ، أى : لم يزل متصفا بذلك » .

(١) سورة يونس ، الآية ٢٩ . وفى بيان الدلالة الزمنية لصيغة الماضى فى قوله (فكفى) يقول القيسى (فى مشكل إعراب القرآن : القسم الاول : ٣٤٤) إن « الله تعالى لم يزل هو الكافى بمعنى سيكفى لا يحول عن ذلك ابدًا » .

(٢) سورة طه ، الآية ١١٤ . يفسر الزمخشرى (فى الكشاف : ٤٧/٤) قوله عز وجل ﴿ فتعالى الله الملك الحق ﴾ بأنه « استعظام له ولما يصرف عليه عباده من أوامره ونواهيه ووعده ووعيده والإدارة بين ثوابه وعقابه على حسب أعمالهم وغير ذلك مما يجرى عليه أمر ملكوته » .

ويرى زوكن SOCIN (فى كتابه : Arabische Grammatik, § 98, S. 90) أن صيغة الماضى « يُعَبَّر بها عن حدث أو حال وُجِدَ منذ القِدَم ولا يزال باقيًا أيضاً .. نحو : « اللهُ تعالَى » » .

(٣) ابن منظور : لسان العرب : ٣١٨/١٩ .

(٤) الزمخشرى : تفسير الكشاف : ٣٠٧/١ (المطبعة البهية المصرية) . وينظر : النواسخ الفعلية والحرفية ، دراسة تحليلية مقارنة لأحمد سليمان ياقوت : ٦٤ .

الآخر : إذا وردت صيغة الماضى فى سياق الأمثال :(١)

نحو « أنجز حرٌّ ما وَعَدَ »(٢) .

فصيغة الماضى فى قوله (أنجز حر) تدل على الماضى الدائم فى ضوء سياق هذا المثل .

فصيغة الماضى فى المثل تدل على وقوع حدث فى نقطة زمنية معينة من الماضى ، وهى المناسبة التى قيل فيها المثل أول مرة ، ولا يزال وقوعه مستمراً كلما أتت مناسبة مشابهة للأولى .

*　　　*　　　*

---

(١) يعرف المبرد المثل بقوله : « المثل مأخوذ من المِثال ، وهو قول سائر يُشبَّه به حالُ الثانى بالأول » ويقول ابن السكيت فيه : « المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له ، ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ » . (ينظر : مجمع الأمثال للميدانى : المجلد الأول : ص٥) .

(٢) يوضح المفضل الضبى أصل هذا المثل بقوله : « أولُ من قال ذلك الحارث بن عمرو آكل المُرَار الكندى لصَخْر بن نهشل بن دَارِم ، وذلك أن الحارثَ قال لصخر : هَل أدلُّك على غنيمة على أن لى خُمُسَها ؟ فقال صخر : نَعَمْ ، فدلَّه على ناسٍ من اليمن ، فأغار عليهم بقومه ، فظفرُوا وغنموا ، فلما انصرفوا قال له الحارث : أنجز حُرٌّ ما وَعَد ، فأرسلها مثلاً » . (ينظر : مجمع الأمثال للميدانى : المجلد الثانى : ٣٣٢) .

ويرى دينز DENZ (فى كتابه : Die Struktur des klassischen Arabisch, S. 71) أن « الترجمة المناسبة لهذا المثل هى : « Noch immer hat ein Edler gehalten, was er versprochen » أى : أنجز حُرٌّ ما وَعَدَ دائمًا ولا يزال » .

القسم الثانى

دلالة صيغة الماضى على ما قبل الزمن الماضى

تدل صيغة الماضى على ما قبل الزمن الماضى [١] إذا وردت فى مواضع معينة توضح بالتفصيل فيما يلى :

الأول : إذا وردت صيغة الماضى قبل الحرف حتى [٢] متلواً بصيغة ماض :

لم أقف حتى الآن على رأى قال بأن صيغة الماضى تدل على ما قبل الزمن الماضى فى هذا الموضع ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا على ما كُذِّبُوا وأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ﴾ [٣] .

فقد وقع إيذاء المكذِّبين بالرسل لهم قبل مجئ نصر الله لهم فى الماضى .

وكذلك قول ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) : « وأما عِمْران [٤] فسار حَتَّى لَحِقَ بالزَّاب ، فأقام به حتى مات إبراهيم » [٥] . فسير عمران حدث وقع قبل زمن لحاقه بالزاب ، وإقامته به حدث سابق على زمن موت إبراهيم فى الماضى .

---

(١) Die Vorvergangenheit.

(٢) (حتى) هنا استئنافية ؛ يقول إبن هشام الأنصارى (فى مغنى اللبيب ١/١٢٨) : « من أوجه حتى أن تكون حرف ابتداء أى حرفاً تبتدأ بعده الجمل ، أى تستأنف » .

(٣) سورة الأنعام ، آية ٣٤ .

(٤) هو عمران بن مَخْلد ، وكان من بطانة إبراهيم بن الأغلب والى الرشيد على إفريقية ، وتوفى إبراهيم سنة ١٨١هـ (ينظر : الكامل فى التاريخ لابن الأثير : ٦/١٥٦) .

(٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ : ٦/١٥٧ ، ويوجد مثال آخر على ذلك فى الكتاب نفسه : ٦/٣١٣ .

الثاني : إذا وردت بعد ظرف المكان « حيث » مسبوقا بصيغة ماض : (١)

نحو : « جلس خـالدٌ حَيْثُ جلس أبوه » (٢) . فجلوس الأب حدث وقع قبل زمن جلوس خالد فى الماضى .

الثالث : إذا وردت تالية لـ « بعدَمَا » (٣) تسبقهما صيغة ماض :

نحو قول الأعشى الكبير : (٤)

ونَحْـنُ فككْنَا سَيِّدَيْكُمْ فأُرْسلاَ ∴ من المَوْت لَمَّا أُسْلمَا شَرَّ مُسْلَمِ

تَلاَفاهُما بِشْرٌ من المـوت بَعْدَماَ ∴ جَرَتْ لَهُمَا طَيْرُ النُّحُوسِ بأَشْأَمِ

الرابع : إذا وردت بعد ظرف الزمان « حين » (٥) مسبوقا بصيغة ماض :

نحو قول ابن إسحاق (ت ١٥١هـ) :

---

(١) أشار إلى هذا الموضع وما يليه وليم رايت W. WRIGHT فى كتابه :

A grammar of Arabic Language, § 3, p. 4.

وكذلك ڤولفديترش فيشر WOLFDIETRICH FISCHER فى كتابه :

Grammatik des klassischen Arabisch, § 183, S. 92.

(٢) جملة (جلس أبوه) تقع فى محل جر بإضافة (حيث) إليها .

(٣) بعدَ : ظرف زمان منصوب ، ومـا مصدرية غير زمانية والمصدر المؤول من ما والـفعل الماضى مجرور بإضافـة (بعد) إليه (يـنظر : مغنـى اللبيب لابـن هشام : ١/ ٣١١ ، وهمع الـهوامع للسـيوطى : ٣/ ١٩١ - ١٩٣) .

(٤) ديوان الأعشى الكبـير (ميمون ن قيس) : ص١٧٧ ـــ قصيدة ١٥ - البـيتان ٥٨ ، ٥٩ ، وهما من بحر الطويل .

يفتخر الأعشى فى هذه القـصيدة بقومه ويهجو بنى سعد بن قيس قائلاً لـهم : نحن الذين فككنا سيديكم ، فاطلـقناهما بعد أن أسلمتموهما لـلعدو وتخليتم عنهما ، وأنقـذهما « بشرٌ » من الموت ، بعدما أصابهما النحس وأدركهما الشؤم (ينظر : شرح الديوان نفسه : ص١٧٦ وهامش ١٧٧) .

(٥) تكون الجملة الفعلية بعد (حين) فى محل جر بإضافة حين إليها .

« عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن أباه عبد الله ، وكان قائد أبيه حين أصيب بصرهُ ، قال : سمعت أبى ، كعبَ بنَ مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك ، وحديث صاحبيه قال : ما تخلفت عن رسول الله ﷺ فى غزوة غزاها قط ، غير أنى كنت قد تخلفت عنه فى غزوة بدر وكانت غزوة لم يعاتب اللهُ ولا رسولُه أحداً تخلّف عنها »[1] .

فصيغة الماضى التى وردت بعد (حين) فى قوله : « أصيب بصره » تدل على ما قبل الزمن الماضى المتمثل فى قوله : « كان قائد أبيه » ، وفى قوله : « تخلف عن رسول الله ﷺ » تدل كذلك على ما قبل الزمن الماضى المتمثل فى قوله : « سمعت أبى » .

ومثل ذلك قول الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) فى كتاب القيان[2] :

« إنَّ القينة لا تكاد تخالص فى عشقها ... فإذا شاهدها المشاهدُ رامته باللَّحظ ... وأوهمته أنَّ الذى بها أكثر مما به منها ثم كاتبته تشكو إليه هواه ... والحَثّ فى اقتضاء جوابه ، فإن أجيبت عنه ادَّعت أنها قد صيَّرت الجواب سلوتها وأقامت الكتاب مقام رؤيته ، وأنشدت :

وصحيفةٍ تحكى الضميـ ـرَ مليحةٍ نغماتُها
جاءت وقد قَرِحَ الفؤا دُ لطول ما استبْطاتُها
فَضحكتُ حين رأيتُها وبكيت حِينَ قَرَاتُها[3] »

(١) ابن هشام : السيرة النبوية : ٤/ ١٧٥ .

(٢) رسائل الجاحظ : ٢/ ١٧١ / ١٧٢ .

(٣) هذه الأبيات التى رواها الجاحظ فى رسائله (٢/ ١٧١) من مجزوء الكامل .

ففى البيت الأخير تدل صيغة الماضى بعد (حين) على وقوع حدث (الرؤية) قبل الزمن الماضى المتمثل فى قول القينة : « ضحكتُ » ، وكذلك وقوع حدث (القراءة) قبل الزمن الماضى المتمثل فى قولها : « بكيتُ » .

الخامس : إذا وردت بعد ظرف الزمان « لمّا » :[1]

نحو قوله تعالى على لسان الجن : ﴿ وأنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الهُدَى آمنَّا به ﴾[2] .

فصيغة الماضى الواردة بعد (لَمَّا) فى قوله تعالى (سمعنا الهدى) تدل على وقوع حدث السماع قبل الزمن الماضى المتمثل فى قوله (آمنا به) .

وكذلك قول عبد الملك بن هشام : « فلمَّا قُتِلَ جَعْفَرُ أخذ عبدُ الله بن رَوَاحة الراية ، ثم تقدَّم بها ، وهو على فرسه »[3] .

---

(١) يرى سيبويه (فى الكتاب : ٤/ ٢٣٤) ان لَمَّا « للأمر الذى قد وقع لوقوع غيره ، وإنما تجئ بمنزلة لو لما ذكرنا ، فإنما هما لابتداء وجواب » .

يفهم من قول سيبويه هذا أن حدث صيغة الماضى الوارد بعد (لما) يقع زمنيا قبل الحدث الدال على الماضى فى جملة جوابها وأن (لما) حرف شرط .

اما أبو على الفارسى فيرى أن (لما) ظرف زمان بمعنى (إذْ) فيه معنى الشرط ، وذكر رايه ابنُ مالك (فى شرح التسهيل : ٤/ ١٠٢) ، يقول إن لما « تدل على وجوب شىء لوجوب غيره ، ولا يلزمها إلاَّ فعل ماض لفظا ومعنى ، وهى حرف يقتضى فيما مضى وجوبا لوجوب عند سيبويه ، وظرف بمعنى « إذ » فيه معنى الشرط عند أبى على » . واظن أن ابن هشام الأنصارى توهم حين نسب رأى أبى على الفارسى هذا لابن مالك ؛ يقول ابن هشام (فى مغنى اللبيب : ١/ ٢٨٠) :

« زعم ابن السراج وتبعه الفارسى وتبعهما ابن جنى وتبعهم جماعة أنها (أى لما) ظرف بمعنى حين ، وقال ابن مالك : بمعنى إذ ، وهى حسن ؛ لأنها مختصة بالماضى وبالإضافة إلى الجملة » . والقول أنها بمعنى (إذ) منسوب إلى أبى على فى حديث ابن مالك السابق .

ونص ركندورف RECKENDORF (فى كتابه Arabische Syntax, § 7, S. 11) على دلالة صيغة الماضى بعد (لما) على ما قبل الزمن الماضى .

(٢) سورة الجن ، الآية ١٣ .

(٣) السيرة النبوية : ٤/ ٢١ .

فحدث (مقتل جعفر) وقع قبل زمن أخذ عبد الله بن رواحة الراية فى الماضى .

السادس : إذا وردت فى جملة صلة الموصول مسبوقا ، اى اسم الموصول ، بصيغة ماض:

نحو قول ابن الأثير :

« وأمر المأمونُ فكتبَ به [1] إلى جميع العمال فى النواحى ؛ فسار عبدُ الله [2] إلى عمله ، فاتَّبع ما أُمِرَ به ، وعُهِد إليه ، وسار بسيرته [3] » . فتدل صيغة الماضى فى قوله : « ما أُمِر به » على وقوع حدث قبل الزمن الماضى الذى يمثله قوله : « اتَّبع » .

السابع : إذا وردت ضمن التراكيب الفعلية التالية : [4]

١ - كان فَعَل .

٢ - كان قد فَعَل .

(١) الضمير فى به يعود إلى الكتاب الذى كتبه طاهر بن الحسين (سنة ٢٠٦هـ) إلى ابنه عبد الله وقد جمع فيه كل ما يحتاج إليه الأمراء من الآداب والسياسة وغير ذلك (ينظر : الكامل فى التاريخ لابن الأثير : ٦/ ٣٩٤ - ٣٧٧) .

(٢) هو عبد الله بن طاهر بن الحسين الذى تولى حكم مصر أيام الخليفة المأمون سنة ٢٠٦هـ (ينظر الكامل فى التاريخ لابن الأثير : ٦/ ٣٦٣ ، ٥٢٧) .

(٣) الكامل فى التاريخ : ٦/ ٣٧٧ .

(٤) يتكون كل واحد من هذه التراكيب أساسًا من (كان) واسمها وخبرها جملة فعلية فعلها ماض .
ذهب نيبز NEBES (فى كتابه Funktionsanalyse von kaana yaf'alu, am Rand der Seite 146) إلى ان « أوصاف الخلفية الخاصة فى العربية القديمة تُؤدَّى بـ (قد كان فَعَل) و (كان فَعَل) و (قد فَعَل) وكذلك بالصيغة البسيطة (وفَعَل) أيضاً » . =

٣ - قد كان فَعَل .
٤ - قد كان قد فَعَل .
٥ - كان قد كان فَعَل .

وبيان دلالة هذه التراكيب على ما قبل الزمن الماضى كما يلى :

١ - دلالة التركيب (كان فعل) :

تتفرع دلالة هذا التركيب على ما قبل الزمن الماضى إلى دلالتين :

الأولى : الدلالة على وقوع حدث بعيد من الزمن الماضى ، وهى الدلالة الغالبة على هذا التركيب فى الاستعمال ، نحو قول عبد الملك بن هشام (ت ٢١٣هـ) فى أحداث فتح مكة فى رمضان سنة ثمان للهجرة : « حدثنى رجل من قريش من أهل العلم أن صفوان [١] قال لعُمَيْر [٢] : وَيْحَكَ ! اغْرُبْ عنِّى ،

- ويُضافُ إلى هذه التراكيب الفعلية التى تؤدّى أوصافَ الخلفيةَ فى الحكاية كلٌّ من التركيب : (كان قد فعل) و (قد كان قد فَعَل) و (كان قد كان فَعَل) .

وما ذهب إليه نييز مكمِّلٌ لما ذكره ڤينرش WEINRICH (فى كتابه : .Tempus Besprochene und erzählte Welt. Sprache und Literatur 16, S. 93) من أن « الماضى المستمر (ويدل عليه « كان يفعل » فى العربية) يمثل زمن الخلفية فى الحكاية ، أما الماضى البسيط (ويدل عليه « فَعَل » فى العربية) فيمثل زمن المقدمة فيها . . . وأن الجميع خلفية ما وقعوا فى الماضى المستمر وأن الجميع مقدمة ما وقعوا فى الماضى البسيط . ولا توجد قوانين ثابتة لتقسيم الماضى المستمر والماضى البسيط إلا إذا وردا مقترنَيْنِ أساسًا » .

وأشار جروس GROSS (فى مقالته : Verbform und Funktion wayyiqtol für die Gegenwart, S. 74) إلى أن « المقدمة » و « الخلفية » ليستا مقولتين نحويتين حقا ، بل هما مقولتان تخصان علم الأدب . ولكنهما يستخدمان أيضا فى وصف الظواهر النحوية .

(١) هو صفوان بن أمية .

(٢) هو عُمَيْر بن وهب .

فلا تكلمْنى ، فإنك كذاب ؛ لِما كان صنع به ، وقد ذكرناه فى آخر حديث يوم بدر »[1] .

فقوله « كان صنع به » يدل على وقوع حدث بعيد من الزمن الماضى المتمثل فى قوله : « قال لعمير » . فالحدث الأول وقع فى غزوة بدر (سنة ٢هـ) والآخر وقع فى فتح مكة (سنة ٨هـ) .

الأخرى : الدلالة على وقوع حدث قريب من الزمن الماضى ، وهو أقل وروداً فى الاستعمال من سابقتها . ومن ذلك قول البلاذرىّ (ت ٢٧٩هـ) :

« وقَتَل علىٌّ بنُ أبى طالب رضي الله عنه الحُوَيْرثَ بن نقيذ بن بجير بن عبد بن قصى ، وكان النبىُّ صلى الله عليه وسلم أمَرَ أن يقتله مَن وَجَدَه »[2] .

فقوله : « كان النبىُّ صلى الله عليه وسلم أمر » يدل على وقوع حدث قريب من الزمن الماضى المتمثل فى قوله « قتل » .

٢ - دلالة التركيب (كان قد فعل) :

تتفرع دلالة هذا التركيب على ما قبل الزمن الماضى إلى دلالتين :

الأولى : الدلالة على وقوع حدث قريب من الزمن الماضى ، وهى الدلالة الغالبة على هذا التركيب فى الاستعمال ، نحو قول جابر بن عبد الله فى غزوة حنين : « انحدرنا فى واد من أودية تِهامة . . . وكان القومُ قد سبقونا إلى

---

(١) السيرة النبوية : ٤/ ٦٠ . وتوجد أمثلة أخرى على هذه الدلالة فى الكتاب نفسه : ٤/ ٧٤ ، وفى الطبقات الكبرى لابن سعد : ٢/ ٣٣ ، وفتوح البلدان للبلاذرى : ٣٧ ، ١٩٥ ، والكامل فى التاريخ لابن الأثير : ٦/ ٢٣٩ .

(٢) فتوح البلدان : ٥٤ ، ويوجد مثال آخر على ذلك فى الكتاب نفسه : ١٧ .

الـوادى ، فكمَنُـوا لنا فى شِعابـه وأحنائـه ومضايقـه » [1] .

فقوله : « كان القوم قد سبقونـا » يدل على وقوع حدث قريب من الزمن الماضى المتمثل فى قوله : « انحدرنا » .

الأخرى : الدلالة على وقـوع حدث بعيد من الزمن المـاضى ، وهى أقل ورودًا فى الاستـعمال من سابقـتها . مـن ذلك قـول ابن هشام : « وكان الفـاكهُ بن المغيرة بن عبـد الله بن عمر بن مخزوم ، وعوف بن عبـد عوف بن عبد الحارث ابن زُهرة وعفّانُ بـن أبى العاص بن أمية بـن عبد شمس قد خـرجوا تجارًا إلى اليمن . . . فلما أقـبلوا حملوا مالَ رجل من بنى جذيمـة بن عامر ، كان هلك باليمن ، إلى ورثته » [2] .

فقولـه : كان الفاكهُ . . . قـد خرجوا » يدل عـلى وقوع حدث بعـيد من الزمن الماضى المتمثل فى قوله : « حملوا » .

٣ - دلالة التركيب (قد كان فعل) :

تتفرع دلالة هذا التركيب على ما قبل الزمن الماضى إلى دلالتين :

الأولى : الدلالة عـلى وقوع حدث قـريب من الزمـن الماضى ، وهى الـدلالة الغالبة على هذا التركيب فى الاستعمال ، نحو قول ابن هشام فى غزوة تبوك : « استتب برسول الله ﷺ سفرُه ، وأجمـع السَّيْرَ . وقدكان نَفَرٌ من المسلمين

---

(١) ابن هشـام : السيرة النبـوية : ٤/ ٨٥ . وتوجد أمثـلة أخرى على هذه الـدلالة فى الكتاب نـفسه : ٤/٤٩ ، ٥١ ، ٢٠٦ ، وفى الطبقات الكبرى لابن سعد : ٢/ ٢٧ ، وفتوح البلدان للبلاذرى : ٥٣ ، ٢٤٢ ، والكامل لابن الأثير : ٤/١٠٩ ، ٦/ ٧٢ .

(٢) السيرة النبويـة : ٤/ ٧٤ . ويوجد مثالان آخران على هذه الدلالة فى الـكتاب نفسه : ٤/ ١٧٥ ، وفى فتوح البلدان للبلاذرى : ١٧ .

أبطأتْ بهم النيَّةُ عن رسول الله ﷺ ، حتى تخلفوا عنه عن غير شك ولا ارتياب » (١) .

فقوله : « قد كان نفر من المسلمين أبطأت بهم النية » يدل على وقوع حدث قريب من الزمن الماضى المتمثل فى قوله : « استتب سفره وأجمع السير » .

والأخرى : الدلالة على وقوع حدث بعيد من الزمن الماضى ، وهى أقل وروداً فى الاستعمال من سابقتها . من ذلك قول ابن إسحاق : « وكان رسول الله ﷺ ، قد عَهِد إلى أمرائه من المسلمين ، حين أمرهم أن يدخلوا مكة ، أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم ، إلاَّ أنه قد عهد فى نفر سمَّاهم أمر بقتلهم . . . منهم عبد الله بن سعد أخو بنى عامر بن لؤى . . . لأنه قد كان أسلم ، وكان يكتب لرسول الله ﷺ ، الوحىَ ، فارتدَّ مشركًا راجعًا إلى قريش » (٢) .

فقوله : « قد كان أسلم » يدل على وقوع حدث بعيد من الزمن الماضى المتمثل فى قوله : « فارتدَّ مشركا » .

٤ - دلالة التركيب (قد كان قد فعل) :

هذا التركيب قليل الورود فى الاستعمال ، ويدل على وقوع حدث قريب من الزمن الماضى ، نحو قول ابن إسحاق : وقد كان قُطْبة بن قَتَادة العُذْرىّ الذى كان على ميمنة المسلمين ، قد حمل على مالك بن زافلة فقتله » (٣) .

(١) السيرة النبوية : ١٦٢/٤ . وتوجد أمثلة أخرى على ذلك فى الكتاب نفسه : ٧٣/٤ ، ١٧٥ ، وفى فتوح البلدان للبلاذرىّ : ٣٧ ، ٢٠٧ ، ٢٥٢ .

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية : ٥١/٤ ، ٥٢ . ويوجد مثال آخر على ذلك فى فتوح البلدان للبلاذرى : ١٠٠ .

(٣) الكتاب نفسه : ٢٣/٤ . وتوجد أمثلة أخرى على ذلك فى الكتاب نفسه : ٢٤/٤ ، وفى المغازى للواقدى : ٨٢٣ ، ٩٦٩ ، ٩٧٤ .

فقوله : « قد كان قطبة . . . قد حمل » يدل على حدث قريب من الزمن الماضى المتمثل فى قوله : « فقتله » .

والملاحظ على تركيب (قد كان قد فعل) أن « قد » تكرر ورودها فى جملة خبر كان ، وربما وقع التكرار لبُعْد المسافة بين « قد كان » وجملة الخبر كما هو واضح من المثال السابق وغيره ، ولغرض توكيد جهة قرب وقوع الحدث من الزمن الماضى .

٥ - دلالة التركيب (كان قد كان فعل) :

وهو تركيب نادر الاستعمال فيما أظن ؛ فلم أعثر فيما قرأت إلاَّ على مثال واحد منه ، يدل على وقوع حدث بعيد من الزمن الماضى ، وهو قول ابن إسحاق فى أمر مسجد الضرَّار عند رجوع رسول الله ﷺ من غزوة تبوك : « أقبل رسول الله ﷺ ، حتى نزل بذى أوان ، بلد بينه وبين المدينة ساعةٌ من نهار ، وكان أصحابُ مسجد الضرَّار قد كانوا أتوه وهو يتجهَّز إلى تبوك فقالوا : يا رسول الله ، إنا قد بنينا مسجداً لذى العلَّة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية ، وإنانحب أن تأتينا فتصلى لنا فيه ، فقال إنى على جَناح سفَر وحال شغل » [١] .

فقوله : « كان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه » يدل على وقوع حدث بعيد من الزمن الماضى المتمثل فى قوله : « نزل بذى أوان » .

* * *

(١) ابن هشام : السيرة النبوية : ٤/ ١٧٣ .

القسم الثالث

دلالة صيغة الماضي على الزمن الحاضر

تدل صيغة الماضى على الزمن الحاضر إذا وردت فى سياقات معينة توضح فيما يلى :

أولاً : إذا وردت صيغة الماضى فى سياق الإنشاء الإيقاعى [1] ، مثل قولك فى سياق إيقاع البيع والشراء : « بِعتُكَ كذا » أو « اشتريتُ منك كذا » وفى سياق التطليق : « طلقتُ فلانة » ، والتزويج : « زَوَّجتُك فلانة » ، من ذلك قول رسول الله ﷺ لرجل فقير طلب أن يتزوج امرأة وهبت نفسها لرسول الله ﷺ : « ... أمعك من القرآن شيءٌ ؟ قال : نعم ، سورة كذا وسورة كذا ، لسور سماها ، فقال :

---

(١) يرى ابن مالك (فى شرح التسهيل : ١/ ٢٩ ، ٣٠) أن الماضى ينصرف « إلى الحال بالإنشاء .... (و) الإنشاء فى اللغة مصدر أنشأ فلان يفعل كذا ، أى ابتدأ ، ثم عُبِّر به عن إيقاع معنى بلفظ يقارنه فى الوجود كإيقاع التزويج بزوّجت والتطليق بطلَّقت ، والبيع ببعت واشتريت . فهذه الأفعال وأمثالها ماضية اللفظ حاضرة المعنى ؛ لأنها قصد بها الإنشاء ، أى إيقاع معانيها حال النطق بها » .

ويوضح الرضى (فى شرح الكافية : ٢/ ٢٢٥) الفرق الدلالى بين صيغة الماضى المستعملة فى الإنشاء الإيقاعى وصيغة المضارع بقوله : « وأكثر ما يستعمل فى الإنشاء الإيقاعى من أمثلة الفعل هو الماضى نحو : بعت واشتريت . والفرق بين بعت الإنشائى وأبيع المقصود به الحال أن قولك : أبيع لابد له من بيع خارج حاصل بغير هذا اللفظ تقصد بهذا اللفظ مطابقته لذلك الخارج فإن حصلت المطابقة فالكلام صدق وإلاّ فهو كذب ، فلهذا قيل : إن الخبر محتمل للصدق والكذب فالصدق محتمل اللفظ من حيث دلالته عليه والكذب محتمله ولا دلالة للفظ عليه . أما بعت الإنشائى فإنه لاخارج له تقصد مطابقته بل البيع يحصل فى الحال بهذا اللفظ . وهذا اللفظ موجد له فلهذ قيل إن الكلام الإنشائى لا يحتمل الصدق والكذب ؛ وذلك لأن معنى الصدق مطابقته للخارج والكذب عدم مطابقته » .

وتسمى الأفعال الماضية الدالة على الإنشاء الإيقاعى « ألفاظ العقود » .

زوّجناكها بما معك من القرآن » [١] .

فصيغة الماضى فى قوله ﷺ « زَوَّجْناكها تدل على الزمن الحاضر فى سياق إتمام عقد الزواج مع القول فى آن واحد .

ثانيـاً : إذا وردت صيغة الماضى فـى سياق الإعلان عن أمر والإقـرار به . من ذلك :

١ - قوله تعـالى على لسان من يـحمل السيئات ويـحضره الموتُ : ﴿ إنِّى تُبْتُ الآنَ ﴾ [٢] .

فصيغـة الماضى فى قوله (تبـت) تدل على الزمن الحـاضر فى ضوء سياق هذه الآية وبـالقرينة الواردة فى الجمـلة (ظرف الزمان : الآن) . وفى هذا القول إعلان عن التوبة وإقرار بها .

٢ - قوله تـعالى فيمـا نزل على النـبى ﷺ يوم عرفة بـعد العصر فـى حجة الوداع سنة عشر للهجرة : ﴿ اليَوْمَ يَئِسَ الذين كَفَرُوا من دِينِكُمْ ﴾ [٣] .

---

(١) نص الحديث ورد فـى فتح البارى بشـرح صحيح البخـارى لابن حجر العسـقلانى (١٩/ ٢٢٩ - باب النكاح) برواية عبد الله بن يوسف عن مالك عن أبى حازم عن سهل بن سعد .

(٢) سورة النساء ، الآية ١٨ .

(٣) سورة المائدة ، الآية ٣ . وفى تفسير هذه الآية قولان أوردهما الفخر الرازى (فى تفسيره : ١١/ ١٣٩) « (الأول) أنه ليس المـراد هو ذلك اليوم بعينـه حتى يقال إنهم ما يـئسوا قبله بيوم أو يـومين ، وإنما هو كلام خارج على عادة أهل الـلسان معناه : لا حاجة بكم الآن إلى مداهنـة هؤلاء الكفار لأنكم الآن صرتم بحيث لا يطمع أحد من أعدائكم فى توهين أمـركم ، ونظيره قوله : كنت بالأمس شاباً واليوم قد صرت شيخا ، ولا يريد بالأمس اليوم الذى قبل يومك ، ولا باليوم يومك الذى أنت فيه و (القول الثانى) أن المراد به يوم نزول هذه الآية ، وقد نزلت يوم الجمـعة وكان يوم عرفة بعد العصر فى حجة الوداع سنـة عشر والنـبى ﷺ واقف بعـرفات على نـاقته العـضباء » . وهذا الـرأى الثانى هـو ما اعتمدت عليه .

فصيغة الماضي في قوله (يئس) تدل على الزمن الحاضر في ضوء سياق هذه الآية ، وبالقرينة السياقية في الجملة (ظرف الزمان : اليومَ) .

٣ - قوله تعالى على لسان الحواريين لما أوحى إليهم أن يؤمنوا به وبرسوله عيسى عليه السلام : ﴿ آمَنَّا واشْهَدْ بأنَّنا مُسْلِمُونَ ﴾ (١) .

فصيغة الماضي في قوله (آمَنَّا) تدلّ على الزمن الحاضر في ضوء سياق هذه الآية وفي قولهم إعلان عن إيمانهم وإقرارهم به .

٤ - قوله تعالى على لسان السحرة بعد سجودهم لله تعالى : (آمَنَّا بربِّ العالَمِينَ ، رَبِّ موسى وهارون ﴾ (٢) .

فصيغة الماضي في قولهم (آمنا) تدل على الزمن الحاضر في ضوء سياق الآية وفي قولهم إعلان عن إيمانهم وإقرارهم به .

٥ - قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام بعدما أفاق من الصعقة : ﴿ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إليك وأنا أوَّلُ المُؤْمنينَ ﴾ (٣)

---

(١) سورة المائدة ، الآية ١١١ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية ١٢١ ، ١٢٢ وينظر كذلك سورة طه ، الآية ٧٠ . أوضح الفخر الرازي (في تفسيره : ١٤/٢١٥) « أنه تعالى ذكر أولاًأنهم (أي السحرة) صاروا ساجدين ثم ذكر بعده أنهم قالوا (آمنا برب العالمين) فما الفائدة فيه مع أن الإيمان يجب أن يكون متقدماً على السجود ؟ وجوابه من وجوه : (الأول) : أنهم لما ظفروا بالمعرفة سجدوا لله تعالى في الحال ، وجعلوا ذلك السجود شكراً لله تعالى على الفوز بالمعرفة والإيمان ، وعلامة أيضاعلى انقلابهم من الكفر إلى الإيمان ، وإظهار الخضوع والتذلل لله تعالى ، فكأنهم جعلوا ذلك السجود علامة على هذه الأمور الثلاثة على سبيل الخضوع . (الوجه الثاني) لايبعد أنهم عند الذهاب إلى السجود قالوا (آمنا برب العالمين) وعلى هذا التقدير فالسؤال زائل والوجه الصحيح هو الأول » . وهذا الثاني آكد في دلالة صيغة الماضي على الحاضر .

(٣) سورة الأعراف ، الآية ١٤٣. في تفسير هذه الآية ذكر الطبري (في جامع البيان في تفسير القرآن : ٣٨/٩) أن الله تعالى يقول : « فلما ثاب إلى موسى عليه السلام فهمه من غشيته وذلك هو =

فصيغة الماضي في قوله (تُبْتُ) تدل على الزمن الحاضر في ضوء سياق الآية ، وفي قوله إعلان عن التوبة وإقرار بها .

٦ - قوله تعالى حكاية عن فرعون حين أدركه الغرق : ﴿ آمنْتُ أنَّه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا مِن المُسْلِمينَ ﴾ (١) .

فصيغة الماضي في قوله (آمنتُ) تدل على الزمن الحاضر في ضوء سياق الآية ، وفي قوله إعلان عن الإيمان وإقرار به .

٧ - قوله تعالى حكاية عن امرأة العزيز : ﴿ الآنَ حصحص الحَقُّ أنا راودتُهُ عن نَفْسِهِ وإنَّه لمن الصادقين ﴾ (٢) .

= الإفاقة من الصعقة التي خر لها موسى عليه السلام قال سبحانك تنزيها لك يارب وتبرئة أن يراك أحد في الدنيا ثم يعيش ، تبت إليك من مسالتي إياك ما سالتك من الرؤية وأنا أول المؤمنين بك من قومي أن لا يراك في الدنيا أحد إلاّ هلك » .

(١) سورة يونس ، الآية ٩٠ . أوضح الفخر الرازي (في تفسيره : ١٧/ ١٦٠) أن الله تعالى ذكر أن فرعون « لما أدركه الغرق أظهر كلمة الإخلاص ظنا منه أنه ينجيه من تلك الآفة وههنا سؤالان ؛ السؤال الأول : أن الإنسان إذا وقع في الغرق لا يمكنه أن يتلفظ بهذا اللفظ فكيف حكى الله تعالى عنه أنه ذكر ذلك ؟ والجواب من وجهين : الأول : أن مذهبنا أن الكلام الحقيقي هو كلام النفس لا كلام اللسان ، فهو إنما ذكر هذا الكلام بالنفس ، لا بكلام اللسان ، ويمكن أن يستدل بهذه الآية على إثبات كلام النفس ، لأنه تعالى حكى عنه أنه قال هذا الكلام ، وثبت بالدليل أنه ما قاله باللسان ، فوجب الاعتراف بثبوت كلام غير كلام اللسان وهو المطلوب . الثاني : أن يكون المراد من الغرق مقدماته . . . إلخ » .

(٢) سورة يوسف ، الآية ٥١ . يقول الفخر الرازي (في تفسيره : ١٨/١٥٦) : « واعلم أن امرأة العزيز كانت حاضرة ، وكانت تعلم أن هذه المناظرات والتفحصات إنما وقعت بسببها ولأجلها فكشفت عن الغطاء وصرحت بالقول الحق وقالت ﴿ الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ﴾ وفيه مسائل : (المسألة الأولى) هذه شهادة جازمة من تلك المرأة بأن يوسف صلوات الله عليه كان مبرأ عن كل الذنوب مطهراً عن جميع العيوب . . . (المسألة الثانية) قال أهل اللغة : (حصحص الحق) معناه وضح وانكشف وتمكن في القلوب والنفوس . . . إلخ » .

فصيغة الماضي في قولها (حصحص) تدل على الزمن الحاضر في ضوء سياق الآية ، وبالقرينة الواردة في الجملة (ظرف الزمان : الآن) . وفي قولها إعلان عن ظهور الحق بعد خفائه وإقرار به .

٨ - قوله تعالى حكاية عن « بلقيس » ملكة سبأ : ﴿ رَبِّ إِنِّي ظلمتُ نَفْسِي وأسلمتُ مع سُلَيْمانَ لله رَبِّ العالمين ﴾ [١] .

فصيغة الماضي في قولها (أَسْلَمْتُ) تدل على الزمن الحاضر في ضوء سياق الآية ، وفي قولها إعلان عن إسلامها وإقرار به .

٩ - قول الفخر الرازي (ت ٦٠٤ هـ) : « ورأيت في بعض الكتب أن امرأة جاءت بزوجها إلى القاضي وادعت عليه المهر ، فأمر القاضي بأن يكشف عن وجهها حتى تتمكن الشهود من إقامة الشهادة ، فقال الزوج : لا حاجة إلى ذلك ، فإني مقر بصدقها في دعواها ، فقالت المرأةُ : لما أكرمتني إلى هذا الحد فاشهدوا أني أبرأتُ ذمتَك من كل حق لي عليك » [٢] .

فصيغة الماضي في قول المرأة (أبرأتُ) تدل على الزمن الحاضر في ضوء سياق الحكاية ، وفي قولها إعلان عن إبراء ذمة زوجها وإقرار به .

ثالثاً : إذا وردت صيغة الماضي في سياق كتابة الرسائل وإرسالها، مثل قولك : « كتبتُ إليك كذا » في معنى أكتبُ ، و « بعثتُ إليك بهذا » في معنى

---

(١) سورة النمل ، الآية ٤٤ . بيَّن الزمخشري (في الكشاف : ٢٠٢/٤) معنى قولها (ظلمت نفسي) بأنها « تريد بكفرها فيما تقدم ، وقيل : حسبت ان سليمان عليه السلام يغرقها في اللجة فقالت : ظلمت نفسي بسوء ظني بسليمان عليه السلام » .

(٢) تفسير الفخر الرازي : ١٥٧/١٨ .

أبعثُ . من ذلك ما يروى أن الفرزدق حين قيل له [1] إن « امرأة بالباب تسأل عنه ، كاد يطير من الفرح ووثب يعدو إليها ، فلما رآته قالت : إنى عذتُ بقبرِ غالب. قال : وما حاجتك ؟ قالت : ابن لى ليس ولد غيره قد جُمِّر (أى حُبِسَ عن العَوْد إلى أهله) بالسند ، وقد صانعت فيه فأعيانى ذلك ، وأخبرته بما قيل لها فيه ، فقال : يا غلام هات ورقًا ودواة ، وقال : ما اسم ابنك ؟ قالت خُنَيس ، فقال الفرزدق ، وكتب بها إلى عامل الناحية التى ابنها فيها :

كَتَبْتُ وعَجَّلْتُ البِرادةَ ، إننى ∴ إذا حاجةٌ طَالَبْتُ عَجَّتْ رِكابُها

ولى ببلاد الهِنْدِ ، عِنْدَ أميرِها ∴ حَوَائجُ جَمَّاتٌ وعندى ثَوَابُهَا

فصيغة الماضى فى قوله (كتبتُ) تدل على الزمن الحاضر فى ضوء سياق أحداث كتابة الرسالة ، فقد قال هذا الكلام بعد أن تناول ورقا ودواة وهمَّ بالكتابة ، وتدل صيغة الماضى فى الجملة المعطوفة (عجلت البرادة) على الزمن الحاضر أيضا .

رابعاً : إذا وردت صيغة الماضى فى سياق القَسم ، مثل قولك : « أقسمت » فى معنى أُقسِمُ ، و « حلفت » فى معنى أَحْلِفُ . من ذلك قول الفرزدق يهجو جريراً [2] :

(1) شرح ديوان الفرزدق (إيليا الحاوى - دار الكتاب اللبنانى - بيروت ١٩٨٣) ج١ / ص١٤٤ . البيتان من بحر الطويل . والبرادة : الرسالة ، وعجّت ركابها : تعجلت المطايا التى تحملها . يقول : إنه يتعجل فى تنفيذ ما يبتغيه لتحقيق حاجته وإن له عنده حاجات كثيرة وإنه سيكافئه عليها (ينظر فى ذلك شرح الديوان نفسه : ١/ هامش ١٤٤) .

(2) شرح الديوان نفسه : ١/ ١٨١ . البيتان من بحر الوافر . والمصلى : المسجد ، والهدىّ : الإبل التى تهدى إلى مكة ، والمقلدات : المنعلات ؛ لأن البدن تقلّد بالنعل أو تشعر فى سنامها حتى يسيل منها الدم ليُعْلم أنها هدية ، والجلف: الرجل الغليظ وهنا جرير . يقسم الفرزدق برب مكة والإبل =

حلفتُ برَبٍّ مكّةَ والمُصلّى ∴ وأعْنَاقِ الهَـدِيّ مُقلَّـداتِ
لَقَدْ قلَّدْتُ جِلْفَ بني كُلَيْبٍ ∴ قلائـدَ فی السَّوالفِ باقياتِ

فصيغة الماضی فی قوله (حلـفتُ) تدل على الزمن الحاضر فی ضوء سياق القسم .

* * *

= التی تساق إليها وتقلد وتعلم حين تهدى بأنه نظـم فی جرير قصائد دمغتـه دمغاً على صفحتی وجهه (ينظر شرح الديوان نفسه : ج١ / هامش ١٨١) .

القسم الرابع

دلالة صيغة الماضى على الزمن المستقبل

تدل صيغة الماضى على المستقبل إذا وردت فى المواقع والسياقات التالية :

الأول : إذا وردت بعد همزة التسوية .

الثانى : إذا وردت صفة لنكرة عامة .

الثالث : إذا وردت بعد (ما) المصدرية الظرفية .

الرابع : إذا وردت بعد حرف من حروف التحضيض .

الخامس : إذا وردت فى سياق الوَعْد .

السادس : إذا وردت فى سياق القسم .

السابع : إذا وردت فى سياق الرجاء .

الثامن : إذا وردت فى سياق الأمر .

التاسع : إذا وردت فى سياق التمنى .

العاشر : إذا وردت فى سياق الدعاء .

الحادى عشر : إذا وردت فى سياق الشرط .

الثانى عشر : إذا وردت فى سياق « حكاية الحال الآتية » .

وتوضيح هذه المواقع والسياقات بالتفصيل كما يلى :

الأول : إذا وردت صيغة الماضي بعد همزة التسوية ، دلت على المستقبل :

نحو قولك : « سَوَاءٌ عليَّ أقُمْتَ أم قَعَدْتَ » .

فصيغة الماضي في قولك : (أقمت أم قعدت) تدل على المستقبل بعد همزة التسوية إذا قصدت سواء عليَّ ما يكون منك من قيام وقعود .

أما إذا قصدت : سواء عليَّ ما كان منك من قيام وقعود فإن صيغة الماضي في هذه الحالة تدل على الزمن الماضي (١) .

ومن دلالة صيغة الماضي على المستقبل بعد همزة التسوية قوله تعالى حكاية عن الذين استكبروا في الأرض وهم يحاسَبون يوم القيامة : ﴿ سواءٌ علينا أجَزِعْنَا أمْ صَبَرْنا ما لنا من مَحِيصٍ ﴾ (٢) .

فصيغة الماضي في قوله (أجزعنا أم صبرنا) تدل على المستقبل بعد همزة التسوية .

وتوهم وليم رايت أن صيغة الماضي بعد همزة التسوية تدل على معنى الاستقبال فقط ، وأن العطف بعد همزة التسوية يكون بـ (أو) . يقول رايت : « تُطَبَّقُ الملحوظة نفسها (أى ملحوظة أن صيغة الماضي تدل على معنى الاستقبال بعد (إنْ) الشرطية وبعد عدد من الكلمات تتضمن المعنى الشرطي لإن) ، تطَبَّقُ على صيغة الماضي التي تقع قبل (أو) وبعدها في عبارات مثل : « سواء غابوا أو حضروا » ، « سواء عليَّ قمت أو قعدت » (٣) » .

---

(١) أوضح السيوطي (في همع الهوامع ١/ ٢٤) أنَّ الفعل بعد (أم) إنْ كان « مقرونا بـ (لم) تعيَّن المضىّ نحو (سواء عليهم أأنذرتَهُمْ أم لم تُنْذِرْهُمْ ﴾ (البقرة ٦) ؛ لأن الثاني ماضٍ معنى ، فوجب مُضىّ الأول ؛ لأنه معادل له » .

معنى هذا الكلام أنه إن لم ترد « لم » بعد « أم » فاحتمال المضى والاستقبال قائم حسب السياق .

(٢) سورة إبراهيم ، الآية ٢١ .

(٣) WRIGHT, W.: A grammar of the Arabic Language, p. 14, 15.

ولعل الصواب ما أشير إليه من أن صيغة الماضى تحتمل الاستقبال والمضى بعد همزة التسوية والذى يحدد ذلك هو سياق الكلام ، وأن حرف العطف الذى يستعمل بعد هذه الهمزة هو « أم »[1] وليس « أو » .

الثاني : إذا وردت صفة لنكرة عامة :[2]

نحو : « كلُّ رجلٍ أتانى فله دِرْهَمٌ »[3] .

فصيغة الماضى فى قوله (أتانى) تدل على المستقبل وتقع فى جملة صفة لنكرة عامة ، وهى « رجل » . ومن ذلك قوله تعالى لرسول الله ﷺ فى المخلَّفين : ﴿ ولا تُصلِّ على أحَدٍ منْهُمْ ماتَ أبدًا ﴾[4] .

فصيغة الماضى فى قوله (مات) تدل على المستقبل وتقع فى جملة صفة لنكرة ، وهى (أحد) .

---

(١) يقول ابن هشام الأنصارى (فى مغنى اللبيب ١/ ٤٣): « إذا عطفت بعد الهمزة بأو ، فإن كانت همزة التسوية لم يجز قياسًا وقد أولع الفقهاءُ وغيرُهم بأن يقولوا « سواء كان كذا أو كذا »... والصواب العطف ... بأمْ » .

(٢) وتدل صيغة الماضى فى هذا الموقع على الزمن الماضى أيضًا والذى يحدد ذلك هو السياق . ومن دلالتها على الماضى قول الأعشى الكبير ميمون بن قيس (فى ديوانه : القصيدة الأولى - البيت ٧١) :

رُبَّ رِفْدٍ هَرَقْتَهُ ذلك اليَوْ ... مَ ، وأسْرَى مِنْ مَعْشَرٍ أقتالِ

فصيغة الماضى فى قوله (هرقته) تدل على الماضى وتقع فى جملة صفة لنكرة عامة هى (رفد) .

والبيت من بحر الخفيف ، وهو من قصيدة فى مدح الأسود بن المنذر اللخمى . والرِّفْد : القدح الضخم ، ويكنى بإراقة الرفد عن الموت . وأقتال : جمع قِتْل ، وهو العدو . المعنى : كم كأس سفحته ذلك اليوم ، وكم أسير من معشر أعداء .

(٣) يعلل الرضى (فى شرح الكافية ٢/ ٢٢٥) دلالة صيغة الماضى على المستقبل فى هذا المثال بأن فيها « رائحة الشرط » .

(٤) سورة التوبة ، الآية ٨٤ . وفى بيان الدلالة الزمنية لصيغة الماضى فى هذه الآية ، يقول الزمخشرى (فى الكشاف ٢/ ٢٠٧) : « (مات) صفة لأحد ، وإنما قيل : مات وماتوا بلفظ الماضى والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون والوجود لأنه كائن موجود لا محالة » .

الثالث : إذا وردت بعد (ما) المصدرية الظرفية [1] :

نحو قوله تعالى على لسان عيسى بن مريم ، عليه السلام :

﴿ وأوْصَاني بالصلاةِ والزَّكاةِ ما دُمْتُ حيًّا ﴾ [2] .

فصيغة الماضي في قوله (مادمت) تدل على المستقبل بعد ما المصدرية الظرفية ، ومعنى العبارة : مدةَ دوامي حيا . ومن ذلك ما روى عن امرئ القيس أنه رأى عند موته قبر امرأة من أبناء الملوك ماتت هناك فدفنت في سفح جبل يقال له عسيب ، فسأل عنها فأُخْبِر بقصتها ، فقال [3] :

أجَارتَنَا إنَّ المزارَ قريبُ ∴ وإنِّى مُقيمٌ ما أقامَ عَسِيبُ

فصيغة الماضي في قوله (ما أقام) تدل على المستقبل بعد ما المصدرية الظرفية . ومعنى العبارة : مدة إقامة عسيب .

وقد تدل صيغة الماضي بعد ما المصدرية الظرفية على الزمن الماضي . من ذلك قوله تعالى على لسان عيسى بن مريم ، عليه السلام : ﴿ وكنتُ عَلَيْهِمْ شهيدًا ما دُمْتُ فِيهِمْ ﴾ [4] .

فصيغة الماضي في قوله (مادمتُ) تدل على الماضي بعد ما المصدرية الظرفية ، دل على ذلك سياق الآية .

---

(1) أطلق ابن هشام الأنصاري (في مغنى اللبيب ١/ ٣٠٥) على ما المصدرية الظرفية اسم (ما) المصدرية الزمانية .

(2) سورة مريم ، الآية ٣١ .

(3) ديوان امرئ القيس : ص٣٥٦ ، البيت الأول من قصيدة (أجارتنا) . والبيت من بحر الطويل .

(4) سورة المائدة ، الآية ١١٧ .

الرابع : إذا وردت بعد حرف من حروف التحضيض [1] دلت على المستقبل في سياقي العرض والأمر :

فمن دلالة صيغة الماضي على المستقبل بعد حرف التحضيض في سياق العرض قوله تعالى حكاية عن الكافر يوم القيامة : ﴿ لولا أخَّرتَنِي إلى أجَلٍ قريبٍ فأصَّدَّقَ وأكُنْ من الصَّالحين ﴾ [2] .

فصيغة الماضي في قوله (أخرتني) تدل على المستقبل بعد الحرف (لولا) في سياق العرض .

ومن دلالتها على المستقبل بعد حرف التحضيض في سياق الأمر قوله تعالى : ﴿ فلولا نَفَرَ مِن كلٍّ فرقةٍ منهم طائفة ﴾ [3] .

فصيغة الماضي في قوله (نفر) تدل على المستقبل بعد حرف التحضيض (لولا) في سياق الأمر ، والمعنى : « لِيَنفُرْ من كل فرقة طائفة » [4] .

الخامس : إذا وردت في سياق الوعد :

نحو قوله تعالى : ﴿ إنَّا أعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ ﴾ [5] .

---

(١) حروف التحضيض هي : الأَ ، ولولا ، ولو ما ، وهَلاَّ . وأطلق النحاة على هذه الحروف حروف التحضيض على التوسع ؛ إذ إنها ترد لمعنى التحضيض وغيره كالعرض والأمر والتوبيخ .

(٢) سورة المنافقين ، الآية ١٠ . ويعلل ابن يعيش (في شرح المفصل ٨/ ١٤٤) سبب دلالة صيغة الماضي على المستقبل بعد (لولا) في هذه الآية بأن (لولا) يشبه حرف الشرط ؛ « لأنه في معناه ، والتقدير : إنّ أخرتني أصدق ؛ ولذلك جزم (وأكنْ) بالعطف على موضع (فأصدق) » .

(٣) سورة التوبة ، الآية ١٢٢ .

(٤) ابن مالك : شرح التسهيل : ١/ ٣١ ، والسيوطي : همع الهوامع : ١/ ٢٥ .

(٥) سورة الكوثر ، الآية ١ . ذكرا ابن مالك (في شرح التسهيل ١/ ٣٠) أن الماضي ينصرف « إلى الاستقبال بالوعد كقوله تعالى ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ » .

فصيغة الماضي في قوله (أعطيناك) تدل على المستقبل في سياق الوعد الذي وعده الله بإعطائه رسوله ﷺ الكوثر يوم القيامة .

السادس : إذا وردت في سياق القسم . وذلك إن وقعت في جملة جواب القسم :[1]

نحو قول الواقدي (ت ٢٠٧هـ) في أمر قريش حين كانت تستعد للخروج إلى بدر : « فمشت قريش إلى أبي لهب فقالوا : إنك سيد من سادات قريش ، وإنك إن تخلَّفتَ عن النفير يعتبر بك غيرُك من قومك ، فاخرجْ أو ابعث أحدًا . فقال : واللات والعُزَّى لا أخرج ولا أبعث أحدًا ! فجاءه أبو جهل فقال : قم أبا عتبة ، فوالله ما خرجنا إلاَّ غضبًا لدينك ودين آبائك ! »[2] .

فصيغة الماضي في قوله (ما خرجنا إلاَّ غضبًا) تدل على المستقبل في جملة جواب القسم ، إذ إن قريشًا في ذلك الوقت كانت تستعد للخروج ولم تكن قد خرجت بعد . يلاحظ أن صيغة الماضي في هذا المثال دلت على المستقبل ووقعت في جملة جواب قسم جاءت على صورة الاستثناء المفرغ بما النافية وإلاَّ .

وتضاف هذه الصورة إلى ما قاله ابن مالك[3] من أن صيغة الماضي تنصرف إلى الاستقبال بعد القسم في جملة منفية بلا أو بإن .

---

(١) يرى ابن مالك (في شرح التسهيل ١/ ٣٠) أن انصراف الماضي إلى الاستقبال « بعد القسم بالنفي بلا كقول الشاعر :

ردُوا فوالله لاَذُدْناكم أبدًا ∴ مادام في مائنا وِردٌ لنُزَّالِ

وانصرافه بالنفي بإن كقوله تعالى (في سورة فاطر ٤١) : ﴿ إنَّ اللهَ يُمْسِكُ السموات والأرضَ أنْ تَزُولاَ ولَئِن زَالَتَا إنْ أَمْسَكَهُمَا مِن أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ أي والله لئن زالتا ما يمسكهما » .

(٢) المغازي : ١/ ٣٣ .

(٣) ينظر : شرح التسهيل ١/ ٣٠ .

السابع : إذا وردت فى سياق الرجاء :

نحو قوله تعالى : ﴿ وآخرونَ اعْتَرَفُوا بذنـوبهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صالحًا وآخَرَ سَيِّئًا عسى اللهُ أن يتوبَ عليهم ﴾ (١)

فصيغة الماضى فى قوله « عسى » (٢) تدل على المستقبل بالنسبة لنقطة الحدث المتمثل فى قوله (اعترفوا بذنوبهم) .

الثامن : إذا وردت فى سياق الأمر :

نحو قوله تعالى : ﴿ وقُلْ للذينَ أوتوا الكتابَ والأُمِّيِّينَ أأسْلَمْتُمْ فإنْ أسْلَمُوا فقدِ اهْتَدَوا وإنْ تَوَلَّوا فإنما عَلَيْكَ البلاغُ ﴾ (٣) .

فصيغة الماضى فى قوله « أأسلمتم » (٤) تدل على المستقبل فى سياق الأمر .

---

(١) سورة التوبة ، الآية ١٠٢ .

(٢) أوضح ابن هشام الأنصارى (فى مغنى اللبيب ١/ ١٥١ ، ١٥٢) أن « (عسى) تستعمل على أوجه : أحدها أن يقال : عسى زيدٌ أن يقوم . . . الاستعمال الثانى : أن تسند إلى أن والفعل فتكون فعلاً تاماً ، هذا هو المفهوم من كلامهم . وقال ابن مالك : عندى أنها ناقصة أبدًا . . . الثالث والرابع والخامس : أن يأتى بعدها المضارع المجرد ، أو المقرون بالسين أو الاسم المفرد ، نحو : عسى زيدٌ يقوم ، وعسى زيدٌ سيقوم ، وعسى زيد قائما ، والأول قليل . . . والثالث أقل . . . والسادس : أن يقال : عَسَاىَ ، وعَسَاك ، وعَسَاه ، وهو قليل » .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ٢٠ .

(٤) يقول ابن هشام الأنصارى (فى مغنى اللبيب ١/ ١٧ ، ١٨) : « قد تخرج الهمزةُ عن الاستفهام الحقيقى ، فترد لثمانية معانٍ : . . . السادس : الأمر ، نحو : (أأسْلَمْتُمْ) أى : أَسْلِمُوا » .

التاسع : إذا وردت فى سياق التمنى بعد (لو) :

نحو : « لو أعْطَانى وَوَهَبَنِى »[1] .

فصيغة الماضى فى قوله (أعطانى) تدل على المستقبل فى سياق التمنى بعد (لو) الدالة عليه .

العاشر : إذا وردت فى سياق الدعاء :[2]

ويكون الدعاء بالخير أو بالشر . وبيان هذين النوعين كما يلى :

١ - الدعاء بالخير : ويكون عن طريق الإثبات ، نحو : أطال الله بقاءَك وبُوركتَ . ومن ذلك ما كتبه جعفر بن محمد بن ثَوَابه عن الخليفة العباسى المعتضِد (محمد بن الموفّق) إلى ابن طُولون « فى ذكر ابنته قَطْر النّدى المنقولة إليه ، وهو: وأما الوديعة - أعزّك اللهُ ! - فهى بمنزلة ما انتقل من شمالك إلى يمينك ، عنايةً بها ، وحياطة لها ، ورعايةً لموالاتك فيها »[3] .

---

(١) يرى ابن يعيش (فى شرح المفصل ٩/١١) أن « (لو) قد تستعمل بمعنى أنْ للاستقبال ، فحصل فيها معنى التمنى ، لأنه طلب ، فلا تفتقر إلى جواب ، وذلك نحو : « لو أعطانى ووهبنى » . والتمنى نوع من الطلب » .

(٢) يرى عباس محمود العقاد (فى مقالته : الزمن فى اللغة - مجلة مجمع اللغة العربية : ١٤/٤١) أن « المعنى غالب على اللفظ فى الدعاء . . . يقول القائل (صحبتك السلامة) و (حفظك الله) و (رعاك الله) . . . ومن آية القصد فى اللغة الا يحتاج الفعل هنا إلى النقل من صيغة الماضى إلى الحاضر ؛ لأن المعنى بالبداهة معلق بالاستقبال . وفى بقائه على صيغة الماضى ما يشعر بقوة الأمل فى الاستجابة » .

وعلى عكس ذلك ذكر آرتون Zur Frage altarabischer Tempora, S. 74 AARTUN أن «صيغة فَعَلَ تستعمل كثيراً فى الدعاء والتوكيدات القسمية بلا خاصية زمنية ohne temporalen Bezug مثل: أيّدَكَ اللهُ».

(٣) الثعالبى : يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر : ١/٤٠٧ ، ٤٠٨ .

فصيغة الماضى فى قوله « أعَزَّكَ اللهُ » (١) تدل على المستقبل فى سياق الدعاء بالخير عن طريق الإثبات . وقد يكون الدعاء بالخير عن طريق النفى بلا ، نحو : لا فَضَّ اللهُ فاكَ ، ولا شُلَّتْ يَدَاك .

٢ - الدعاء بالشر : ويكون عن طريق الإثبات نحو : لَعَنَ اللهُ فلانا . وقد يكون عن طريق النفى بلا ، نحو : لا رحمه الله . ومن ذلك قول أبى فراس الحمدانى لغلامين له : (٢)

لا رَعَى اللهُ ، يا خَلِيلىَّ ، دَهْرًا ∴ فَرَّقَتْنا صُرُوفُهُ تَفْرِيقا

فصيغة الماضى المنفية بلا فى قوله « لا رعى الله دَهْرا » تدل على المستقبل فى سياق الدعاء بالشر .

لاحظ ڤولفديترش فيشر (٣) وهوبكنز (٤) « أن صيغة المضارع استعملت استعمال صيغة الماضى التى تقوم بوظيفة الدعاء بمرور الزمن ، وذلك فى اللغة التى انحدر مستواها شيئا ما عن مستوى العربية الفصحى التى ضبطت قواعدها من قِبَل النحاة (٥) . إلاَّ أن صيغة الماضى على الرغم من ذلك ظلت شائعة جدًا . مثل ذلك قول العرب : « يرحمكَ الله » .

(١) أوضح ابن جنى (فى الخصائص : ٣/ ٣٣٠) أنك « تقول : أعزّك الله ، وأطال بقاءك ، فتأتى بلفظ الماضى ومعناه الاستقبال » .

(٢) الثعالبى : يتيمة الدهر : ١/ ١٠٠ . والبيت من بحر الخفيف .

(٣) FISCHER, WOLFDIETRICH : Grammatik des klassischen Arabisch, § 182, S. 92.

(٤) HOPKINS, SIMON : Studies in the grammar of early arabic, § 137, p. 133.

(٥) In nachklassischen Sprache.

الحادى عشر : إذا وردت فى سياق الشرط [1] .وذلك إذا وقعت فى جملة الشرط بعد أداة من أدوات الشرط :

نحو : إنْ قُمْتَ قُمْتُ » [2] .

فصيغة الماضى الواقعة فى جملة الشرط (قمتَ) تدل على المستقبل فى سياق الشرط بعد « إنْ » [3] .

من ذلك قوله تعالى : ﴿ وإنْ كُنْتُمْ علـى سَفَرٍ ولـم تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهانٌ مَقْبُوضَةٌ ، فإنْ أَمِنَ بعضُكُم بعضًا فَلْيُؤدِّ الذى اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ ﴾ [4] .

فصيغة الماضى فى قوله (كنتم) و (أمن) تدل على المستقبل فى سياق الشرط ، ووقع الفعلان فى جملة الشرط بعد (إنْ) .

ومنه قوله تعالى : ﴿ إذا قُمْتُمْ إلَى الصَّلاةِ فاغْسِلوا وُجوهَكُمْ وأَيْدِيَكُمْ إلى المَرَافِقِ ﴾ [5] .

فصيغة الماضى فى قوله (قمتم) تدل على المستقبل فى سياق الشرط ، ووقع الفعل فى جملة الشرط بعد (إذا) .

---

(١) أوضح ابن يعيش (فى شرح المفصل ٨/ ١٥٥) أن « الشرط إنما يكون بالمستقبل ؛ لأن معنى تعليق الشيء على شرط إنما هو وقوف دخوله فى الوجود على دخول غيره فى الوجود ولا يكون هذا المعنى فيما مضى » .

(٢) ذكر ابن جنى (فى الخصائص ٣/ ٣٣١) أن « حديث الشرط فى نحو إنْ قمتَ قمتُ ، جئتَ فيه بلفظ الماضى الواجب ؛ تحقيقا للأمر ، وتثبيتًا له ، أى إن هذا وعد مُوَفًى به لا محالة ؛ كما أن الماضى واجب ثابت لا محالة » .

(٣) قال ابن يعيش (فى شرح المفصل ٨/ ١٥٦) إنَّ « (إنْ) أمُّ هذا الباب . . . وحق إنْ الجزائية أن يليها المستقبل من الأفعال لأنك تشترط فيما يأتى أن يقع شيء لوقوع غيره . فإن وليها فعل ماض أحالت معناه إلى الاستقبال .

(٤) سورة البقرة ، الآية ٢٨٣ .

(٥) سورة المائدة ، الآية ٦ .

وقوله تعالى : ﴿ فَمَن زُحزِحَ عَنِ النَّارِ وأُدْخِلَ الجنةَ فقد فَازَ ﴾ [1] .

فصيغة الماضى فى قوله(زحزح) تدل على المستقبل فى سياق الشرط ووقع الفعل فى جملة الشرط بعد (مَنْ) .

ومن ذلك قول سحيم عبد بنى الحسحاس (ت ٤٠هـ) يشبب بفتاتين من قبيلته [2] :

فلو كُنْتُ مُخْتاراً لنَفْسِي وصاحبى ∴ من الناسِ بَيْضَاوَيْنِ قلتُ : هُما هُما

فصيغة الماضى فى قوله (كنت) تدل على المستقبل فى سياق الشرط ووقع الفعل فى جملة الشرط بعد (لو) .

وكذا الحال فى الأمثلة التى تقع فيها صيغة الماضى فى جملة الشرط بعد أداة من أدوات الشرط الأخرى مثل : ما ، أى ، أين ، متى ، أيان ، كيف ، أنى ، حيثما .

وترد صيغة الماضى فى سياق الشرط وهى واقعة فى جملة الشرط بعد الأداة ، فتدل على الزمن الماضى أيضا [3] .

فمن دلالتها عليه قوله تعالى حكاية عن عيسى ، عليه السلام : ﴿ إن كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ﴾ [4] .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٨٥ .

(٢) ديوان سحيم عبد بنى الحسحاس : ص٦٢ ، قصيدة (وك) ، البيت ١٥ . والبيت من بحر الطويل .

(٣) أوضح رايت WRIGHT فى كتابه : (Agrammar of the Arabic Language, p. 16) أنه « إذا كان لصيغة الماضى بعد أدوات الشرط معنى تاريخى (يقابل الزمن الماضى فى الانجليزية) وجب أن تتصدر (كان) أو إحدى أخواتها العبارتين المترابطتين ، نحو : « كانوا إن بالغوا بَلَغُوا » » . .

(٤) سورة المائدة ، الآية ١١٦ . يقول ابن يعيش (فى شرح المفصل ١٥٦/٨) : « فإنْ قيل : فإنهم يقولون : إن كنت زرتنى أمس أكرمتك اليوم . وقد وقع بعد إن الفعل ومعناه المضى ومنه قوله تعالى : ﴿ إن كنت قلته فقد علمته ﴾ قيل : قد أجاب عن ذلك المبرد وقال : إنما ساغ ذلك فى :(كان) ؛ لقوة دلالتها على المضى » .

فصيغة الماضى فى قوله (كنتُ) تدل على الماضى فى سياق الشرط .

ومن ذلك قول الوزير أبى عامر بن عبد الملك بن شُهَيْد [1] يصف ثَعْلبًا :
« إذا رأَى الفرصةَ انتهزها ، وإن طَلَبَتْهُ الكماةُ أعجزها » [2] .

فصيغة الماضى فى قوله (رأى) و (طلبته) تدل على الزمن الماضى فى سياق الشرط ، ووقع الفعلان فى جملة الشرط بعد (إذا) و (إنْ) .

الثانى عشر : إذا وردت فى سياق « حكاية الحال الآتية » : [3]

وتأتى هذه الحكاية على ثلاثة أوجه ؛ الأول : إخبار الله تعالى فى القرآن الكريم عما سيأتى فى الدنيا ، والثانى : إخباره ، عزَّ وجلَّ، عما سيأتى يوم القيامة ، والثالث : إخبار الناس فى غير القرآن عما يُتَوقَّع إتيانهُ فى الدنيا ويوم القيامة .

وبيان هذه الأوجه الثلاثة كما يلى :

(١) الوزير أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد (٩٩٢م - ١٠٣٥م) هو من بنى الوضّاح من أشجع من قيس عيلان . وزير من كبار الأندلسيين أدبا وعلما . مولده ووفاته بقرطبة له شعر جيِّد ، يهزل فيه ويجدّ وبعض التصانيف ، منها « كشف الدك وإيضاح الشك » و « حانوت عطّار » « التوابع والزوابع » وكانت بينه وبين ابن حزم الظاهرى مكاتبات ومداعبات . (ينظر : وفيات الأعيان ١ : ٣٥ ، نفح الطيب ١/ ٢٩٥ ، والذخيرة : المجلد الأول من القسم الأول ١٦١) .

(٢) الثعالبى : يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر : ٩/ ٧٨٢ .

(٣) ورد مصطلح « حكاية الحال الآتية » فى كتاب إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج (القسم الثالث : ٨٨٨) . وذكر ابن هشام الأنصارى فى (مغنى اللبيب : ١/ ٨٠) أن جمهور النحاة سموه « باب ﴿ ونفخ فى الصور ﴾ » ، كما ذكر معناه ، وهو « تنزيل المستقبل الواجب الوقوع منزلة ما قد وقع » .

الأول : إخبار الله ، عز وجل ، عما سيأتى فى الدنيا :

من ذلك قوله تعالى : ﴿ وكم مِن قريةٍ أهلكْنَاهَا فَجاءَهَا بأسُنَا ﴾ [1] .

فصيغة الماضى فى قوله (أهلكناها) تدل على المستقبل القريب بالنسبة لنقطة الحدث المعينة فى قوله (جاءها) وذلك فى سياق «حكاية الحال الآتية» .

وقوله تعالى : ﴿ إنَّا فَتَحْنَا لَك فَتْحًا مبينًا ﴾ [2] .

فصيغة الماضى فى قوله (فتحنا) تدل على المستقبل بالنسبة لوقت نزول الآية على رسول الله ﷺ وذلك فى سياق « حكاية الحال الآتية » .

الثانى : إخبار الله ، عز وجل ، عما سيأتى يوم القيامة :

وهو كثير الورود فى القرآن الكريم ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ونادَىَ أصْحَابُ الجَنَّة أصْحَابَ النار أنْ قَدْ وَجَدْنَا ما وَعَدَنَا ربُّنا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم ما وَعَدَ ربُّكُمْ حَقًّا قالوا نَعم فَأذَّنَ مُؤذِّنٌ بَيْنَهُمْ أنْ لَعْنَةُ اللهِ على الظَّالِمينَ ﴾ [3] .

---

(1) سورة الأعراف ، الآية ٤ . وفى كتاب إعرب القرآن المنسوب إلى الزجاج (القسم الأول : ٩٧) تفسير لهذه الآية ، وهو : « فإن قلت : فما وجه دخول الفاء فى قوله (فجاءَهَا بأسُنَا) والبأس لا يأتى المهلكين ، إنما يجيئهم البأس قبل الإهلاك . ومن مجئ البأس يكون الإهلاك ، فإنه يكون المعنى فى قوله (أهلكناها) قربت من الهلاك ولم تهلك بعد ، ولكن لقربها من الهلاك ودنوها وقع عليها لفظ الماضى » .

(2) سورة الفتح ، الآية ١ . وفى تفسير هذه الآية يقول الزمخشرى (فى الكشاف : ٦/٢) : « هو فتح مكة ، وقد نزلت مرجع رسول الله ﷺ عن مكة عام الحديبية عدة له بالفتح ، وجئ به على لفظ الماضى على عادة رب العزة سبحانه فى أخباره ؛ لأنها فى تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة وفى ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المُخْبر ما لا يخفى » .

(3) سورة الأعراف ، الآية ٤٤ . وفى تفسير هذه الآية يقول الزمخشرى (فى الكشاف : ١٠٨/٢) : « وإنما قالوا لهم ذلك اغتباطا بحالهم وشماتة بأصحاب النار وزيادة فى غمهم ولتكون حكايته لطفا لمن سمعها وكذلك قول المؤذن بينهم (لعنة الله على الظالمين) ، وهو ملك يأمره الله فينادى بينهم نداء يسمع أهل الجنة وأهل النار » .

فصيغــة الماضى فى قوله : (نادَى ، وقــالوا ، وأذَّن) تدل على المسـتقبل فى سياق « حكاية الحــال الآتية » عما سيجرى يوم القيامــة من تقاول بين أهل الجنة وأهل النار .

وقوله تعالى : ﴿ وما أَمْرُ فِرْعونَ برشيد ، يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ القيامةِ فأَوْرَدَهُمُ النارَ ﴾ [1] .

فصيغة الماضى فى قوله (فأوردهم) تدل عـلى المستقبل فى سياق « حكاية الحال الآتية » عما سـيحدث يوم القيامة لفرعون وقـومه من عذاب . ويلاحظ هنــا عطف الفـعل الماضى « أورد » عــلى المضارع « يـقدم » [2] واتفاقهما فى الدلالة على زمن واحد.

وكذلك قوله تعالى : ﴿ أَتَى أَمْرُ الله فلاتَسْتَعْجِلُوه ﴾ [3] .

---

(1) سورة هود ، الآية ٩٨ . يقول الزمخشرى (فى الكشاف ٣/ ٥٤) : « هلا قيل يقدم قومه فيوردهم ، ولم جئ بلـفظ الماضى [قلت] : لأن الماضى يـدل على أمر موجود مقطـوع به فكأنهم قيل يـقدمهم فيوردهم النار لا محالة » .

(2) عطف الماضى علـى المضارع هو نوع من الالتفات عنـد علماء البلاغة ، يقول العـلوى (فى الطراز : ٢/ ١٣٢) إن معنى الالتفات « فـى مصطلح علماء البلاغة ، هو العدول مـن أسلوب فى الكلام إلى أسلوب آخر مخالف لـلأول وهذا أحسن من قولنا : هو العدول من غيبـة إلى خطاب ، ومن خطاب إلى غيبة ؛ لأن الأول يعمُّ سائر الالتفاتات كلها ، والحد الـثانى إنما هو مقصور على الغيبة والخطاب لا غير . ولا شك أن الالتفات قد يكون من الماضى إلى المضارع وقد يكون على عكس ذلك » .

(3) سورة النحل ، الآية ١. فى تفسير هذه الآيـة يقول الزمخشرى (فى الكشاف : ٣/ ١٤١) : « ﴿ أتى أمر الله ﴾ الذى هو بمـنزلة الآتى الواقع وإن كان مـنتظراً لقرب وقـوعه (فلا تستعجـلوه) روى أنه لما نزلت ﴿ اقتربت الساعة ﴾ قال الكفار فيما بينهم إن هذا يزعم أن القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظـر ما هو كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيئاً فنزلـت ﴿ اقترب للناس حسابهم ﴾ فاشفقوا وانتظروا قربها ، فلما امتدت الأيام قالوا يا مـحمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزلت ﴿ أتى أمر الله ﴾ فوثب رسول الله ﷺ ورفع الناس رؤوسهم فنزلت ﴿ فلا تستعجلوه ﴾ فاطمأنوا » .

فصيغة الماضى فى قوله (أتى) تدل على المستَقبل فى سياق « حكاية الحال الآتية » عن قرب وقوع يوم القيامة .

والجدول التالى يوضح الأفعال الماضية التى وردت فى سياق « حكاية الحال الآتية » عـما أخبر به الله عـز وجل عن أحداث يوم الـقيامة وأوصافـها وقرب مجيئـها كما يوضح مواضـع ورود هذه الأفعال فى القرآن الـكريم وعدد مرات ورودها ونسبتها المئوية :

جدول رقم (١)

إحصاء الأفعال الماضية الدالة على المستقبل فى سياق « حكاية الحال الآتية » عن يوم القيامة فى القرآن

م	الفعل الماضى	مواضع وروده فى القرآن الكريم	عدد مرات وروده	نسبه المئوية بالتقريب
١	قال أو قِيل	البقرة ١٦٧ ، المائدة ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٦ ، ١١٩ ، الأنعام ٢٧ ، ٣٠ (٣ مرات) ، ١٢٨ (مرتان) ، ١٣٠ ، الأعراف ٣٨ (٣ مرات) ، ٣٩ ، ٤٣ ، ٤٨ ، ٥٠ ، يونس ٢٨ ، إبراهيم ٢١ (مرتان) ، النحل ٢٧ ، طه ١٢٥ ، ١٢٦ ، المؤمنون ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، الفرقان ١٨ ، الشعراء ٩٢ ، ٩٦ ، النمل ٨٤ ، القصص ٦٣ ، ٦٤ ، ٧٥ ، الروم ٥٦ ، السجدة ٢٠ ، الأحزاب ٦٧ ، سبأ ٢٣ (مرتان) ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٤١ ، فاطر ٣٤ ، يس ٥٢ ، الصافات ٢٨ ، ٢٩ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ص ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ الزمر ٢٤ ، ٧١ (مرتان) ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، غافر ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ (٣ مرات) ، ٧٣ ، ٧٤ ، فصلت ٢١ (مرتان) ، ٢٩ ، ٤٧ ، الشورى ٤٥ ، الجاثية ٣٤ ، الأحقاف ٣٤ (مرتان) ، ق ٢٣ ، ٢٧ ، ٢٨ ، الطور ٢٦ ، الحديد ١٣ ، ١٤ ، التحريم ١٠ ، الملك ٩ ، ١٠ ، المدثر ٤٣ ، النبأ ٣٨ ، الزلزلة ٣ .	٨٩	٪٢٩,٥٧
٢	كان	الكهف ١٠٧ ، الفرقان ٢٦ ، الروم ١٣ ، السجدة ٥ ، الحشر ١٧ ، المعارج ٤ ، الجن ١٥ ، المزمل ١٤ ، الإنسان ٥ ، ٧ ، ١٥ ، ١٧ ، ٢٢ (مرتان) ، النبأ ١٧ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١	١٨	٪٥,٩٨

م	الفعل الماضى	مواضع وروده فى القرآن الكريم	عدد مرات وروده	نسبته المئوية بالتقريب
٣	جاء أو جيء	النحل ٨٩ ، النمل ٨٤ ، الزمر ٦٩ ، ٧١ ، ٧٣ ، فصلت ٢٠ ، ق ٢١ ، النازعات ٣٤	٨	٪٢,٦٦
٤	رأى	البقرة ١٦٦ ، الكهف ٥٣ ، القصص ٦٤ ، الصافات ٥٥ ، الإنسان ١٩ ، ٢٠ (مرتان)	٧	٪٢,٣٣
٥	نُفِخ	الكهف ٩٩ ، يس ٥١ ، الزمر ٦٨ (مرتان) ، ق ٢٠ ، الحاقة ١٣	٦	٪١,٩٩
٦	أذِن	طه ١٠٩ ، سبأ ٢٣ ، النبأ ٣٨ ، الانشقاق ٢ ، ٥	٥	٪١,٦٦
٧	أعَدَّ أو أُعِدَّ	الأحزاب ٥٧ ، ٦٤ ، الفتح ٦ ، الحديد ٢١ ، المجادلة ١٥	٥	٪١,٦٦
٨	نادى أو نُودِى	الأعراف ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٥٠	٥	٪١,٦٦
٩	أتى	النحل ١ ، الشعراء ٨٩ ، النمل ٨٧ ، الطور ١٨	٤	٪١,٣٣
١٠	بَدَا	الأنعام ٢٨ ، الزمر ٤٧ ، ٤٨ ، الجاثية ٣٣	٤	٪١,٣٣
١١	جَعَل	الفرقان ٢٣، سبأ ٣٣ ، الصافات ٦٣ ، الواقعة ٣٦	٤	٪١,٣٣
١٢	حاق	هود ٨ ، الزمر ٤٨ ، الجاثية ٣٣ ، الأحقاف ٢٦	٤	٪١,٣٣
١٣	ضَلّ	يونس ٣٠ ، النحل ٨٧ ، القصص ٧٥ ، فصلت ٤٨	٤	٪١,٣٣
١٤	فُتِح	الأنبياء ٩٦ ، الزمر ٧١ ، ٧٣ ، النبأ ١٩	٤	٪١,٣٣

م	الفعل الماضى	مواضع وروده فى القرآن الكريم	عدد مرات وروده	نسبته المئوية بالتقريب
١٥	خَسِر	المؤمنون ١٠٣ ، الزمر ١٥ ، الشورى ٤٥	٣	٪١,٣٣
١٦	حَقَّ أو حُقَّ	الزمر ٧١ ، الانشقاق ٢ ، ٥	٣	٪١
١٧	أقبل	الصافات ٢٧ ، ٥٠ ، الطور ٢٥	٣	٪١
١٨	ألْقَى	النحل ٢٨ ، ٨٦ ، ٨٧	٣	٪١
١٩	نَزَع	الأعراف ٤٣ ، الحجر ٤٧ ، القصص ٧٥	٣	٪١
٢٠	أوْرَث أو أُورِث	الأعراف ٤٣ ، الزمر ٧٤ ، الزخرف ٧٢	٣	٪١
٢١	وَقَى	الطور ١٨ ، ٢٧ ، الإنسان ١١	٣	٪١
٢٢	بَرَز	إبراهيم ٢١ ، ٤٨	٢	٪٠,٦٦
٢٣	بُرِّز	الشعراء ٩١ ، النازعات ٣٦	٢	٪٠,٦٦
٢٤	جَمَع	الكهف ٩٩ ، المرسلات ٣٨	٢	٪٠,٦٦
٢٥	أحَلَّ	إبراهيم ٢٨ ، فاطر ٣٥	٢	٪٠,٦٦
٢٦	أُدْخِل	إبراهيم ٢٣ ، نوح ٢٥	٢	٪٠,٦٦
٢٧	دَعَا	الكهف ٥٢ ، القصص ٦٤	٢	٪٠,٦٦
٢٨	رَدَّ أو رُدَّ	يونس ٣٠ ، التين ٥	٢	٪٠,٦٦
٢٩	أُزْلِف	الشعراء ٩٠ ، ق ٣١	٢	٪٠,٦٦
٣٠	سَقَى أو سُقِى	محمد ١٥ ، الإنسان ٢١	٢	٪٠,٦٦
٣١	سِيق	الزمر ٧١ ، ٧٣	٢	٪٠,٦٦
٣٢	انشقَّ	الحاقة ١٦ ، الانشقاق ١	٢	٪٠,٦٦
٣٣	شَهِد	الأنعام ١٣٠ ، فصلت ٢٠	٢	٪٠,٦٦

م	الفعل الماضى	مواضع وروده فى القرآن الكريم	عدد مرات وروده	نسبته المئوية بالتقريب
٣٤	ظنّ	الكهف ٥٣ ، فصلت ٤٨	٢	٠,٦٦ ٪
٣٥	عَرَضَ أو عُرِض	الكهف ٤٨ ، ١٠٠	٢	٠,٦٦ ٪
٣٦	فَزِع	النمل ٨٧ ، سبأ ٥١	٢	٠,٦٦ ٪
٣٧	اقترب	الأنبياء ١ ، ٩٧	٢	٠,٦٦ ٪
٣٨	قُضِى	الزمر ٦٩ ، ٧٥	٢	٠,٦٦ ٪
٣٩	قَطَّع أو قُطِّع	الحج ١٩ ، محمد ١٥	٢	٠,٦٦ ٪
٤٠	لَعَن	الأعراف ٣٨ ، الأحزاب ٦٤	٢	٠,٦٦ ٪
٤١	أُلقِى	الملك ٨ ، الانشقاق ٤	٢	٠,٦٦ ٪
٤٢	هُدِى	الحج ٢٤ (مرتان)	٢	٠,٦٦ ٪
٤٣	وُضِع	الكهف ٤٩ ، الزمر ٦٩	٢	٠,٦٦ ٪
٤٤	وقَع	النمل ٨٥ ، الحاقة ١٥	٢	٠,٦٦ ٪
٤٥	وُقِف	الأنعام ٢٧ ، ٣٠	٢	٠,٦٦ ٪
٤٦	أُخِذ	سبأ ٥١	١	٠,٣٣ ٪
٤٧	أذَّن	الأعراف ٤٤	١	٠,٣٣ ٪
٤٨	أزف	النجم ٥٧	١	٠,٣٣ ٪
٤٩	ألَت	الطور ٢١	١	٠,٣٣ ٪
٥٠	بَدَّل	النساء ٦٥	١	٠,٣٣ ٪
٥١	تَبَرّأ	البقرة ١٦٦	١	٠,٣٣ ٪
٥٢	بعَث	يس ٥٢	١	٠,٣٣ ٪

م	الفعل الماضى	مواضع وروده فى القرآن الكريم	عدد مرات وروده	نسبته المئوية بالتقريب
٥٣	بُعْثِر	الانفطار ٤	١	٠,٣٣ ٪
٥٤	تَرَكَ	الكهف ٩٩	١	٠,٣٣ ٪
٥٥	ثُوِّب	المطففون ٣٦	١	٠,٣٣ ٪
٥٦	جَزَى	الإنسان ١٢	١	٠,٣٣ ٪
٥٧	حَسِب	الإنسان ١٩	١	٠,٣٣ ٪
٥٨	حَشر	الكهف ٤٧	١	٠,٣٣ ٪
٥٩	حُلَّ	الإنسان ٢١	١	٠,٣٣ ٪
٦٠	حُمِل	الحاقة ١٤	١	٠,٣٣ ٪
٦١	أحَاط	الكهف ٢٩	١	٠,٣٣ ٪
٦٢	حِيل	سبأ ٥٤	١	٠,٣٣ ٪
٦٣	خَشِع	طه ١٠٨	١	٠,٣٣ ٪
٦٤	أخرج	الزلزلة ٢	١	٠,٣٣ ٪
٦٥	تَخَلَّى	الانشقاق ٤	١	٠,٣٣ ٪
٦٦	دَخَل	الأعراف ٣٨	١	٠,٣٣ ٪
٦٧	دُكَّ	الحاقة ١٤	١	٠,٣٣ ٪
٦٨	أذهب	فاطر ٣٤	١	٠,٣٣ ٪
٦٩	ذُلِّل	الإنسان ١٤	١	٠,٣٣ ٪
٧٠	رَحِم	الدخان ٤٢	١	٠,٣٣ ٪
٧١	رَضِى	طه ١٠٩	١	٠,٣٣ ٪

م	الفعل الماضى	مواضع وروده فى القرآن الكريم	عدد مرات وروده	نسبته المئوية بالتقريب
٧٢	أراد	السجدة ٢٠	١	٠,٣٣ ٪
٧٣	زُلْزِل	الزلزلة ١	١	٠,٣٣ ٪
٧٤	زَوَّج	الطور ٢٠	١	٠,٣٣ ٪
٧٥	زاد	النحل ٨٨	١	٠,٣٣ ٪
٧٦	زَيَّل	يونس ٢٨	١	٠,٣٣ ٪
٧٧	سأل	الملك ٨	١	٠,٣٣ ٪
٧٨	ساء	الفتح ٦	١	٠,٣٣ ٪
٧٩	سُيِّر	النبأ ٢٠	١	٠,٣٣ ٪
٨٠	أَشْرَق	الزمر ٦٩	١	٠,٣٣ ٪
٨١	صَعِق	الزمر ٦٨	١	٠,٣٣ ٪
٨٢	ضُرِب	الحديد ١٣	١	٠,٣٣ ٪
٨٣	اطَّلَع	الصافات ٥٥	١	٠,٣٣ ٪
٨٤	عَرَّف	محمد ٦	١	٠,٣٣ ٪
٨٥	اعْتَرَفَ	الملك ١١	١	٠,٣٣ ٪
٨٦	عَمِى	القصص ٦٦	١	٠,٣٣ ٪
٨٧	أُعِيد	السجدة ٢٠	١	٠,٣٣ ٪
٨٨	فُجِّر	الانفطار ٣	١	٠,٣٣ ٪
٨٩	فُزِّع	سبأ ٢٣	١	٠,٣٣ ٪
٩٠	انفطر	الانفطار ١	١	٠,٣٣ ٪
٩١	قَدَّر	الإنسان ١٦	١	٠,٣٣ ٪

م	الفعل الماضى	مواضع وروده فى القرآن الكريم	عدد مرات وروده	نسبته المئوية بالتقريب
٩٢	قَلم	الفرقان ٢٣	١	٠,٣٣٪
٩٣	تَقَطَّع	البقرة ١٦٦	١	٠,٣٣٪
٩٤	كُبْكِب	الشعراء ٩٤	١	٠,٣٣٪
٩٥	كشف	ق ٢٢	١	٠,٣٣٪
٩٦	كَفى	الإسراء ١٤	١	٠,٣٣٪
٩٧	أَلْحَقَ	الطور ٢١	١	٠,٣٣٪
٩٨	لَقَّى	الإنسان ١١	١	٠,٣٣٪
٩٩	مُدَّ	الانشقاق ٣	١	٠,٣٣٪
١٠٠	أَمَدَّ	الطور ٢٢	١	٠,٣٣٪
١٠١	مَنَّ	الطور ٢٧	١	٠,٣٣٪
١٠٢	انتثر	الانفطار ٢	١	٠,٣٣٪
١٠٣	نُزِّل	الفرقان ٢٥	١	٠,٣٣٪
١٠٤	أنشأ	الواقعة ٣٥	١	٠,٣٣٪
١٠٥	نَضِج	النساء ٥٦	١	٠,٣٣٪
١٠٦	أَنْطَق	فصلت ٢١	١	٠,٣٣٪
١٠٧	انْهار	التوبة ١٠٩	١	٠,٣٣٪
١٠٨	وَجَد	الكهف ٤٩	١	٠,٣٣٪
١٠٩	أَوْرَد	هود ٩٨	١	٠,٣٣٪
١١٠	وُفِّى	الزمر ٧٠	١	٠,٣٣٪
	الجملة		٣٠١	

يتضح من الجدول السابق :

(١) أن عدد الأفعال الماضية الدالة على المستقبل فى سياق « حكاية الحال الآتية » عما أخبر به الله عز وجل عن أحداث يوم القيامة وأوصافها ومجيئها بلغ فى القرآن الكريم ١١٠ أفعال ترددت ٣٠١ مرة . واظن أن هذا العدد كثير إذا ما قورن بعدد الأفعال الماضية الدالة على المستقبل فى « حكاية الحال الآتية » فى غير القرآن .

(٢) أن أكثر الأفعال الماضية الدالة على المستقبل فى سياق « حكاية الحال الآتية » ترددًا فى القرآن هو الفعل (قال) ؛ فقد ورد ٨٩ مرة ، أى بنسبة ٢٩,٥٧٪ تقريبا إلى المجموع الكلى لعدد تردد الأفعال الماضية الأخرى . وللفعل (قال) أهمية خاصة فى الحكاية ؛ إذ يحكى بعده ما كان كلاما لا قولاً ؛ يقول سيبويه : « واعلم أن قلت فى كلام العرب إنما وقعت على أن يحكى بهاوإنما يحكى بعد القول ما كان كلاما لا قولاً نحو : قلتُ : زيدٌ منطلقٌ » [1] . ويقول المبرد : « (قلت) : إنما يقع بعدها الحكايةُ إذا كانت جملة ؛ نحو الابتداء والخبر ، وما أشبه ذلك » [2] .

الثالث: إخبار الناس فى غير القرآن عما يُتوقع إتيانه فى الدنيا ويوم القيامة :

من ذلك قول أحد الرعية : « أقبل الأمير وقد جاء المبشِّرُ » [3] إذا كان الأمير على وشك الوصول إلى المكان فصيغة الماضى فى قوله (أقبل) تدل على المستقبل فى سياق « حكاية الحال الآتية » عما أخبر به الرجل من توقع إقبال الأمير .

---

(١) الكتاب : ١/٦٢ .

(٢) المقتضب : ٤/٧٨ .

(٣) الزمخشرى : الكشاف : ٦/٥٤ .

ومن ذلك « قولك لمن طلب إليك بعض المطالب : « قد كان ذلك » وعن حسان (بن ثابت) أن ابنه عبد الرحمن لسعه زنبور وهو طفل فجاء يبكى فقال له يابنى ، مالك ؟ قال : لسعنى طوير كأنه ملتف فى بردى حَبرة ، فضمه إلى صدره وقال له : يا بنى قد قلتَ الشعر » [1] .

فصيغة الماضى فى قوله (قد قلت) تدل على المستقبل فى سياق « حكاية الحال الآتية » عما أخبر به حسان من توقع أن يصبح ابنه شاعرا .

ومن ذلك أيضا قول عمر بن الخطاب فى إسلام الحكم بن كيسان رضى الله عنهما : « فأسْلَمَ والله فحسُن إسلامه ، وجاهد فى الله حتى قُتل شهيدًا يوم بئر معونة ورسول الله ﷺ راضٍ عنه ودَخَل الجِنان » [2] .

فصيغة الماضى فى قوله : (ودخل الجنان) تدل على المستقبل فى سياق « حكاية الحال الآتية » عما أخبر به عمر بن الخطاب رضى الله عنه من توقع دخول الحكم بن كيسان الجنة .

* * *

---

(١) الزمخشرى : الكشاف : ٢/ ١١٤ .

(٢) الواقدى : المغازى : ١/ ١٥ .

القسم الخامس
دلالة صيغة الماضى على زمن ما بعد المستقبل

تدل صيغة الماضى على زمن ما بعد المستقبل إذا وردت فى سياق من السياقين التاليين :

الأول : إذا وردت فى سياق الشرط : وذلك إذا وقعت فى جملة جواب شرط تسبقها جملة شرط تتضمن صيغة ماض دالة على المستقبل ، نحو قولك : « إن اتقيتَ الله أَدْخلكَ جَنَّتَه » (١) .

فصيغة الماضى فى قولك : (أدخلك) تدل على زمن ما بعد المستقبل بالنسبة لنقطة الحدث الذى يقع فى المستقبل المتمثل فى قولك (اتقيت) فى سياق الشرط . ومن ذلك قول أحمد بن محمد بن عبد ربه (٢) يصف أحد الممدوحين (٣) :

إنْ عِشْتَ عاشَ الناسُ فى نِعْمَةٍ . وإنْ مُتَّ ماتَ بكَ الناسُ

فصيغة الماضى فى قوله (مات) تدل على زمن ما بعد المستقبل بالنسبة لنقطة الحدث الذى يقع فى المستقبل المتمثل فى قوله (مُتَّ) فى سياق الشرط .

---

(١) يقول ابن قيم الجوزية (فى بدائع الفوائد ١/ ١٠٥) : « إن الشرط لا يكون سابقًا للجزاء متقدما عليه فهو ماض بالإضافة إليه . الاترى أنك إذا قلت : إن اتقيت الله أدخلك جنته . فلا يكون إلا سابقاً على دخول الجنة فهو ماض بالإضافة إلى الجزاء فأتوا بلفظ الماضى تأكيدًا للجزاء وتحقيقًا ، لأن الثانى لا يقع إلا بعد تحقق الأول ودخوله فى الوجود » .

(٢) احمد بن محمد بن عبد ربه أحد محاسن الأندلس علما وفضلا ، وأدبا ونبلا وشعره فى نهاية الجزالة والحلاوة (ينظر : يتيمة الدهرللثعالبى ٩/ ٨٢٦) .

(٣) الثعالبى : يتيمة الدهر : ٩/ ٨٢٩ . والبيت من بحر السريع ، إلأ أنه ورد هكذا باليتيمة وبه خلل عروضى بالشطر الثانى .

الآخر : إذا وردت فى سياق « حكاية الحال الآتية » عن أحداث يوم القيامة ، وذلك إذا وقعت فى جملة جواب (لما) :

نحو قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ﴾ (١) .

فصيغة الماضى فى قوله (قال الشيطانُ) تدل على زمن ما بعد المستقبل بالنسبة لنقطة الحدث الذى يقع فى المستقبل المتمثل فى قوله (قُضِى) بعد (لما) فى سياق « حكاية الحال الآتية » عن أحداث يوم القيامة .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا العَذَابَ ﴾ (٢) فصيغة الماضى فى قوله (وأَسَرُّوا) تدل على ما بعد المستقبل بالنسبة لنقطة الحدث الذى يقع فى المستقبل المتمثل فى قوله (رأوا) بعد (لما) فى سياق « حكاية الحال الآتية » عن أحداث يوم القيامة .

وقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الذين كفروا ﴾ (٣) .

فصيغة الماضى فى قوله (سيئت) تدل على زمن ما بعد المستقبل بالنسبة لنقطة الحدث الذى يقع فى المستقبل المتمثل فى قوله (رأوه) بعد (لما) فى سياق « حكاية الحال الآتية » عن أحداث يوم القيامة .

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية ٢٢ . ومعنى قوله (لما قضى الأمر) : لما قطع الأمر ، وهو الحساب يوم القيامة (ينظر تفسير الكشاف للزمخشرى ١١٧/٣) .

(٢) سورة سبأ ، الآية ٣٣. يقول الزمخشرى (فى الكشاف ٦٩/٥) : « فإن قلت : من صاحب الضمير فى (وأسروا) قلت : الجنس المشتمل على النوعين من المستكبرين والمستضعفين وهم الظالمون » .

(٣) سورة الملك ، الآية ٢٧ . يقول الزمخشرى (فى الكشاف ١٣٨/٦) : « (فلما رأوه) الضمير للوعد والزلفة القرب وانتصابها على الحال أو الظرف أى رأوه ذا زلفة أو مكاناً ذا زلفة . (سيئت وجوه الذين كفروا) أى ساءت رؤية الوعد وجوههم بأن علتها الكآبة وغشيها الكسوف والقترة وكلحوا وكما يكون وجه من يقاد إلى القتل أو يعرض على بعض العذاب » .

خاتمة البحث

توصل البحث إلى نتائج عديدة متنوعة ، يُصَنَّف أهمها فى النقاط التالية :

أولاً : نتيجة عامة توصل إليها البحث بعد دراسة كل أقسام الدلالة الزمنية لصيغة الماضى ، وهى أن لصيغة الماضى دلالات زمنية تختلف باختلاف السياق اللغوى الذى ترد فيه بغض النظر عن إسنادها إلى الأسماء أو الضمائر أو بنائها للمعلوم أو المجهول .

ثانياً : من النتائج التى تمثل جِدَّةً فى البحث والتى أرى أنها لم تطرح فيما سبق من دراسات على حد مبلغ علمى بذلك :

(١) أن صيغة الماضى تدل على ما قبل الزمن الماضى قبل الحرف (حتى) ملتواً بصيغة ماضٍ ، فلم أقف حتى الآن على رأى قال بأن صيغة الماضى تدل على ما قبل الزمن الماضى فى هذا الموضع .

(٢) العثور على تركيب فعلىّ نادر الاستعمال ، فيما أظن ، وهو (كان قد كان فَعَل) ؛ فلم أعثر ، فيما قرأت ، إلاَّ على مثال واحد منه يدل على وقوع حدث بعيد من الزمن الماضى فى كتاب السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ١٧٣) .

(٣) الوصول إلى أن صيغة الماضى تدل على الزمن الحاضر فى سياق الإعلان عن أمر والإقرار به ، ومُثِّل له فى البحث بالعديد من الشواهد والأمثلة .

(٤) أن أكثر الأفعال الماضية الدالة على المستقبل فى سياق « حكاية الحال الآتية » ترددًا فى القرآن هو الفعل (قال) ؛ فورد ٨٩ مرة أى بنسبة

٢٩,٥٧ ٪ تقريبًا إلى المجموع الكلى لـعدد تردد الأفعال الماضية الأخرى . اتضح ذلك من الجدول الإحصائى الوارد فـى القسم الرابع من البحث . وللفعل (قال) أهمية خاصة فـى الحكاية ؛ إذ يُحْكى بعده ما كان كلاماً لا قولاً .

ثالثاً : من النتائج التى تُمثّل إضافةً جديدة إلى ما توصل إليه رأى أحد العلماء السابقين ما يلى :

(١) قام نيبز NEBES (فى كتابه : Funktionsanalyse von kaana yaf'alu, Kapitel 4, S. 79–91) بحـصر ما تعـبر عنه الأمـثلة التـى جمعهـا من النـصوص العربـية التـى تحتوى عـلى تركيـب (كان يَفْعَلُ) الدال عـلى استمـرار وقوع الحدث فى المـاضى ، وذلك فى ستـة معان رئيـسة ذكرت جميعها فى البحث .

وأضاف الباحث إلى المعانى الستة التـى حصرها نيبز معنى سابعًا ، هو التعبير عن عادة ما . ومثّل لهذا المعنى فى البحث بحديث نبوى شريف .

(٢) رأى ابنُ مالك (فى شرح التسهيل ١/ ٣٠) أن صيغة الماضى تنصرف إلى الاستقبال بعد القَسَم فى جملة منفية بلا أو بإن .

وأضاف البـاحـث صـورة ثـالثـة إلى الـصورتَيْن اللتين أوردهـما ابنُ مالك ، وهى : أن صيغـة الماضى تدل على المستقبـل أيضاً إذا وقعت فى جملة جواب قَسَم جاءت على صورة استـثناء مفرغ بما النافية وإلاَّ . ومثّل لها فى البحث بمثال .

رابعاً : وصل الـبحث إلى نـقـد جـملة مـن الآراء وإثبات بعـض الآراء لدى الباحث ، ومن ذلك :

(١) ذُكِر فى موضوع « دلالة صيغة الماضى على قرب وقوع الحدث فى الماضى » رأى سيبويه الذى يقول (فى كتابه ٣/ ١٥٩) إن اقتران المضارع فى خبر كاد بـ (أنْ) خاصٌّ بالشعر .

إن ما جاء فى كتاب سيبويه ينفى ما ذكره ابنُ عقيل (فى شرحه على ألفية ابن مالك ١/ ٣٢٩) حين نسب رأى سيبويه السابق للأندلسيين .

(٢) يفهم من كلام الرضى عن « هلهل » (فى شرح الكافية ٢/ ٣٠٥) أن تركيبا مثل : « كاد يفعل » وأمثاله ، فيه مبالغة فى قرب وقوع الحدث أكثر مما لو قلت : « كاد أن يفعل » وأمثاله .

ولكن بتناول دراسة الدلالة الزمنية لهذين التركيبين فى بعض النصوص العربية التى وردت فى البحث من القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، والشعر ، تبين فى ضوء سياقاتها أنه لا فرق فى الدلالة الزمنية بين تركيب « كاد يفعل » وأمثاله ، وتركيب « كاد أن يفعل » وأمثاله .

(٣) إن ما توصل إليه هذا البحث من أن لتركيب « قد فَعَل » دلالة رئيسة ، وهى انتهاء وقوع الحدث فى زمن ماضٍ قريب من لحظة التكلم ، وأن معظم دلالاته الفرعية تدور حول هذه الدلالة التى لا تؤديها صيغة (فَعَل) دون (قد) ، وكذلك ما رآه ابنُ هشام الأنصارى (فى مغنى اللبيب ١/ ١٧٢) من أن هناك فرقًا فى الدلالة الزمنية بين (فَعَل) و (قد فعل) وما لاحظه ڤولفديترش فيشر (فى كتابه : Grammatik des klassischen Arabisch, S. 94) من أن وظيفة صيغة الماضى فى الحكاية لا تؤدَّى بـ (قد) ، إنما تؤدَّى بصيغة (فَعَل) دون (قد) . إن هذا كله ينفى ما رآه الدكتور مالك المطلبى (فى الزمن واللغة ٢٣٣) من أن « المركب (قد

فَعَل) شأنه شأن صيغة (فعل) يدل على ماض قد يكون مطلقا أو قريبًا أو بعيدًا » .

(٤) يرى أبو على الفارسى أن (لما) ظرف زمان بمعنى (إذْ) فيه معنى الشرط . وذكر رأيَه ابنُ مالك (فى شرح التسهيل ٤/١٠٢) .

وأظنُّ أن ابن هشام الأنصارى تَوَهَّم حين نسب رأى أبى على الفارسى السابق لابن مالك (فى مغنى اللبيب ١/ ٢٨٠) .

(٥) توهم وليم رايت (فى كتابه : Agrammar of the Arabic Language, p. 14, 15) أن صيغة الماضى بعد همزة التسوية تدل على معنى الاستقبال فقط ، وأن العطف بعد همزة التسوية يكون بـ (أو) . ولعل الصواب هو أن صيغة الماضى تحتمل الاستقبال والمضى بعد همزة التسوية والذى يحدد ذلك هو سياق الكلام ، ومُثِّل لكلا الزمنين فى البحث ، وأن حرف العطف الذى يستعمل بعد هذه الهمزة هو (أمْ) وليس (أو) .

* * *

مصادر البحث ومراجعه

أولاً: المصادر والمراجع العربية :

١ - القرآن الكريم .

٢ - ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن الشيبانى) :

- الكامل فى التاريخ ، دار صادر ، بيروت ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

٣ - أحمد سليمان ياقوت (دكتور) :

- النواسخ الفعلية والحرفية « دراسة تحليلية مقارنة » ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٤م .

٤ - الاسترابادى (رضى الدين محمد بن الحسن) :

- شرح كتاب الكافية فى النحو للإمام جمال الدين أبى عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

٥ - الأصمعى (أبو سعيد عبد الملك بن قُريب بن عبد الملك) :

- الأصمعيات ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٦٧م .

٦ - الأعشى الكبير (ميمون بن قيس) :

- ديوان الأعشى الكبير ، شرح وتعليق الدكتور محمد محمد حسين ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة السابعة ، بيروت ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

٧ - إيليا الحاوى :
- شرح ديوان الفرزدق ، ضبط معانيه وشروحه وأكملها إيليا الحاوى دار الكتاب اللبنانى ومكتبة المدرسة ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٨٣م .

٨ - البَلاذُرِىّ (الإمام أبو الحسن) :
- فتوح البلدان ، عنى بمقابلته على نسخة الشنقيطى والتعليق عليه رضوان رضوان محمد رضوان ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ١٣٥٠هـ - ١٩٣٢م .

٩ - الترمذى (أبو عيسى محمد بن عيسى الضحاك السلمى البوغى) :
- أوصاف النبى ﷺ ، تحقيق وتعليق سميح عباس ، دار الجيل ببيروت ومكتبة الزهراء بالقاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .

١٠- تمام حسان (دكتور) :
- اللغة العربية معناها ومبناها ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط. الثانية ، القاهرة ١٩٧٩م .

١١- الثعالبى (أبو منصور) :
- يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر ، أعاد تحقيقها وشرحها وعرف بشعرائها ووضع فهارسها إيليا الحاوى ، توزيع الشركة الشرقية للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٧١م .

١٢- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) :
- رسائل الجاحظ ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون - دار الجيل - الطبعة الأولى - بيروت ١٤١١هـ - ١٩٩١م .

١٣- الجرجانى (عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد) :
- دلائل الإعجاز ، قرأه وعلق عليه أبو فهر محمد محمود شاكر ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

١٤- ابن جنى (أبو الفتح عثمان) :
- الخصائص ، تحقيق محمد على النجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

١٥- حامد عبد القادر :
- « معانى الماضى والمضارع فى القرآن الكريم ، ١- معانى الماضى » مقال فى مجلة مجمع اللغة العربية ، الجزء العاشر ، مطبعة التحرير ، القاهرة ١٩٥٨م .

١٦- الرازى (الإمام محمد فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الرى) :
- تفسير الفخر الرازي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

١٧- الزجاج :
- إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج ، تحقيق ودراسة إبراهيم الإبيارى ، دار الكتاب اللبنانى ومكتبة المدرسة ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

١٨- الزمخشرى (جار الله) :
- تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل ، تحقيق وتعليق محمد مرسى عامر ، دار المصحف وشركة مكتبة

ومطبعة عبد الرحمن محمد ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .

١٩- سحيم عبد بنى الحسحاس :
- ديوان سحيم ، تحقيق الأستاذ عبد العزيز الميمنى، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب سنة ١٣٩٦هـ - ١٩٥٠م ، الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م .

٢٠- ابن سعد (محمد بن سعد كاتب الواقدى) :
- الطبقات الكبرى ، دار التحرير للطبع والنشر ، القاهرة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .

٢١- سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر) :
- الكتاب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية . ج١ (١٩٧٧) ، ج٣ (١٣٩١هـ ، ١٩٧١م) ، ج٤ (١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م) .

٢٢- السيوطى (جلال الدين) :
- همع الهوامع فى شرح جمع الجوامع ، تحقيق وشرح الدكتور عبدالعال سالم مكرّم ، دار البحوث العلمية ، الكويت ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .

٢٣- الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير) :
- جامع البيان فى تفسير القرآن ، نسخة صورتها دار المعرفة للطباعة والنشر ببيروت ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م عن الطبعة الأولى بالمطبعة الكبرى الأميرية ببولاق ، القاهرة ١٣٢٣هـ .

٢٤- عباس محمود العقاد :
- « الزمن فى اللغة » مقال فى مجلة مجمع اللغة العربية ، الجزء الرابع عشر ، مطبعة مصر ، القاهرة ١٩٦٢م .
٢٥- العسقلانى (ابن حجر) :
- فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مكتبة القاهرة ، القاهرة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .
٢٦- ابن عقيل (بهاء الدين عبد الله) :
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل تأليف محمد محيى الدين عبد الحميد ، مكتبة دار التراث ، الطبعة العشرون ، القاهرة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
٢٧- العلوى (يحيى بن حمزة بن على بن إبراهيم) :
- كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، أشرفت على مراجعته وضبطه وتدقيقه جماعة من العلماء بإشراف الناشر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
٢٨- عمر بن أبى ربيعة :
- شرح ديوان عمر بن أبى ربيعة ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت بدون تاريخ ..
٢٩- عنترة بن شداد :
- ديوان عنترة ، تحقيق ودراسة محمد سعيد مَولوى ، المكتب الإسلامى ، الطبعة الثانية ، بيروت ودمشق ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

٣٠- القيسى (أبو محمد مكى بن طالب) :
- مشكل إعراب القرآن ، تحقيق دكتور حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الرابعة ، بيروت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

٣١- ابن قيم الجوزيه (أبو عبد الله محمد بن بكر الدمشقى) :
- بدائع الفوائد ، دار الكتاب العربى - بيروت بدون تاريخ .

٣٢- المالقى (أحمد بن عبد النور) :
- رصف المبانى فى شرح حروف المعانى ، تحقيق دكتور أحمد محمد الخراط ، دار القلم ، الطبعة الثانية ، دمشق ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

٣٣- ابن مالك (جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله الطائى الجيّانى الأندلسى) :
- شرح التسهيل ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن السيد والدكتور محمد بدوى المختون ، هجر للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى - الجيزة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

٣٤- مالك يوسف المطلبى (دكتور) :
- الزمن واللغة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٦م .

٣٥- المبرّد (أبو العباس محمد بن يزيد) :
- المقتضب ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر ، لجنة إحياء التراث الإسلامى ، مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر ، القاهرة ١٣٨٦هـ .

٣٦- امرؤ القيس :
- ديوان امرئ القيس ، تحقيق حنا الفاخورى ، دار الجيل ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

٣٧- المَسْعُودىّ (أبو الحسن على بن الحسين بن على) :
- مروج الذهب ومعادِنُ الجَوْهر ، شرحه وقدم له دكتور مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

٣٨- ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرّم الأنصارى) :
- لسان العرب ، طبعة مصورة عن طبعة بولاق ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة بدون تاريخ .

٣٩- مهدى المخزومي (دكتور) :
- فى النحو العربى نقد وتوجيه ، دار الرائد العربى ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٤٠٦ - ١٩٨٦م .

٤٠- الميدانى (أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابورى):
- مجمع الأمثال ، حققه وفصله وضبط غرائبه وعلق حواشيه محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٣٩٣هـ - ١٩٧٢م .

٤١- ابن هشام الأنصارى (أبو محمد عبد الله جمال الدين) :
- شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب ومعه كتاب منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب تأليف محمد محيى الدين عبد الحميد ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا وبيروت بدون تاريخ .
- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ، حققه محمد محيى الدين عبد الحميد ، مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده ، القاهرة بدون تاريخ .

٤٢- ابن هشام (عبد الملك) :

- السيرة النبوية ، حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها مصطفى السقا وإبراهيم الإبيارى وعبد الحفيظ شلبى ، منشورات دار إحياء التراث العربى للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ١٩٨٥م .

٤٣- الواقدى (محمد بن عُمر بن واقد) :

- كتاب المغازى ، تحقيق دكتور مارسدن جونس ، نسخة صورتها عالم الكتب ببيروت من طبعة جامعة اكسفورد ، لندن ١٩٦٥م .

٤٤- ابن يعيش (موفق الدين يعيش بن على) :

- شرح المفصل ، عالم الكتب ، بيروت بدون تاريخ .

ثانيا - المصادر والمراجع الأوربية :

1- AARTUN, KJELL :

– Zur Frage altarabischer Tempora. Universitets forlaget. Gruppe : Sprache und Geschichte. A–009–16.T. Grondahl & Sons Boktrykkeri. Oslo 1963.

2- BROCKELMANN, CARL :

– Arabische Grammatik : 14 Auflage–Besorgt von Manfred Fleischhammer. VEB Otto Harrassowitz, Leipzig 1960.

3- DENZ, ADOLF :

– Die Struktur des klassichen Arabisch. In : Grundriss der arabischen Philologie (Band I : Sprachwissenschaft). Herausgegeben von Wolfdietrich Fischer : Dr. Luwig Reichert Verlag. S. 58–82. Wiesbaden 1982.

4- FISCHER, WOLFDIETRICH :

- Grammatik des klassischen Arabisch. Otto Harrassowitz. Wiesbaden 1972.

5- GROSS, W. :

- Verbform und Funktion Wayyiqtol für die Gegenwart ?. Ein Beitrag zur Syntax poetischer althebräischer Schriften (Arbeiten zu Text und Sprache im alten Testament 1). St. Ottilien 1976.

6- HOPKINS, SIMON :

- Studies in the Grammar of Early Arabic. Based upen Papyri datable to before 300 A.H./ 912 A.D., Oxford University Press 1984.

7- NEBES, NORBERT :

- Funktionsanalyse von kaana yaf'alu. Geor Olms Verlag. Hildesheim. Zürich. New York 1982.

8- NÖLDEKE, THEODOR :

- Zur Grammatik des classischen Arabisch. Druck : wissenschaftliche Buchgesellschaft. Darmstadt 1963.

9- RECKENDORF, H. :

- Arabische Syntax. I, II. Carl Winter's Universitäts-buchhandlung. Heidelberg 1921.

10- SOCIN, A. :

- Arabische Grammatik. Dritte Vemehrte und verbesserte Auflage. Verlage von Reuther und Reichard, Berlin 1894.

11- WEINRICH, HARALD :

- Tempus. Besprochene und erzählte Welt, Sprache und Literatur 16. Zweite, völlig neubearbeitete Auflage. Verlag W. Kohlhammer. Stuttgart 1971.

12- WRIGHT, W. :

- Agrammar of the Arabic Language. II. Cambridge at The University Press 1951.

أنواع المورفيم فى العربية

بقلم الدكتور
محمد عبد الوهاب شحاته

تقديم

المورفيم أقل وحدة صرفية ذات معنى، ومن سماتها أنه لا يمكن تقسيمها إلى وحدات أقل مع المحافظة على المعنى. وربما تكون هذه الوحدة مكونة من صوت واحد أو صوتين أو عدة أصوات، فحجم الوحدة ليس مهماً، بل المهم هو أن هذه الوحدة تكون ذات معنى، وليس فى مقدور الفرد تجزئتها أو تقطيعها إلى وحدات أصغر حاملة للمعنى. فمثلاً كلمة cats مكونة من وحدتين، هما: cat + s، وتشير الوحدة الأولى إلى حيوان، بينما تشير الوحدة الثانية إلى عدد من الحيوانات (أكثر من واحد). ويلاحظ أن كلمة cat نفسها لا يمكن تقسيمها أو تفكيكها إلى وحدات أخرى، وتكون حاملة للمعنى. وثمة مثل آخر يتمثل فى كلمة Loved التى تتكون من وحدتين هما، : Love + d إذ تشير الأولى إلى الإحساس أو الشعور بالحب، على حين تشير الثانية إلى الزمن الماضى ، ويجب ملاحظة أنه ليس كل صوت لـ (d) بنفس المعنى، فكلمة Dinner وحدة واحدة ذات معنى، إذ يتحقق معناها بوجود الوحدة كاملة، وليس من : d + inner .

كما سبقت الإشارة إلى أن الكلمة لم تعد أصغر وحدة فى التحليل الصرفى، كما لم تعد الوحدة الأقل التى تحمل المعنى، فهنالك العديد من الوحدات أقل من الكلمة وتكون حاملة للمعني، ولا تعد كلمات، إذ بامكاننا استخدامها مع وحدات أخرى، كالأمثلة التى أشرنا إليها منذ قليل. وقد تكون الوحدة فى نفس الوقت مورفيماً وكلمة، ففى كلمة مثل : player ترى أن er مورفيم، و play مورفيم أيضاً، وهى جزء من كلمة ولها معنى. وأما الحرفان PL مع أنهما جزء من كلمة فليس لهما معنى، ولا يشكلان مورفيماً، ولذا فلدينا وحدتان، هما : المورفيم والكلمة .

فإذا ما أردنا أن نصنف المورفيمات طبقاً لدرجة الحرية فى الاستخدام، فسوف نجد تفاوتاً حادثاً فى درجات الحرية من حيث القدرة على استخدام المورفيم بمفرده أو عدم القدرة على تحقيق ذلك .

فمن حيث الحرية فى استخدام المورفيم يوجد بوجه عام نوعان منه : النوع الأول هو المورفيم الذى يمكن أن يوجد بمفرده، ومثله يسمى المورفيم المستقل أو المورفيم الحر Free morpheme والنوع الثانى هو المورفيم الذى لا يوجد مستقلاً بذاته، إذ يجب أن يتصل بمورفيم آخر حتى يمكن استخدامه، أو يمكن أن يؤدى وظيفته. ومثل هذا المورفيم يسمى المورفيم التابع أو الملحق أو المضاف dependent morpheme أو يسمى المورفيم المقيد bound morpheme .

وربما اتضح لنا من حديثنا فى مطلع هذا الفصل عن الوحدة الأصغر ذات المعنى، أن ثمة وحدات لا تستخدم مستقلة أو بمعزل عن وحدات أخرى، ووحدات يمكن استخدامها بمفردها، وتكون مستقلة فى وجودها، فكلمة cat مورفيم مستقل أو حر، بينما كلمة cats مورفيما، أحدهما حر أو مستقل هو cat، ومورفيم تابع أو مقيد هو (S) ، وفى كلمة Loved مورفيمان، أحدهما حر أو مستقل هو Love ، والآخر تابع أو مقيد هو (d) ، وفى كلمات مثل :

Singer و Player و Singing و Playing و Goodness و Weakness ومورفيمات مقيدة أو غير مستقلة تتمثل فى : er و ing و ness ، فهى لا تأتى إلا متصلة بغيرها .

أما عن نوع المورفيم وأشكاله[1] من حيث الوظيفة التى يؤديها والمعنى الذى يأتى من أجله فيوجد فى الإنجليزية العديد من المورفيمات الوظيفية أو القواعدية Grammatical morphemes وهى مورفيمات تحمل معنى صرفياً ووظيفة نحوية. ولعل أهم المورفيمات القواعدية والأكثر استخداماً للألومورفات تتمثل فى الآتى :

١ - مورفيم الجمع أو مورفيم العدد

هذا الضرب من المورفيمات يستخدم للدلالة على ما جاوز الواحد فى الإنجليزية، ويوجد فى هذه المورفيمات ما يسمى بالألومورفات Allomorphs[2] أو الصيغ المتنوعة Variant forms التى تستعمل فى ظروف مختلفة لتعطى دلالة معينة. وهذه الألومورفات عبارة عن التنوعات المنطوقة لمعظم نهايات الجمع، وأكثرها شيوعاً s و es فى النهايات التى تنطق بثلاثة صور، هى /s/ و /z/ و /iz/ ولأن الألومورفات عادة تكون مشروطة بفونيمات معينة تحيط به، وهذه الفونيمات عادة يكون لها التأثير غالباً، ولذا فإن استخدام كل من /s/ و /z/ و /iz/ يحدد عن طريق الأخير فى نهاية الكلمة الملحق بها، فالألومورف /s/ ينطق فى نهاية كلمات، مثل :

- Lip → Lips, cat → cats, back → backs, roof → roofs, birth → births

(1) Adapted From : Raja T. Nasr, The Teaching of English to Arab students, pp. 50-52, 54-58, 60-63, 66-67 and 91-98

(١) راجع ماريو باى - اسس علم اللغة ١٠٤، ١٠٦، ١٠٧، ١٢٧، ١٢٨ .

والألومورف /Z/ ينطق فى نهاية كلمات، مثل :

- Club → Clubs, Field → Fields, Log → Logs, Cave → Caves, Bathe → Bathes, Home → Homes, Song → Songs, Ball → Balls, Chair → Chairs, Row → Rows, Low → Lows, Day → Days.

كما ينطق الألومورف /Z/ فى الكلمات المنتهـية بأصوات اللين، مثل : Sea فى المفرد، و Seas فى الجمع، وكذا فى : day ← days و boy ← boys .

أما الألومورف /iz/ فينطق فى نهاية كلمات، مثل :

- Class → Classes, Prize → Prizes, Dish → Dishes, Match → Matches, Judge → Judges.

وربما يكون الألومورف صرفياً محضاً أو نحـوياً محضاً، فلا يعتمد على أى عامل صوتـى، مثل : en و ren وهى ألومورفـات لمورفيم يدل علـى أكثر من واحد، كالموجود فى : oxen جمع ox و children جمع child .

وثمة مـورفيم يدل عـلى الجمع بـتغيير صـوت العلة، وهـو تغييـر صرفى محض، مثل : Feet جمع Foat و geese جمع goose (أوزة) و men جمع man .

كمـا أن هناك ضـرباً من المـورفيمـات يعـرف بالمورفـيمات الـصفْرية Zero morphemes يتم الجمـع فيها دون تغيير مـرئى فى الكلمة، فالـتغيير فيها تـغيير صفرى Zero change ، ويتحقق هـذا فى مثل : Sheep فيقال One cheep و Two cheep فى المفرد والجمع علـى السواء، ويشبه ذلك Fish و deer (غزال) للمفرد والجمـع على السواء؛ «فالتغييـر الصفرى الموجود فى الكلمـات السابقة تعتبر كلها ألومورفات استثنائيـة لمورفيم واحد يدل على الجمعية. وهذه الصورة الاسـتـثنائيـة تقع فـقط فى حـالات تخص أسمـاء معيـنة من الـسهل حصـرها

وتصنيفها»[1] ولا يقتصر مثل هذا التغيير على الأسماء، بل يوجد أيضاً فى مجال الأفعال، وسوف نوضحه فى حينه .

٢ - المورفيم الدال على الماضى

المورفم الدال على الماضى له ألومورفات عدة، وأغلبها شيوعاً يتمثل فى : (d) و (ed) وهى نهايات تضاف إلى الأفعال الضعيفة[2] ، وتنطق عادة كما لو كانت /t/ أو /d/ أو /id/ واستخدام كل ألومورف منها يحدد بالصوت الأخير فى الفعل الذى اتصلت به تلك النهاية، فتنطق /t/ فى نهاية كلمات مثل :

dip → dipped, kick → kicked, laugh → laughed, unearth → unearthe, miss → missed, wash → washed, watch → watched

وينطق الألومورف /d/ فى نهاية كلمات مثل :

rob → robbed, beg → begged, love → loved, bathe → bathed, raise → raised, judge → judged, climb → climbed, loan → loaned, wing → winged, call → called, colour → coloured, vow → vowe, show → showed, play → played, toy → toyed, free → freed

أما الألومورف /id/ فينطق فى نهاية كلمات مثل :

plant → planted, aid → aided

---

(١) راجع : ماريو باى - أسس علم اللغة ١٠٤ .

(٢) يقسم الفعل الإنجليزى بالطريقة التقليدية إلى نوعين : ضعيف weak وقوى strong في الصيغ المكتوبة. ويشكل ماضى الأفعال الضعيفة وتصريفها الثالث عن طريق إضافة (d) أو (ed) كما فى work و worked وكذلك Love و Loved . أما الفعل القوى فيشكل ماضية وتصريفه الثالث عادة عن طريق تغيير حرف العلة، كما فى : Sing ← Sang ← Sung ، أو عن طريق بعض إضافات ربما كانت فى الآخر أو فى غيره، مثل : Speak ← Spoke ← Spoken ، ومثل : bring ← brought ← brought (راجع ماريو باى - أسس علم اللغة ١٠٥) .

وثمة صيغ للماضى يتم تكوينها عن طريق الداخلى لأصوات اللين، مثل :
Sing → Sang,Write → Wrote,See → Saw, grow → grew, hide → hid.
وقد تتغير معظم الحروف المكونة للصيغة، مثل : buy → bought و do → did و catch → caught . وقد يحدث التغيير بشكل تام، مثل :
am → was, is → was, go → went.

هذا التغيير فى حروف العلل توصف فيه الألومورفات وتصنف على أنها ألومورفات إضافية للمورفيم الماضوى السابق ذكره .

كما أن هناك ألومورفات صفرية Zero Allomorphs للمورفيم الدال على الماضى، وهى التى لا يطرأ عليها تغيير يميز بين الماضى والمضارع، بل تظل الصيغة على حالة ثابتة من الأصوات وترتيبها، مثل : Cost → Cost → Cost, Cut → Cut → Cut, hit → hit → hit, hurt → hurt → hurt, let → let → let, put → put → put, read → read → read, shut → shut → shut

٣ - المورفيم الدال على الشخص المفرد (الضمير الثالث المفرد)

للمورفيم الدال على الشخص الثالث المفرد (الضمير الثالث المفرد) ثلاثة ألومورفات تنطق /S/ و /Z/ و /iZ/ ، وهى تعتمد على الصوت الذى قبلها. ويلاحظ أن النمط الفونولوجى هنا هو نفس النمط الفونولوجى للألومورفات /S/ و /Z/ و /iZ/ للمورفيم الدال على الجمع، وبالطبع فإن الفارق الوحيد أن المورفيم الدال على الشخص الثالث المفرد يرتبط بالأفعال .

فالألومورف /S/ يرد فى نهاية كلمات مثل :

dip → dips, sit → sits, shake → shakes, laugh → laughs, unearth → unearths

ويأتى الألومورف /Z/ فى نهاية كلمات مثل :

rob → robs, bend → bends, beg → begs, love → loves, breath → breathes, climb → climbs, loen → loens, sing → sings, call → calls, colour → colours, vow → vows, play → plays, free → frees, show → shows, toy → toys

أما الألومورف /iZ/ فينطق فى نهاية كلمات مثل :

miss → misses, raise → raises, wash → washes, judge → judges

٤ - المورفيم الدال على المقارنة Comparative

لهذا المورفيم عدد من الألومورفات، بعضها مقيد، وبعضها حر، وأغلب أنماط هذه الألومورفات تتمثل فى الآتى :

- er كما فى Tall → Taller و nice → nicer و big → bigger

- mor كما فى hand - some → mor hand - some و beautiful → mor beautifull و Serious → mor serious

وهناك نوع من المقارنة يحدث تغيير فى أغلب حالاته :

- little → less, many → more, much → more

وهناك نوع من المقارنة يحدث فيه تغيير تام، كما فى :

- good → better, bad → worse

٥ - المورفيم الدال على التفضيل Super Lative

المورفيم الدال على التفضيل له عدد من الألومورفات، بعضها مقيد، وبعضها حر، وتتمثل معظمها فيما يأتى :

- est كمـا فـي Tall → Tallest و nice → nicest و big → biggest

- most كمـا في hand some → most hand some و beautiful → most beautifull

وهناك نوع من التفضيل يحدث تغيير في أغلبه، مثل :

- little → least, many → most, much → most

واخيراً هناك نوع يتغير تغيراً تاماً، مثل :

- good → best, bad → worst

٦ - المورفيم الدال على الاستمرار

هذا المورفيم له ألومورف واحد هو ing ، وهذا الألومورف يستعمل دائماً بصيغة الفعل الدال على الكينونة verb to be أي الدال على الاستمرارية، مثل:

- He is writing a letter to his friend now
- They were playing in the garden when I saw him

٧ - المورفيم الدال على الأداء المألوف Habitual performance

هذا المورفيم له ألومورف واحد أيضاً، هو ing مثل :

- The moving train.
- The running boy.

٨ - المورفيم الدال على المصدر . اسم الفعل Verbal noun

وهو اسم مشتق من الفعل، وفيه بعض صفاته ويدل على حدوث الفعل[1]، وله ألومورف واحد أيضاً، هو ing مثل :

(١) د. محمد على الخولى - معجم علم اللغة النظرى ٣٠٠ .

- Running is a good sport.
- Swimming in summer is very nice.
- He likes rowing.

٩ - المورفيم الدال على الفاعل الحقيقي Performer

وهو يدل على الإنسان أو الحيوان الذى قام بالفعل أو يقوم به أو سيقوم به حقيقة. وهو يختلف عن الفاعل النحوى الذى قد لا يكون الفاعل الحقيقى(١).

وهذا المورفيم له ألومورف واحد غالباً هو : er ، مثل :

- I have met my teacher.
- He is a good runner.
- The player is in the field.

وهناك ألومورفان آخران لهذا المورفيم، هما :

- ant كما فى serve → servant

والألومورف الصفرى، وهو الذى لا يحدث فيه تغيير ملحوظ، مثل :

- cook → cook, pilot → pilot

١٠ - المورفيم الدال على مستقبل الحدث Receiver of Actions

وهو بمعنى آخر يدل على اسم المفعول، ويقصد به ما وقع عليه فعل الفاعل أو ما كان موصوفاً بحدوث الحدث فيه أو وقوعه عليه، وله ألومورفات كثيرة، وأغلبها شيوعاً يتمثل فى /t/ و /d/ و /id/ التى تكون حالتها الفونولوجيه نفس الشئ لـ /t/ و /d/ و /id/ وهى الألومورفات الدالة على الماضى، كما فى :

/t/ → The washed vegetables are on the table.

/d/ → The coloured painting is on the wall.

/id/ → I saw thw planted flowers.

والألومورفات الأخرى لهذا المورفيم، مثل :

---

(١) المرجع السابق ٢٠٦ .

- Broen windaw.
- The forgotten message.

والألوموروف الصفرى الذى لا تغيير فيه، مثل :

- cost → cost, cut → cut, let → let

والألوموروف الذى يتغير فيه أصوات اللين، مثل :

- hang → hung, hold → held, win → wan, sing → sung

أو يتغير فيه الأصوات الساكنة، مثل :

- bend → bent, lend → lent

أو يتغير فيه معظم الحروف، مثل :

- fly → flown, bring → brought, teach → taught

١١ - المورفيم الدال على البناء للمجهول (المبنى للمفعول) Passive

وهو مورفيم ذو صيغة تختلف عن الفعل المبنى للمعلوم وتدل على أن الفاعل الظاهرى أو المبتدأ ليس فاعلاً حقيقياً[١] ، وهذا المورفيم له الألومورفات نفسها التى توجد فى المورفيم - مستقبل الحدث - السابق وإن كان الدال على المجهول يستخدم دائماً متصلاً بواحدة من صيغ الفعل be + اسم المفعول، مثل :

- The letter was written yesterday.
- The car has been driven by my brother already.

١٢ - المورفيم الدال على الزمن التام Perfect tense

وهو عبارة عن صيغة للفعل تدل على تمامه فى الماضى أو الحاضر أو المستقبل، مثل : had gone و have gone و will have gone على التوالى[٢] ، وهذا المورفيم له نفس الألومورفات التى توجد فى المورفيم الدال على مستقبل

(١) د. محمد على الخولى - معجم علم اللغة النظرى ٢٠٣ .

(٢) المرجع السابق ٢٠٦ .

الأحداث، ولكنه يستعمل دائماً متصلاً بواحدة من صيغ الفعل have ، مثل :

- He has written aletter to his friend.
- They have climbed to the top of the mountain towice.

١٣ - المورفيم الدال على تملك القدرة او المقدرة على فعل الشئ

وهذا المورفيم له الومورف واحد هو able ، مثل :

- avoid → avoidable, pay → payable, teach → teachable

١٤ - مورفيمات قواعدية اخرى بمعان مختلفة

يوجد عدد من المورفيمات القواعديـة الأخرى التى توجد حرة أو مستقلة، وكل مورفيـم له معناه الخاص بـه، والتوزيع الذى يشـركه فيه غيره، وسـنذكر قليلاً من الأمثلة الدالة على ذلك :

أ - الأدوات Articales مثل : the و an و a

ب - حروف الجر prepositions مثل : on و in و with و from و for و to و at و by و of .

جـ- أسماء الإشارة Demonstratives مثل : this و these و that و those ،

د - أدوات العطف conjunctions مثل : and و but و beacuse و though و Although .

هـ - أدوات التخيير Choice makers مثل : or و nor و either و neither .

و - أدوات الاستفهام Question askers مثل : do و who و whoce و what و where و when و why و how .

ز - كلمات الربط Relative words مثل : who و which و that و whose .

ح - كلمات النفى Negative words مثل : no و not .

ط - كلمات مساعدة Auxiliary words مثل : will و would و can و cauld و shall و should و may و might و must .

ى- الكـلمات الدالـة على الدرجـة أو المنزلة والـكمية أو المـقدار words of degree or quantity مثل : many و much و very .

١٥ - مورفيمات أخرى مقيدة

هناك عـدد من المورفيمـات المقيدة، وكل مـورفيم ذو معنـى خاص به، لا يتحقق هـذا المعنى إلا إذا كان متصلاً بمورفيـم آخر، فيفيد باتصالـه التحول إلى الاسم والصفة والظرف والعكس والفعل .

فالاسم يتحقق بإضافة النهايات الآتية :

- ity → captive → captivity.
- ness → dark → darkness.
- ment → enjoy → enjoyment.

والصفة تكون بالنهايات التى تتمثل فى :

- ly → man → manly.
- ish → child → childish.

والظرف Adverb يكون بما يلى :

- ly → nice → nicely.

والعكس opposites يكون بإضافة السوابق الآتية :

- un → likely → unlikely.
- dis → like → dislike.
- im → possible → impossible.

والفعل يكون بإضافة السابقة الآتية :

يمكن أو يُخول enable → قادراً على able → en -

يلاحظ أن هذا الـضرب من المورفيمـات زوائد قد تكون أول الكـلمة وقد تكـون آخرها، ووجـودها بمفردهـا لا يحقـق المعنـى الذى يكون بـعد اتصـاله بمورفيمات أخرى .

على هذا الحال تم استعراض أنواع المورفيمات فى الإنجليزية من حيث حالة استعمالها حرة ومقيدة، كما اتضحت أنماطه من حيث الشكل الصوتى والوظيفة التى يؤديـها، فماذا عن المورفيـم فى العربية ؟ ذلـك ما نتناوله فى الـصفحات القادمة .

ثمة خصائص مشتركة تتفق فيها اللغات مع تعددها وتنوعها، منها أنها تتكون من أصوات تصدرها أعضاء النطق الإنسانية، وحتى تكون هذه الأصوات ذات معنى فيجب أن توضع فى نسق تركيبى محدد ومعين لتكون كلمات أو مجموعات منها. وهذه الكلمات أو مجموعاتها يفترض فيها أن تكون موضع اتفاق بين أعضاء المجموعة اللغوية، أو بين من يتحدثون بهذه الكلمات أو مجموعاتها، باعتبار أنها قيماً رمزية تستدعى فى أذهانهم أفكاراً معينة ترتبط بعادات وتقاليد وسلوكيات حضارية واجتماعية .

ومن الخصائص المشتركة كذلك أن أصوات كل لغة ترتبط فيما بينها ارتباطاً وثيقاً، إذ تكون نظاماً متجانساً تنسجم أجزاؤه لتؤدى وظيفتها، صوتياً وصرفياً ونحوياً ودلالياً. ولهذه السمة أهميتها لكونها تؤكد أن اللغة - أياً كانت - لا تتكون من أصوات منعزلة أو منفصلة عن بعضها، بل تتكون من نظام متآلف يسعى ليحقق أهدافه .

ولا يحملنا هذا القدر من الخصائص المشتركة على إهمال ما بين هذه اللغات من تباين قائم فى النظام الصوتى والصرفى والنحوى والدلالى، لاسيما أن كل نظام يسوده نوع من التغيير بين الحين والآخر «فالنظام الصرفى فى كل لغة حية لا يثبت على حال، إذ يحمل من أسباب التغيير ما يحمله النظام الصوتى . . . الذى يكون بعيداً كل البعد من أن يكون ثابتاً طوال تطور لغة من اللغات»[1] .

وقد كشفت محاولة تصنيف اللغات[2] - هناك طريقتان رئيسيتان للتصنيف، هما : القرابة اللغوية أو الرجوع إلى الأصل، وهى تاريخية فى معظمها،

---

(١) فندريس - اللغة ٦٤ .

(٢) انظر : ماريو باى - أسس علم اللغة ٥٥-٥٨ .

والطريقة التشكيلية أو التصنيف على أساس وسائل بناء الكلمات وتوليدها، وهى وصفية - عن أن هذه اللغات ليست كلها من نوع واحد، من حيث التركيب الداخلى للكلمات، ومن حيث الطرق المختلفة التى تستخدم فيها للدلالة على مواقع الكلمات المختلفة من الإعراب فى الجملة .

فهنالك - وفق التصنيف الذى يهتم بالتركيب الحديث للغة - اللغات التى تدل على العلاقات النحوية عن طريق الجمع بين مورفيمات حرة وأخرى متصلة، أى عن طريق السوابق واللواحق والتغييرات الداخلية فى بنية الكلمة وهذا النوع من اللغات يعرف باللغات التصريفية .

وهنالك اللغات التى تستخدم المورفيمات الحرة فقط، وتدل على العلاقات بنظام الجملة، كاستخدام الكلمة الصينية (WO) التى تحتمل بناء على موقعها فى الجملة - أن تعنى ضمير المتكلم فى حالاته الإعرابية (ta me - my - me - i) ويتمثل هذا فى اللغات المفردة .

وهنالك اللغات التى تضيف لواحق منفصلة تلحق أواخر المورفيمات الحرة، وتختلف عن النهايات التصريفية فى أنها من الممكن أن تتمتع باستقلالها وانفصالها فى بعض المواقف كمورفيم حر، كاللغة التركية والهندية والمجرية، ففى الأخيرة تعنى عبارة (هزاكبان) haz - ak - ban فى المنزل، وهى مكونة من haz ومعناها «منزل» و ak وهى علامة و ban بمعنى «فى» وهذا الضرب من اللغات يعرف باللغات اللاصقة. والحدود بين هذا النوع واللغات التصريفية ليست واضحة المعالم دائماً .

وأخيراً هنالك اللغات التى تستخدم عدداً من المورفيمات المقيدة يتصل بعضها ببعض لتكون عبارة أو جملة كاملة، بحيث تكون الوحدة هى المجموعة الكلامية أو الجملة ، ففى إحدى لغات الهنود الحمر تعنى العبارة

الآتية : جناجلا سليزاكس g - nagla - sl - i - zak - s أنا أبحث عن قرية. فالمورفيم (g) معناه (أنا) و nagla يفيد معنى مقيم و (SL) أداة تعطى ngla صفة الاسمية ليصبح معناها معها (قرية). أما (i) فهى سابقة فعلية تدل على أن Zak فعل. أما Zak فمعناها (أبحث عن) و (S) تدل على الاستمرار. ولا أحد من هذه المورفيمات يمكن أن يعطى معنى محدداً لو استعمل بمفرده[1] . ويعرف هذا النوع الأخير باللغات المركبة .

وفى ضوء هذا التصنيف يجب الإشارة إلى أنه لا توجد لغة معينة تتبع كلياً أحد الأنواع الأربعة المذكورة سلفاً، «فهذا التقسيم لا يعنى أن لغات العالم تنقسم انقساماً صارماً إلى مجموعات - كما سبق - تتمتع فيها كل مجموعة بخاصة واحدة من الخواص التى يدل عليها التقسيم، أعنى خاصة التحليل واللصق والدمج على التوالى، وإنما تعنى أنها تنقسم إلى مجموعات تكثر فيها واحدة من هذه الخواص أو أكثر، ومن ثم تستحق أن تنسب إلى نوع أو أكثر من الأنواع السابقة»[2] .

واللغة العربية كلغة من اللغات تتمتع بخواص تحليلية ودمجية ولصقية[3] ، وإن تفاوتت درجة شيوع كل حالة عن الحالة الأخرى، ودراسة المورفيم فى العربية تكشف لنا عن خصائصها التحليلية واللصقية والدمجية، كما توضح قيمة وأهمية الدلالة والوظيفة التى يقوم بها .

(١) راجع : ماريو باى - أسس علم اللغة ٥٦، ٥٧ .

(٢) د. محمد فتيح - فى الفكر اللغوى ١٢٤ .

(٣) التحليل يقصد به اشتمال اللغة على كلمات لا تتغير، فلا تتبع نموذجاً تصريفياً أو نظاماً اشتقاقياً فلا تحدد هويتها النحوية، مثل : حروف الجر والاستفهام والعطف والنهى والتوكيد والجزم ونحو ذلك. واللصق يراد به اشتمال اللغة على كلمات تلتصق بكل منها وحدة صرفية، أو تتوالى فيها الوحدات الصرفية بشكل يبرزها ويحدد دلالتها النحوية بسهولة مثل الكلمات المعرفة والمثناة والمجموعة والمؤنثة والمصغرة والمنسوبة ونحو ذلك. والدمج يعنى عدم إمكانية التعرف على وحدات صرفية فى بعض الكلمات. (راجع مفصلاً د. محمد فتح - فى الفكر اللغوى ١٢٤-١٢٥) .

وقبل أن نأتى لبيان المورفيمات وتصنيفها نشير إلى أن ابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) قد أدرك القيمة الدلالية للمورفيم، وإن لم يستخدم المصطلح صراحة، وذلك فى «ردِّه على من ادَّعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعانى»[١]، حين تكلم عن حروف المضارعة ودلالتها على الفاعلين، من حيث النوع والعدد، فزيادة الهمزة تفيد الدلالة على الفاعل المتكلم المفرد، والنون للفاعل المتكلم الجمع، والتاء للمفرد المخاطب المذكر، أو الغائب المفرد المؤنث، والياء للدلالة على الفاعل الغائب المفرد المذكر. قال ابن جنى: «تقدمت حروف المضارعة فى أول الفعل، إذ كن دلائل على الفاعلين: مَنْ هم، وماهم، وكم عدتهم، نحو: أفعل، ونفعل، وتفعل، ويفعل»[٢]. وهو بهذا يتكلم عن سمة من سمات الفعل من جانب، وأثر زيادة هذه الوحدة التى لا تكون إلا متصلة بغيرها من جانب آخر، وهى ما تعرف بالمورفيم المقيد أو المتصل، كما أشار إلى نمط آخر من الزيادة للمورفيمات التى تكون حشواً من ذلك مثلاً ألف (فاعل) التى جاءت لغرض خلاف المد ومعنى آخر غير معنى المد، يقول ابن جنى: «فأما ألف فاعل . . . ونحو ذلك فإنها وإن كانت راسخة فى اللين، وعريقة فى المد، فليس ذلك لاعتزامهم المد بها، بل المد فيها - أين وقعت - شئ يرجع إليها فى ذوقها، وحسن النطق بها، ألا تراها دخولها فى (فاعل) لتجعل الفعل من اثنين فصاعداً، نحو: ضارب، وشاتم، فهذا معنى غير معنى المد، وحديث غير حديثه»[٣].

ولم يغفل ابن جنى أن يشير إلى ما يزاد فى آخر الكلمة من حروف (مورفيمات) تأتى لمعانى مختلفة قد تكون للنوع مذكر ومؤنث، وللعدد مفرد

(١) ابن جنى - الخصائص ١/ ٢٢٥ - ٢٣٧ .

(٢) المصدر السابق ١/ ٢٢٥ .

(٣) المصدر السابق ١/ ٢٣٤ .

ومثنى وجمع، مثل : تاء التأنيث، وألف الاثنين، وواو الجمع، والألف والتاء في الجمع[1]..

على هذا الحال كان إدراك ابن جنى لقيمة ما يمكن تسميته بالمورفيمات الوظيفية، وهي التى تحمل دلالة صرفية ووظيفة نحوية، كما يمكن القول أنه كان يدرك أن الزيادة أياً كان موقعها من الكلمة، ليست تطريزية، وإنما تأتى بالإضافة إلى الدلالات الصوتية والصرفية لبيان أثرها النحوى فى تحديد الفاعل ونوعه وعدده والمفعول إن كانت الزيادة مما تؤدى إلى المفعول، وفى هذا تأكيد على أن الكلمة ليست الوحدة الصغرى التي تكون حاملة للمعنى، وإنما الوحدة الصغرى هي الوحدة الصرفية أو المورفيم .

وإذا كان وجود أحرف المضارعة يعين على معرفة الفاعل فى الجملة دون ذكر له، فذلك دليل على أن أهمية الوحدات الصرفية «المورفيمات» فى التحليل «ليست فى دلالات المعنى المرتبطة بها، ولكن مما تضيفه إلى الكلمات التى ارتبطت بها فى سمات وخصائص تتعلق بالسلوك التركيبى»[2] .

ولعل تلك الأهمية المزدوجة - الدلالة والوظيفة - للمورفيمات هى التى تحملنا على تتبعها فى العربية بشئ من التفصيل لبيان إلى أى حد يمكن تطبيق مفهوم المورفيم، وإلى أى مدى يمكن الاستفادة من هذا المفهوم مع تعرضه للنقد من جانب، وبروز بعض الصعوبات فى تطبيقه أحياناً من جانب آخر. وقد سبقت الإشارة إلى أنه مع وجود النقد وبروز بعض الصعوبات فإنه لازال أداة يمكن الاستفادة منها فى التحليل الصرفى .

وتحدد المورفيمات فى اللغة بمقارنة أشكال الكلم بعضها ببعض وملاحظة ما يتكرر منها، وما يصحب تغيرها من تغير فى المعنى والتركيب، ويمكن تقسيم

---

(١) ابن جنى - الخصائص ١/٢٢٦-٢٢٧ .

(٢) د. محمد فتيح - فى الفكر اللغوى ١٢٢ .

المورفيمات بالنظر إلى أمرين :

أ - بالنظر إلى درجة حريتها فى الورود والاستخدام، أى كونها حرة أو مقيدة، فتقسم إلى مورفيمات حرة، ومورفيمات مقيدة، ويقصد بالأولى التى يمكن وجودها حرة مستقلة بنفسها، ويقصد بالثانية التى لا توجد غير مستقلة، بل تكون متصلة بغيرها .

ب - بالنظر إلى كونها جذوراً أو لواصق ترتبط بالجذور، وتسمى الأولى مورفيمات الجذور root morphemes وتسمى الثانية لواصق أو مورفيمات اللواصق affixes morphemes .

ويقصد بالأولى ما تبقى من أجزاء الكلمات بعد إزالة ما ارتبط بها من لواصق وقد تكون الأجزاء المتبقية حرة، مثل «إسلام» المتبقية من إسلامى على سبيل المثال، وقد تكون مقيدة، مثل «صوم» المتبقية من يصومون .

وأما الثانية فيقصد بها المورفيمات التى تتصل بالجذور، فإذا كانت الأولى يمكن أن تكون حرة أو مقيدة، فهذه لا تكون إلا مقيدة، وتختلف تسمياتها تبعاً لموقعها بالنسبة إلى جذور الكلمات التى تتصل بها، فتكون سوابق prefixe إن اتصلت بأوائل الجذور، وتكون لواحق suffixes إن اتصلت بأواخر الجذور، وتكون أحشاء infixes إن وقعت وسط الجذور[1] .

كما تنقسم المورفيمات المقيدة إلى قسمين : أحدهما : ما يعرف بالمورفيمات الاشتقاقية derivational morhemes ومثلها ياء النسب، وما يطرأ على الفعل المجرد من إضافات وتغييرات كالأفعال المزيدة ونحوها، والثانى ما يعرف بالمورفيمات التصريفية inflecting morphemes ومثلها ياء الغيبة وتاء الخطاب والألف والنون، والواو والنون، والتاء المربوطة، والألف والتاء ونحو ذلك[2].

(١) راجع مفصلاً : د. محمد فتيح - فى الفكر اللغوى ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤ .

(٢) راجع مفصلاً : د. نايف خرما - أضواء على الدراسات اللغوية ٢٧٦، ٢٧٧ .

وتلحق المورفيمات عادة الأسماء والأفعال على السواء، وهناك بعض الفروق بين مورفيمات الأسماء ومورفيمات الأفعال، وإن بدت متماثلة، إذ الفروق ليست فى دلالتها، ولكن فى الوظيفة النحوية التى تؤديها. وإذا كانت هناك مورفيمات خاصة بالأسماء، وأخرى خاصة بالأفعال، فهناك ما يشترك فيه الأسماء والأفعال، وسوف نوضح ذلك على النحو التالى :

أولاً : فى مجال الأسماء

ينقسم الاسم إلى مجرد ومزيد، فالمجرد ما خلا من حروف الزيادة، وكانت جميع حروفه أصلية، ولا يسقط منها حرف فى أى تصريف من تصاريف الكلمة، والأسماء المجردة تكون ثلاثية ورباعية وخماسية ولكل نوع أبنيته الخاصة به، وتكثر فى الثلاثى وتقل فى الرباعى ثم تزداد قلتها فى الخماسى. ولعل ذلك يرجع إلى أن العربية تؤثر الخفة التى تتحقق فى الثلاثى أكثر[1] .

وقد لوحظ من استعراض هذه الأبنية أنها بخلوها من الزوائد تعد مورفيمات حرة، يفرق بينها بالحركات، فالصوامت ثابتة لا تتغير من بناء إلى بناء.

وأما المزيد من الأسماء فله أوزان كثيرة، وقد عنى العلماء بذكرها وتصنيفها. والزيادة منها ما يكون للإلحاق، ومنها ما يكون للمد، وما يكون من أصل الوضع، وما يكون للتعويض، وما يكون لبيان الحركة، وما يكون زائداً لمعنى معين[2] .

---

(١) الرضى - شر الشافية ١/ ٣٥، ٣٦، ٤٨ .

(٢) عدها سيبويه ثلاثمائة وثمانية ويرجى النظر فى الكتاب ٢/ ٢٢٥، والمنصف ١/ ٩، ١٠، ١٤، ١٥، وشرح الشافية ١/ ٤١ - ٤٩، ٥٢، ٣٣١ .

والزيادة التي تأتي لمعنى تكون في الأسماء والأفعال، وتعد أبرز أنواع الزيادات، وهي لا تحصى في باب بعينه، بل تتوزع على أبواب صرفية متعددة تشمل الاسم في مباحثه المختلفة، وتشمل الفعل في مباحثه المختلفة. وسوف يصنف ما يزاد ويوضح أثره في الدلالة الصرفية والوظيفة النحوية إن كان ما زيد له أثر في التركيب .

ويعد الجامد من الأسماء وحدة ثابتة تلزم صورة واحدة، وهي إما أن تكون أسماء ذوات كإنسان وأسد وشجر وبقر، وإما أن تكون أسماء معاني مثل : فَهْم وعِلْم وشجاعة وبَذْل وسخاء وطموح وما يشبه ذلك من المصادر التي تعد وحدات صرفية مستقلة .

وفيما يخص المصادر بأحوالها المختلفة فإننا نجد أن معظم المصادر تشتمل على حروف أفعالها، ولكنها تختلف عنها في الصيغة اللفظية والحركية ليكون ذلك عوناً على تميز الفعل من المصدر، وأكثر المصادر عدداً وتنوعاً مصادر الثلاثي لكونه سماعياً، ومن ثم يصعب تحديد المورفيمات الفاعلة في الصيغة في إطار هذه الكثرة بالإضافة إلى أن بعض الأفعال الثلاثية لها عدة مصادر، فالفعل (لقي) على سبيل المثال له عشرة مصادر[1]، ومثله الفعل ساء[2] .

ولكون الرباعي والخماسي والسداسي مقيساً فيمكن القول بأن مورفيمات الرباعي تبدو في التاء المربوطة التي تلحق المصدر فَعْلَلَة من فَعْلَلَ، وهذه التاء ليست للتأنيث، والهمزة المكسورة والألف قبل نهايته، مثل : أَفْعَلَ - إفعال، أو زيادة التاء المربوطة، مثل : إقامة، والتاء في أول المصدر والياء قبل آخره، مثل : تفعيل، أو تضعيف العين مع الضم، مثل : تَفَعُّل، أو زيادة التاء المبسوطة في أوله والمربوطة في اخره، مثل : تَفْعِلَة، بكسر العين. وقد يكون

(١) السيوطي - المزهر ٢/ ٨٣ .

(٢) اللسان - مادة (سوا) .

المورفيم ميماً زائدة مضمومة فى أول المصدر والتاء المربوطة فى آخره، مثل : مُفَاعَلَة من فاعَل، أو كسر الفاء وزيادة ألف قبل اللام مثل فِعَال .

ويلاحظ أن مورفيم الألف هو الغالب على مصدر الخماسى والسداسى مثل : اجتماع، انخداع، ارتماء، استعمال، استغفار .

أما المصادر القياسية الأخرى فقد لوحظ أنها محدودة فى مورفيماتها وذلك مثل : المصدر الميمى، والمصدر الدال على المرة، والمصدر الدال على الهيئة، ونوضح ذلك على النحو التالى :

- **المصدر الميمى**

اسم دل على حدث مبدوء بميم زائدة ليس على وزن مفاعلة أو مفعول، وقد لوحظ أن مورفيمات هذا المصدر حين يصاغ من الفعل الثلاثى تنحصر فيما يأتى :

- الميم المفتوحة مع العين المفتوحة (مَفْعَل) مثل : مَشْرَب، مَغْنَم، مَأْكَل .
- الميم المفتوحة مع العين المكسورة (مَفْعِل) مثل : مَوْعِد، مَوْلِد، محيض، مَيْسِر .
- الميم المفتوحة مع العين المفتوحة + التاء المربوطة (مَفْعَلَة) مثل : مفسدة، مجبنة، مَحْمَدَة .

أما مورفيماته من غير الثلاثى فتتمثل فى :

- الميم المضمومة مع فتح ما قبل الآخر، مثل : مُنقلَب، مُستقَر، مُدْخَل، مُخْرَج فكل هذه العناصر مورفيمات مقيدة، لا تأتى إلا متصلة بمورفيم آخر .

- **المصدر الدال على المرة**

وجد أن هذا المصدر يعتمد فى دلالته على مورفيم حركة الفتح لفاء الكلمة وعينها + التاء المربوطة، ويتمثل ذلك فى وزن فَعْلَة، فإذا شق على هذه الصيغة الوفاء بالدلالة الصرفية كأن يكون المصدر الأصلى أو العام على هذا الوزن، مثل تَوْبة، وصَيْحَة، ودَعْوة، وبَغْتة، ورَأْفة، ورَحْمة، فيستعان بكلمة عرفية ملفوظة تدل على المرة، وهى كلمة «واحدة» فيقال توبة واحدة، وصيحة واحدة، ودعوة واحدة، وهكذا .

هذا إذا صيغت من الفعل الثلاثى، أما إذا أريدت من فعل غير ثلاثى حوفظ على صيغة المصدر الأصلى، ثم يضاف مورفيم التاء المربوطة، وهى ليست للتأنيث، فإن كان المصدر ينتهى بالتاء أصلاً، وصف بما يدل على المرة، فيقال : إعانة واحدة، واستجابة، وهكذا .

- **المصدر الدال على الهيئة**

يعرف هذا النوع من المصادر عند برجشتراسر باسم النوع، ويرى أن اسم المرة واسم الهيئة مما تنفرد به اللغة العربية، يقول : « وأما وزن فَعْلَة ، وهى اسم المرة، وفِعْلَة وهى اسم النوع فلا يوجد نظيرهما فى كل اللغات السامية»[1] ، ويستعان على صوغ الصيغة الدالة على هذا المصدر بمورفيم حركة الكسرة + التاء المربوطة .

فإذا كان المصدر الأصلى على وزن «فعْلَة» مثل : شدة، وردَّة، وجنة، فيستعان حينئذ بالسياق أو التركيب النحوى بالوسائل الآتية :
أ - وصف المصدر، مثل : ردَّة قبيحة .
ب - الإضافة، مثل : شدة القوى، أحسن خدمة .

فإن أريد من غير الثلاثى أبقى على الصيغة نفسها، ويستعان بالسياق النحوى للتعبير عن نوع الحدث الواقع، إما بالوصف، مثل : استعانة تامة،

---

(١) برجشتراسر - التطور النحوى ٦٧ .

واستقامة عظيمة، إسراعاً شديداً، وإما بالإضافة، مثل : تمايل النشوان .

ونخلص من هذا كله إلى أن الدلالة الصرفية على المرة والهيئة تتم بما يلى:

أ - الصيغة مضافاً إليها مورفيم التاء المربوطة، وهى مورفيم مقيد، مع فتح الفاء والعين فى الدلالة على المرة، وكسر الفاء وفتح العين فى الدلالة على الهيئة .

ب- الوصف للمصدر الدالة على المرة والهيئة .

جـ- الإضافة للمصدر الدال على المرة والهيئة .

وفى هذا ما يدل على أن المورفيم وحده قد لا يصلح لإفادة الدلالة الصرفية، ولابد من الاستعانة بوسائل نحوية أخرى، إما وصفاً أو إضافة وهما من التراكيب النحوية المتلازمة .

- المصدر الصناعى

وآخر هذه المصادر المصدر الصناعى، وهو يتكون بإضافة لاحقة تفيد نقل الاسم بدلالته من ذات مجردة أو جنس إلى معنى مجرد أو مفهوم كلى، وهذه اللاحقة تتكون من مورفيمين مقيدين، هما : الياء المشددة + التاء المربوطة (ة)، وهى تاء ليست للتأنيث، بل تأتى للنقل من الوصفية إلى الاسمية، ليخلص اللفظ للمعنى المصدرى أو الدلالة الحاصلة بالمصدر .

ويلاحظ أن اللاحقة (يَّة) قد تضاف للدلالة على المصدرية، وقد تضاف للدلالة على الوصف للاسم المؤنث المنسوب، وحينئذ تصير التاء للتأنيث، ولذا نلاحظ أنها مورفيم مزدوج الدلالة، فهى فى المصدر تفيد دلالة المصدر على المعنى المجرد المطلق، وفى الوصف للاسم المؤنث المنسوب تدل على صفة خاصة ترتبط بشئ ما .

وهناك مورفيمات وظيفية متعددة ومتنوعة فى دلالتها الصرفية ووظيفتها النحوية أحياناً، وهذه المورفيمات تتوزع على مباحث مختلفة خاصة بالاسم،

تتمثل في : المشتقات، والجنس أو النوع، والعدد، والتصغير، والنسب والتعريف، والضمائر، والأسماء الموصولة، وأسماء الإشارة، ونتناول كل مبحث على النحو التالي :

١ - المشتقات

المشتق اسم أُخذ من كلمة أخرى بصيغة أو بنية معينة لتدل على موصوف بمعنى ما، على سبيل الفاعلية، مثل : ذاهب، كاتب، قادم. وقد تدل على موصوف بمعنى ما، على سبيل المفعولة، مثل : مضروب، مشكور. وقد تدل على موصوف بمعنى أفعل التفضيل، مثل : أشد، أفضل، أكرم، كما قد تدل على زمان الحدث أو مكانه، مثل : ملعب، ملهى، وأخيراً قد تدل على آلة الحدث، مثل : مفتاح، منشار، مبرد .

والمشتقات أو الصفات الصرفية التي سوف نتناولها بدراسة مورفيماتها ودلالتها الصرفية ووظيفتها النحوية إن وجدت، هي : اسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، واسم التفضل، واسما الزمان والمكان، واسم الآلة.

- اسم الفاعل، اسم المفعول

اسم الفاعل مشتق صيغ للدلالة على من قام بالحدث أو ما قام فيه الحدث، مثل : كاتب، مخرِج، ومنكسر. ولكثرة استخدامه في الكلام فيعد من أهم الصفات الصرفية. ويكتسب اسم الفاعل دلالة أخرى، هي الدلالة على الحال أو الاستقبال، ولذا فهو يشبه الفعل المضارع، غير أن اسم الفاعل دل على صفة مستقرة في صاحبها، بينما المضارع يدل على حدث متجدد يقع شيئاً فشيئاً .

ويصاغ من الثلاثي على وزن «فاعل» ومن غير الثلاثي على وزن مضارعه مع إبدال ياء المضارعة ميماً مضمومة وكسر ما قبل الآخر .

وأما اسم المفعول فهو اسم مشتق للدلالة على مِن أو ما وقع عليه الحدث، مثل : مضروب، مقتول، مفهوم، مكتوب، مُخرَج، منتدب، وهو يدل على حدث طارئ لا يدوم، ومن يتصف به يكون على سبيل المفعولية لا

الفاعلية، وقد يكتسب فى التركيب دلالة صرفية أخرى هى الدلالة على الحال أو الاستقبال، مثل : لا تزال الأرض مبتلة بالماء، وإنك موعود بالخير .

ويصاغ من الثلاثى على وزن «مفعول» ومن غير الثلاثى على وزن مضارعه مع إبدال ياء المضارعة ميماً مضمومة وفتح ما قبل الآخر .

ويذهب برجشتراسر إلى أن «أسماء الفاعل والمفعول بسيطة فى العربية ففاعل هى أصلية سامية كـ kāšidu فى الأكدية، و pōˇēl فى العبرية، وpāˇēl فى الآرامية. ومفعول أصلها فعول زيدت فيها الميم الكثيرة الاستعمال فى هذه الأسماء، وفعول نفسها توجد فى العربية فى معنى المجهول فاعله، نحو : رَسول أى المرسل، وهى اسم المفعول فى العبرية، نحو : kābūr أى مقبور، وينوب عنها فى الآرامية فعل نحو : kṭīl أى مقتول، وذلك من تبادل الضمة والكسرة الممدوتين، والميم فى سائر أسماء الفاعل والمفعول سامية فى الأصل فى كل اللغات السامية»[1] .

والمقابلة التالية بين اسمى الفاعل والمفعول ناجعة لإظهار المورفيمات أو الوحدات الصرفية فى كل منهما، وتتم المقابلة بهذه الكيفية كما يتضح فى الأمثلة الآتية :

بنية الفعل	اسم الفاعل	المورفيم الزائد	اسم المفعول	المورفيم الزائد
ثلاثى	عابد شاكر عالم	الألف	معبود مشكور معلوم	الميم + الواو
غير ثلاثى	مُدَحْرِج مُعاتِب مُكرِم مُرتجِل مستعِد	الميم المضمومة + الكسرة قبل آخره	مُدَحْرَج مُعاتَب مكرَم مرتجَل مستعَد له	الميم المضمومة + الفتحة قبل آخره

(١) برجشتراسر - التطور النحوى ٦٧ .

تظهر المقابلة بين المشتقين أن فونيم الألف الزائد حشواً والكسر لعين الكلمة، مورفيمان يدلان على صيغة اسم الفاعل، وفونيم الميم الزائدة المفتوحة والواو الزائدة قبل لام الكلمة المضموم ما قبلها مورفيمان يدلان على صيغة اسم المفعول من الثلاثي .

كما تظهر المقابلة أيضاً أن فونيم «الميم» الزائدة المضمومة مورفيم مشترك بين الصيغتين، ومن ثم يعد فونيم الكسر فى الأول، والفتح فى الثانى لما قبل الحرف الأخير مورفيماً فاعلاً فى التمييز بين اسم الفاعل واسم المفعول. مما يدعو إلى القول بأن الحركة مورفيم أشد حسماً وفاعلية من مورفيم الميم، وذلك ليس على مستوى الدلالة الصرفية، بل فى أداء الوظيفة النحوية والسياق النحوى، إذ ترتب على الكسرة إعراب ما بعد اسم الفاعل فاعلاً، وترتب على الفتحة إعراب ما بعد اسم المفعول نائب فاعل، والفاعل ونائب الفاعل بابان هامان من أبواب النحو .

أما أبنية المبالغة فهى تدل على الكثرة والزيادة فى الوصف، وأبنيتها كثيرة، تتعلق بالكمية، وتتفاوت فيما بينها فى كثرة الاستعمال وقلته، وأغلب الظن فيها أن دلالتها على المبالغة طارئة، وليست أصيلة، إذ يبدو أن معظم هذه الصيغ كانت تستخدم لدلالات أخرى فى الأصل، ثم نقلت عن طريق المجاز إلى معنى المبالغة، مثال ذلك صيغة فعّال، وفعيل، ومفعال، التى أثرت فيها اللغة الآرامية. قال برجشتراسر : «من أبنية الاسم الفصيحة ما أثرت فيه اللغة الآرامية، كـ «فعّال» فى أسماء الصناع، نحو : نجّار وطبّاخ، فأقدمها معرب من الآرامية، ومنه النجار، وهو فى الآرامية naggārā ثم قيس باقيها على هذا القياس. وما بين حروفه حرف علة له خصائص فى بناء الأسماء كما هى الحالة فى الأفعال، منها أن «فعيل» كثيراً ما ينوب عنها فى المواد الجوفاء فَعِّل نحو

ميِّت وبيِّن، وهذه هى الصيغة العتيقة، وطويل وأشباهها حديثة»[1] . . وصيغة مفعال ليست خالصة للمبالغة، فهى لأسماء الآلة، وهى سامية الأصل[2] .

ومع كثرة الأبنية الدالة على المبالغة فى العربية، فقد كثر فى الاستخدام الصيغ الآتية : فعَّال، فعول، مفعال، مِفْصِل، مِفْعَل، فعِيل، فِعْيل، فِعِيل، فُعَلة، فَعِل .

وتكون هذه الصيغ غير قاصرة فى استخدامها على المبالغة، ولذا فمن العسير القول بأن المورفيمات التى زيدت فيها ذات أثر بارز فى دلالتها الصرفية، مما يعنى اعتماد هذه الدلالة على السياق، ومن ثم الوظيفة النحوية، إذ تعمل الصيغ الدالة على المبالغة عمل اسم الفاعل، أى تعمل عمل الفعل المضارع المبنى للمعلوم، فإذا لم تكن للمبالغة كانت عديمة الأثر فى التركيب النحوى .

وثمة مورفيم يأتى «للمبالغة فى الصفة، وهو التاء، وهذه التاء ليست للتأنيث، أى لا تفيد تأنيث الأسماء التى تلحقها، بل تفيد الكثرة والزيادة فى الصفة، مثل : علاَّمة ونَسَّابة للكثير العلم والعالم بالأنساب، وراوية للكثير الرواية للشعر ونحوه، وبعير راوية أى يكثر الاستقاء عليه، وفَرُوقه للكثير الفرق وهو الخوف، ومَلُولة للكثر الملل»[3] . ويلاحظ من خلال هذه الأمثلة أنها تلحق بصيغ : فعال وفاعل وفعول، وهى صيغ منها ما يفيد المبالغة ومعانى أخرى، مثل : فعَّال، وفعول، ومنها ما لا يفيد المبالغة قبل إلحاق مورفيم «التاء» به، مثل : فاعل، وهى صيغة اسم الفاعل المشتق من الفعل الثلاثى .

---

(١) برجشتراسر - التطور النحوى ٦٨ .

(٢) المرجع السابق ٦٤ .

(٣) ابن يعيش - شرح المفصل ٥/ ٩٨ .

- الصفة المشبهة

الصفات على ثلاث مراتب : صفة بالجارى - يقصدها يجرى مجرى الفعل فى العمل - مثل : اسم الفاعل، واسم المفعول، وهى أقوى الصفات فى العمل لقربها من الفعل. وصفة مشبهة باسم الفاعل، فهى دونها فى المنزلة، لأن المشبه بالشئ أضعف منه فى ذلك الباب الذى وقع فيه الشبه، ثم الصفة الواقعة فى باب التوابع .

وتأتى الصفة المشبهة فى المرتبة الثانية، وهى فروع على أسماء الفاعلين، فإن كانت - أى الصفة - تشبهها - أى أسماء الفاعلين - فى أنها تذكر وتؤنث وتدخلها الألف واللام وتثنى وتجمع بالواو والنون، فإنها انحطت عنها ونقص تصرفها عن تصرف أسماء الفاعلين، كما انحطت أسماء الفاعلين عن الأفعال، فلا يجوز فى الصفة المشبهة ما يأتى :

أ - لا يجوز تقديم معمولها عليها، كما جاز ذلك فى اسم الفاعل، فلا تقول هذا الوجه حسن كما تقول هذا زيداً ضارب .

ب- لا يجوز أن تضمره فلا تقول هذا حسن الوجه والعين فتنصب العين على تقدير وحسن العين .

جـ - لا يحسن أن تفصل بين حسن وما يعمل فيه، فلا تقول هو حسن فى الدار الوجه، وكريم فيها الأب(١) .

وتدل الصفة المشبهة على واحدة من الصفات الآتية :

أ - صفة خلقية جسدية ثابتة فى صاحبها، مثل : طويل، قصير، أحور، جميل، قبيح .

ب- صفة جُبل عليها الشخص حتى صارت راسخة فيه، مثل : شجاع، كرم،

---

(١) راجع : شرح المفصل ٦/ ٨١-٩١ مع تصرف يسير .

جبان، وقور، شهم، مع ملاحظة أنها قابلة للتغير بفعل الزمن .

جـ- صفة عارضة لا تثبت فى صاحبها لكونها ليست بخلقة، ولا هى طبع، مثل : جوعان، عطشان، سكران، مريض .

وأوزانها الصرفية كثيرة ومتعددة[1] ، والتأمل فيها لمحاولة التعرف على المورفيمات المؤثرة فى الدلالة الصرفية ثم الوظيفة النحوية - على اعتبار أن الصفة المشبهة تعمل عمل اسم الفاعل - يجد صعوبة فى الجزم برأى قاطع؛ وذلك لأن دلالة بعض الصفات لا تثبت ثباتاً مطلقاً، وتحتمل التأويل لأكثر من معنى، فعليم مثلاً إذا كانت تعنى كثرة العلم بأمر ما، كانت للمبالغة، وإن كانت تعنى أن العلم شيمة أصيلة أو خلقة فى صاحبها، صارت صفة مشبهة، ووزن فاعل يحتمل الوصف على الفاعلية أو الوصف على الصفة المشبهة، ووزن فَعِل يحتمل الأمرين كذلك، ووزن فُعال للمبالغة أكثر من فعيل، قال ابن جنى : «من ذلك أيضاً قولهم : رجل جميل، ووضئ، فإذا أرادوا المبالغة فى ذلك قالوا : وُضّاء، وحُمّال . . . ونحو من تكثير اللفظ لتكثير المعنى العدول عن معتاد حاله، وذلك فُعَال فى معنى فعيل، نحو : طُوال : فهو أبلغ معنى من طويل، وعُراض؛ فإنه أبلغ معنى من عريض، وكذلك خفاف من خفيف، وقلال من قليل، وسُراع من سريع، ففُعال - لعمرى - وإن كانت أخت فعيل فى باب الصفة، فإن فعيلاً أخص بالباب من فُعال . . . فلما كانت فعيل هى

---

(1) انظر : سيبويه - الكتاب ٤/١٧، ابن قتبة - أدب الكاتب ٤٤٠-٤٤١، ابن جنى - الخصائص ٣/٢٦٦-٢٦٨، ابن خالويه : ليس فى كلام العرب ١٣٠، السيوطى - الأشباه والنظائر ٢/٢٠٦، د. عبد الصبور شاهين - المنهج الصوتى ١١٧-١١٨ . وهذه الأوزان هى : أَفْعَلُ : احمر، فَعْلان : جوعان، فَعَل : حسن، فُعُل : جُنُب، أُنُف، فُعَال : شُجاع، فَعَال : جبان، فَعْل : صَعْب، سَهْل، فِعْل : نِكس، رِخو، مِلح، فُعْل : صُلْب، فَعِل : فَرِح، طَرِب، فاعل : صاحب، طاهر، صارم، فعيل : بخيل، كريم، فَعُول : رَسُول، وقُور، فَيْعِل : سيِّد، طيِّب، فَيْعَل : فَيْصَل، عَيْثَم (الضخم الطويل) .

الباب المطرَّد وأريدت المبالغة، عُدِلت إلى فُعال»[1] .

هذا كله يعنى صعوبة التمييز لدلالة البنية بمعزل عن السياق، مما يشير إلى أن المورفيمات فى هذه الأبنية ليست بقادرة على تحديد الدلالة الصرفية، للأوزان والكلمات تحديداً قاطعاً، لكون الوزن الواحد أو الصيغة الواحدة تجمع بين دلالات مختلفة، ولكون الكثير من المعانى يؤدى بأوزان متعددة. فالمورفيمات لا تحسم الدلالة الصرفية للصفة المشبهة، أو للمبالغة، والأمر مرده للسياق الذى يفصل بين التداخل فى الدلالة .

- التفضيل

يعد التفضيل أحد الصفات الصرفية الدالة على الوصف، إذ يدل على أن اثنين اشتركا فى صفة وزاد أحدهما على الآخر فى هذه الصفة، فهو يفيد المفاضلة بين أمرين، مدحاً وذماً، إيجاباً أو سلباً .

والصيغة التى يُعوَّل عليها فى هذه الدلالة، هى صيغة «أفْعَل» للمذكر «وفُعْلى» للمؤنث، ولهاتين الصيغتين شروط يجب توافرها فى الفعل الذى يصاغ منه أى صيغة منهما، وهى شروط لا يغفلها دارس اللغة .

وصيغة «أفْعَل» مزيدة بالهمزة، ولا يظن أنها صيغة خالصة لدلالة التفضيل، فهناك من الأعلام ما يكون بوزن «أفْعَلُ» مثل : أحمد، أمجد، أشرف، وهناك من الصفات التى مؤنثها على وزن «فعلاء» مثل : أرعن، أحمق، أحمر، وما يكون على هذا الوزن من الصفات والأسماء يمنع من التنوين. وقد تستخدم صيغة «أفْعَلُ» للدلالة على الفعل المفتوح العين فى المضارع، مع المتكلم المفرد، مذكراً أو مؤنثاً، مثل : أذْهَب، أنْهَلُ، أجْعَلُ، أنْفَعُ، أخضع، أعلم، أمنع، أفتح، أفرح، أسمع، أسعد، فالصيغة هى هى

---

(1) ابن جنى - الخصائص ٣/ ٢٦٧-٢٦٨ .

فى قولنا : هو أنفع من غيره، وهو أسعد من أخيه، وهو أعلم القوم .

وهكذا نجد أن وزن «أفعل» ليس خالصاً لدلالة التفضيل، فقد يكون لدلالات أخرى كما رأينا، وهو «لا يوجد فى أية لغة من اللغات السامية حتى الحبشية، فهو مرتجل فى العربية جديد، فأفعل إذا كان للتفضيل هو أكثر تخصيصاً وتحديداً من بين سائر أبنية الاسم، فاختراع العربية له من علامات ميلها إلى التخصيص والتعيين، وأفعل مع ذلك مما يسهل تركيب الجملة والتعبير عن الأفكار المُشكَّلة بالتركيبات المشتبكة، مثل ذلك : هذا أكثر من أن يحصى، وأنتم أحوج إلى هذا منكم إلى ذلك، ولا يوجد مثلهما فى سائر اللغات السامية»[1] .

وتنماز «أفعل» التى للتفضيل من «أفعل» التى تأتى للأعلام، والتى تكون صفة مشبهة، والتى تكون للفعل المضارع المفتوح العين، بصور تركيبية خاصة، كأن يكون مجرداً من (أل)، أو معرفاً بـ «أل»، أو مضافاً إلى نكرة، أو مضافاً إلى معرفة. كما أن الصيغة على هذا التركيب تؤدى وظيفة نحوية باعتبار اسم التفضيل من المشتقات العاملة، وهو بهذا يكون إلى النحو أقرب منه إلى الصرف .

والخلاصة أن صيغة أفعل الصرفية بمفردها لا تكون ذات دلالة خاصة لكونها تحتمل أكثر من معنى، والاحتكام إلى التراكيب النحوية والسياق هو الوسيلة للتوصل إلى دلالتها، وإذا كانت زيادة مورفيم الهمزة قد هيأت للوزن اكتساب كل هذه الدلالات، فلا يمكن القول بأن هذا المورفيم ذو دلالة محددة، بل ذو دلالات متعددة .

- اسما الزمان والمكان

هذان اسمان مشتقان صيغا للدلالة على زمان ومكان وقوع الحدث، وهما

---

(١) برجشتراسر - التطور النحوى ٦٧ .

من الصفات الصرفية غير العاملة، ويصاغان من الثلاثى على وزن «مَفْعَل» من المضارع المفتوح العين أو المضمومه، وعلى وزن «مَفْعِل» من المضارع المكسور العين. ومن غير الثلاثى على وزن مضارعه، مع إبدال ياء المضارعة ميماً مضمومة وفتح ما قبل الآخر .

ويلاحظ أن الميم مورفيم زيد فى الثلاثى مع الفتح، وفى غير الثلاثى مع الضم، كما يلاحظ أن الحركة مورفيم ذو عنصر صوتى فعال فى التمييز بين بنية الفعل الثلاثى المفتوح العين أو المضمومها والفعل الثلاثى المكسور العين، ثم بين الثلاثى وغير الثلاثى. ومما يلاحظ أيضاً أن ما طرأ من زيادة ليس وسيلة للتمييز فى دلالة الصيغ الصرفية، إذا تأتى صيغة مَفْعَل ومَفْعِل للدلالة على المصدر الميمى واسمى الزمان والمكان، مما يعنى أن أى صيغة من هذه الصيغ لا تشير إلى دلالة صرفية بعينها، بل إنها تحتمل واحدة مما ذكرنا، ولابد من اعتماد السياق النحوى لتحديد الدلالة المقصودة .

- اسم الآلة

ونأتى إلى آخر المشتقات، وهو اسم الآلة، ويدل على ما يستعان به فى إتمام عمل أو إصلاح ما فسد، وله أوزانه القياسية التى تتمثل فى : مِفْعَال، مِفْعَل، مِفْعَلة، وأوزانه التى أضافها مجمع اللغة العربية، تتمثل فى : فعَّالة، فِعَال، فاعلة، فاعول، بالإضافة إلى أوزان أخرى، مثل مُفْعُل، ومُفْعُلة، ولا ننسى أسماء الآلات غير القياسية، مثل : شوكة، فأس، سكين .

ولعل أولى الملاحظات التى تبدو لنا تتمثل فى دلالة هذه الصيغ على أشياء مادية، وتلك ملاحظة أشار إليها برجشتراسر فى قوله : «ومن أسماء الأشياء المادية ماهو مشتق من الأفعال اشتقاقاً بيناً لاشك فيه، على أوزان معروفة ظاهرة، مثال ذلك : أسماء الآلة والمكان نحو : مفتاح ومسكن، فإنها وإن

كانت حديثة فهى سامية الأصل أيضاً، فنجد المفتاح مثلاً بالعبرية mapteyah وفى الأكدية : nipu أصلها miptāhu فنرى من ذلك أن وزن أسماء الآلة كان موجوداً فى اللغة السامية الأم، غير أنه لم يكن ثابتاً بعد، فحركة الميم فى بعض اللغات السامية كسرة، وفى بعضها فتحة. والمسكن يقابله فى الأكدية maškānu وفى العبرية miškān وفى الآرامية maškna . ووزن مفعال فى مفتاح أصله فعال ألحقت بها الميم وفعال أقدم وزن لأسماء الآلة» [1] .

وأما ثانى هذه الملاحظات فتبدو فى اختلاف مواضع الزيادات التى طرأت على أبنية المشتقات، فبعضها جاء سابقة، مثل : الميم، وبعضها جاء حشواً مثل الألف فى مفعال، وتضعيف العين وزيادة الألف فى فعالة، وزيادة الألف فقط فى فاعلة، وفاعول، وبعضها جاء ملحقاً بآخر الكلمة، مثل : التاء المربوطة، فى : مفعلة، وفعّالة، وفاعلة .

وآخر هذه الملاحظات احتمال بعض الصيغ لأكثر من دلالة، مثل : مفعال التى للمبالغة، وفاعلة مؤنث فاعل. وهنا يحسن بنا أن نشير إلى أن الوزن الواحد يحتمل أكثر من معنى، وذكر الأبنية يزيل اللبس، ويحدد المعنى المقصود.

٢ - الجنس أو النوع (التذكير والتأنيث)

تعد قضية النوع أو الجنس فى اللغة من القضايا التى تثير كثيراً من الجدل، إذ التطابق بين الجنس البيولوجى والجنس اللغوى لا يقع دائماً، كما أن الاضطراب يسود كثيراً من الأمور التى ترتبط بعنصر التذكير والتأنيث للبنية اللغوية، ولذا فالمورفيم الدال على التأنيث فى اللغة يشير إلى عدد من النقاط التى نبرزها فيما يلى :

- رغبة اللغة فى التمييز بين النوعين، فألحقت بالاسم المؤنث علامات معينة وأعفت الاسم المذكر منها. هذه العلامات التى أضيفت إلى آخر الاسم

---

(١) برجشتراسر - التطور النحوى ٦٤ .

ليتضح من المذكر، وأضيفت إلى آخر الفعل دلالة على تأنيث الفاعل تعكس قضية لا تنكر، هى أن العلاقة بين مفهوم الجنس فى الواقع وعلم الصرف ليست مطردة، فقد يتفق المفهوم الصرفى مع المفهوم النوعى، وقد لا يتفق؛ إذ ربما يكون مؤنثاً فى الواقع ويخلو من علامات التأنيث، وربما يكون مذكراً وتلحقه هذه العلامات، مثل : سعاد، وحمزة . . . الخ .

- التباين بين وجهتى النظر الصرفية والمنطقية يكشف عن الغموض والاضطراب الذى يقع بينهما، فتارة تذكر المؤنث، مثل قوله تعالى : «فمن جاءه موعظة من ربه، وقولهم : ذهبت بعض أصابعه»[1] ، وتارة تتأرجح بين حدى التذكير والتأنيث، وتستعمل مؤنثة أو مذكرة، مثل : حال، طريق، روح، بالإضافة إلى الصفات التى تستعمل للمذكر والمؤنث على السواء، مثل : فعول، فعيل، مفعال، مفعل مع إيثار التذكير على التأنيث. كما نضيف إلى ذلك ما يحدث فى قضية العدد من تذكيره مع المؤنث، وتأنيثه مع المذكر .

- كما أن أكثر الأسماء والضمائر المذكرة مع بعضها، وكل الأسماء والضمائر المؤنثة مع بعضها أيضاً، ويدل على أن الكل جنسان لا أكثر ولا أقل متفارقان متخالفان هو الاتباع. والاتباع هو القاعدة التى بمقتضاها لا يتبع الاسم المذكر إلا مذكر، صفة أو خبراً أو فعلاً، وكذلك فى المؤنث فكان من المنتظر أن يكون لكلا الجنسين أو لأحدهما علامة مميزة خاصة به، يشترك كل الأسماء المنسوبة إليه، وأن يكون لعد كل واحد من الأسماء بين أسماء الجنس الواحد دون الآخر سبب مفهوم ظاهر، والأمر فى الحقيقة على ضد ذلك من كلتا الجهتين[2] .

---

(١) ابن جنى - الخصائص ٢/ ٤١١-٤١٥ .

(٢) برجشتراسر - التطور النحوى ٧٣ .

- المورفيمات الدالة على التأنيث تختلف شكلاً، ولكنها من طبيعة صوتية واحدة، وتشمل : التاء، والألف المقصورة، والألف الممدودة، والياء، وهى زوائد لا تكون فى أول الاسم أو حشواً بل تكون ملحقة فى نهايته، ويستثنى من هذه العلامات التى تأتى فى أول الفعل المضارع مع مفرد المؤنث الغائب. وهذه المورفيمات الدالة على التأنيث لازمة للاسم المؤنث، ولازمة للفعل دلالة على تأنيث الفاعل، فالفعل لا يؤنث، ولكون التأنيث معنى لازماً لايصح انتقاله عنه إلى غيره، لزمته العلامة ولا تفصل عنه، مثل : مسلمة، ليلى، صراء، عذراء .

وتعد تاء التأنيث دون غيرها من العلامات كثيرة الاضطراب والتخالف فى معناها، فنراها لا تدل على الأنوثة فى الأصل البتة، وذلك أنا نجد اللغة لم تستخدم لتمييز الذكروالأنثى فى الزمان القديم، بل فرقت بينهما بمادة الاسم نفسها، مثل : الرجل والمرأة والحمار والأتان وغير ذلك . . والتاء مع الفتحة قبلها سامية الأصل، ويدل على قدمها وجودها فى ماضى الفعل، نحو : فعلَتْ . . . والألف الممدودة لا يقابلها فى اللغات السامية إلا القليل، والألف المقصورة توجد فى العبرية والارامية[1] .

وقد أدى الإقرار بوجود علامة للتأنيث إلى التقيد بأحكام خاصة مثل : تأنيث الأسماء والصفات بالتاء المربوطة فى حالة المفرد، نحو : فاطمة، حمزة، طلحة، قائمة مجتهدة، عظيمة، طويلة، قصيرة، وظريفة، وبالألف الممدودة، مثل : صحراء، عذراء، والمقصورة مثل : سلوى، ليلى، مستشفى، وبالألف والتاء المبسوطة فى حالة الجمع، مثل : مسلمات، مجتهدات، قائمات، جالسات، وتأنيث وزن فَعْلان على فَعْلى، مثل : سكران وسكرى، غضبان وغضبى، أو فعلان على فعلانة، مثل : سيفان وسيفانة، وأفعل التفضيل على

(١) راجع برجشتراسر - التطور النحوى ٧٤، ٧٥ مع تصرف يسير .

فُعْلى مثـل : صُغْرى، كُبْرى، عُظْمى، والصفـة المشبهـة «أفْعل» على فـعلاء، مثل : حمراء، صفراء، كلاء، أو على أفْعَلَة مثل أرملة .

وهكذا نجـد أن مورفيم الـتأنيث لـه صوره المختلـفة (ة، ت، ى، ر، اء، ات) فهناك الصوت الذى يميز المؤنث من المذكر، وهو الكسر، مثل قولنا : إنكِ فعلت شيئـاً عظيماً، فالكسرة على آخـر الكاف والتاء تميز للمؤنـث من الفتحة التى للمذكر، مثل قولنا : إنكَ فعلتَ شيئاً عظيماً. وأخيراً نخلص من هذا كله إلى أن اختلاف المـذكر عن المؤنث هو اختلاف بـين كلمة غير مميزة ولـيست فى حاجة إلى مميز، وكلمة مميزة بعلامـة خاصة، فالمذكر لا يحمل علامة أو إشارة، بينما المؤنث يحمل علامة حسية تدل عليه .

٣ - العدد (المفرد والمثنى والجمع)

ومن المورفيمات الـفاعلة أيضاً مورفيم العدد. والعـدد مصدر عددت الشئ أعده إذا أحـصيتـه، والعدد الاسـم ، وقصد به فـى العربـية الإفراد والـتثنـية والجمع. ولكل لغـة وسائلها الخاصة التى تلجـأ إليها للتعبير عـن مفهوم العدد الصرفى، ولذا فـالاختلاف بين اللغات قائم فـى اتباع الأنظمة المختلـفة للعدد، والعرف المتبع لدى كل جماعة .

فالعدد لـيس إلا وسيلة نحـوية وصرفية من وسائـل اللغة لتحـديد الكم، ويصعب عقـد الصلة بين مفهوم العـدد الصرفى والأعداد الحسابيـة وقد اتبعت العربية النظام الـثلاثى، وحددته بالمفرد والمثنى والجمع، وهذا الـتقسيم الثلاثى فكرة لـغوية غير مـعللة بعـيدة عن المنـطق، إذ جعل فئـة صرفية لكـل ما كان واحدا، وفئـة أخرى للاثنين، وفـئة ثالثة لما جـاوز الاثنين، وهى فئـة الجمع، وأخذت مورفيمات معيـنة تلحق فئة المثنى وفئة الجمع تميز بينهما[1] ، وخليت فئة المفرد من هذه العلامات، فليس فى الإفراد مشكلة .

---

(١) راجع مفصلا: د تمام سان - مناهج البحث ٢٥٢-٢٥٤، وريمون طحان- الألسنية العربية ١/ ١٣٢-١٣٣

وتبقى أمامنا حالتا التثنية والجمع، وللعربية تعبيرات شكلية خاصة للمفرد والمثنى والجمع، فى الاسم والضمير والفعل، ويقسم الجمع إلى أنواع مختلفة، وسوف نتناول فئتى التثنية والجمع بشئ من التفصيل، إذ لا يلحق المفرد شئ .

ا - التثنية

التثنية كثيرة الاستعمال فى اللغة، اتسع فيها حيزها الأصلى فهى فى اللغة السامية الأم، وكذلك فى أكثر اللغات التى توجد فيها كالهندية والإيرانية، وكانت تشير إلى شئ مع شئ آخر شبيه به رافقه. ثم فقدت هذه الظاهرة فى معظم اللغات، إذ الحاجة إلى تحقيق هذه الظاهرة لم تعد ملحة، واللغة العربية من اللغات القليلة التى احتفظت بالمثنى فى تطريزها النحوى(١) .

والتثنية والجمع شريكان من جهة الجمع والضم، وإنما يفترقان فى المقدار والكمية. والغرض من التثنية الإيجاز والاختصار، وهى ضم اسم إلى اسم آخر مثله، وحتى يدل الاسم المراد تثنيته زادوا عليه زيادة تدل على التثنية، فصارا فى اللفظ اسماً واحداً، وإن كانا فى الحكم والتقدير اسمين، وكان ذلك أوجز من أن يذكر الاسمين ويعطفوا أحدهما على الآخر. وكان الزائد الأول هو الألف فى حالة الرفع، والياء فى حالتى النصب والجر. وأما الزائد الثانى هو النون وهى عوض من الحركة والتنوين الذى كان فى المفرد. وقد اختيرت هذه الأحرف دون غيرها لخفتها(٢) .

وحتى يفهم الفرق بين المفرد والمثنى يجب الرجوع إلى الوصف الذى يوضح أن معنى التثنية يتحقق بإضافة مورفيمين إلى آخر الاسم المفرد المؤنث

---

(١) راجع برجشتراسر - التطور النحوى ٧٣ ، وريمون طحان - الألسنية ١/ ١٣٢ .

(٢) انظر ابن يعيش - شرح المفصل ٤/ ١٣٧ - ١٥٧، ٥/ ٢، ود. تمام حسان - مناهج البحث ٢٥٣ .

والمذكر على السواء[١]، وهذان المورفيمان، هما : الألف + النون، والياء + النون مع فتح ما قبل الياء، كما فى قولنا : مُعلمَـ + ا + ن، ومُعلمَـ + يْـ + ن. فكل كلمة تتكون من ثلاثة مورفيمات، مورفيم حر، هو : معلم، واثنان مقيدان، لا يأتيان إلا متصلين، ولاحظ أن كلاً من الألف والياء، وإن كانتا علامتين للرفع والنصب والجر، فهما يدلان على معنى آخر هو العدد أو الكمية أو المقدار، وبهما يتحقق معنى التثنية .

وأما النون فهى مورفيم له ثلاثة أحوال فى التثنية وجمع المذكر السالم[٢] : فقد تكون مورفيماً عوضاً من الحركة والتنوين الموجودين فى المفرد فى كل موضع لا يكون الاسم المتمكن فيه مضافاً ولا معرفاً بالألف واللام، مثل : رجلان، فرسان، غلامان. وقد تكون مورفيماً عوضاً من الحركة وحدها مع لام المعرفة، مثل الغلامان، الرجلان، ومع النداء، مثل : يارجلان، ياغلامان، وقد تكون مورفيماً عوضاً من التنوين وحده مع الإضافة، مثل : جاء غلاما رجل، مررت بصاحبى البيت .

ولا يعد مورفيم التثنية وسيلة تمييز المذكر من المؤنث أو العاقل من غير العاقل، فالتثنية يستوى فيها ما يعقل وما لا يعقل ... والمذكر والمؤنث فيها سواء. وفى الجمع مختلف ... ولذا فهى أوسع من الجمع، ولاتساعها عن الجمع جعلوا الألف الخفيفة فى التثنية الكثيرة، وجعلوا الواو الثقيلة فى الجمع القليل، ليقل فى كلامهم ما يستثقلون، ويكثر ما يستخفون[٣] .

---

(١) لا يصلح مورفيم التثنية لأن يلحق كل اسم على الإطلاق، إذ ليس كل اسم قابلاً للتثنية، وإنما يلحق هذا المورفيم ما توافرت فيه الشروط الآتية : الإفراد، والإعراب، وعدم التركيب والتنكير، والاتفاق فى لفظ الاسمين، وألا يستغنى عن تثنيته وجمعه (شرح المفصل ١٤٣/٤) .

(٢) راجع بالتفصيل : ابن جنى - علل التثنية ٨٠-٨٤ .

(٣) ابن السراج - الأصول ٤٩/١، ابن جنى - علل التثنية ٨٠-٨٢ .

ب - الجمع

لا يعرف المورفيم الدال على الجمع فى العربية نوعاً من التوحّد، إذ هناك أنواع متعددة للجموع، ومنها ما لزم صفة الثبات، مثل : جمع المذكر السالم، وجمع المؤنث السالم، أو الجمع الصحيح بنوعيه، وفى هذين النوعين يلاحظ أن المورفيم الدال على الجمع فيهما يلحق بالاسم المراد جمعه بشروط معينة وضعها النحاة العرب[1] .

ويتخذ الجمع فى العربية صوراً متعددة بصيغ مختلفة وأوزان متنوعة، ومن ثم يختلف المورفيم الدال على الجمع فى كل نوع، بل ويختلف فى إطار النوع الواحد، فهناك جمع التكسير المتنوع بين القلة والكثرة، ومنتهى الجموع، وجمع الجمع، ويكون الجمع على أسماء تكون مفردة فى شكلها، وتحمل معنى الجمع، مثل أسماء الجموع، وأسماء الجنس، وأسماء مجموعة لا واحد من لفظها وفى ذلك دليل على أن المورفيم الدال على الجمع فى العربية ليس موحداً، ولا يعرف شكلاً ثابتاً.

فإذا بدأنا بالجمع الصحيح للمذكر وجدنا أن مفرده يسلم من التغيير، وتتحقق فيه سمة الجمع بإضافة مورفيمى الواو والنون فى حالة الرفع، وياء ونون فى حالة النصب والجر. وكل من الواو والياء حرف إعراب ويدل على الكمية والمقدار أى يدل على الجمع. وأما النون فهى تأتى لمعان مختلفة، إنها المعانى نفسها التى أشرنا إليها فى الحديث عن نون التثنية[2] .

لقد أشبه جمع المذكر السالم المثنى فى حالتين من حالات الإعراب، حين لحق المفرد مورفيما الياء والنون، وهو تشابه ليس تامّاً، إذ أدى الاختلاف الصوتى بفتح ما قبل الياء فى التثنية، وكسر ما قبلها فى الجمع، وحركة نون

(١) راجع هذه الشروط على سبيل المثال فى شرح المفصل ٥/ ٣ .

(٢) راجع : ابن جنى - علل التثنية ٨٠-٨٤ .

التثنية كسرة، وحركة نون الجمع الذى على حد التثنية فتحة وكلتاهما متحركة بالتقاء الساكنين، هذا العنصر الصوتى يعد مورفيماً مميزاً دقيقاً لعدد كل من المثنى والجمع .

واختلف عنه فى حالة الرفع، إذ لحق مورفيما الألف والنون المثنى، ومورفيما الواو والنون جمع المذكر، والتعليلات شتى لجعل الألف للمثنى والواو للجمع، منها أنه ليس كل ما يجوز تثنيته يجوز جمعه بالواو والنون، مثل : مسجد، مسجدان، مساجد، حجر، حجران، أحجار، كما أن التثنية تلحق المؤنث، وما يعقل، وما لا يعقل «فالتثنية إذن أصح من الجمع، لأنها لا تخطئ لفظ الواحد أبداً، فلما شاع فيمن عقل، وفيما لا يعقل، وفى المذكر، والمؤنث، وكان الجمع الصحيح إنما هو لضرب واحد من الأسماء، كانت التثنية أوسع من الجمع، فجعلوا الألف الخفيفة فى التثنية الكثيرة، وجعلوا الواو الثقيلة فى الجمع القليل - لعله يقصد الذى يقتصر على نوع معين من الأسماء بشروط معينة - ليقل فى كلامهم ما يستثقلون، ويكثرها ما يستخفون. واعتمد البعض فى تعليله لجعل الألف للمثنى، والواو للجمع على العدد والكم، فذهب إلى أنه لما كان الجمع أقوى من التثنية، لأنه يقع على أعداد مختلفة، وكان ذلك أعم تصرفاً من التثنية التى تقع لضرب واحد من العدد، لا تجاوزه وهو اثنان، جعلوا الواو التى هى أقوى من الألف فى الجمع، الذى هو أقوى من التثنية»(١) .

فإذا أردنا استخلاص المورفيمات فى المثنى وجمع المذكر كانت كما يلى :

- نجح المجتهدَ + ا + نِ (الألف مع كسر النون)
- نجح المجتهد + و + نَ (الواو مع فتح النون)
- رأيت المجتهدَ + يـْ + نِ (فتح الدال مع كسر النون)

---

(١) ابن جنى - علل التثنية ٧١-٧٢ .

- رأيت المجتهدِ + يـ + نَ (كسر الدال مع فتح النون)
- مررت بالمجتهدَ + يْـ + نِ (فتح الدال مع كسر النون)
- مررت بالمجتهدِ + يـ + نَ (كسر الدال مع فتح النون)

على هذا الحال كان العنصر الصوتى مورفيماً أدى إلى تميز المثنى من الجمع، بينما الألف والواو والياء مورفيما إعراب .

- أما جمع المؤنث السالم فهو وإن كان يشبه جمع المذكر فى سلامة مفرده من التغيير فهو يختلف عنه، لكونه للعاقل وغير العاقل، ولكونه موحَّدًا فى المورفيم الدال على الجمع، وثباته فى الرفع والنصب والجر، إذ يزاد على المفرد مورفيمات الألف والتاء، و«هى علامة سامية الأصل»[1] ، وقد «اختلفوا فى هذه الألف والتاء، فقيل التاء للجمع والتأنيث، ودخلت الألف فارقة بين الجمع والواحد، وقيل التاء للتأنيث والألف للجمع، والذى عليه الأكثر أن الألف والتاء للجمع والتأنيث من غير تفصيل. والذى يدل عل ذلك أمران : أحدهما : إسقاط التاء الأولى التى كانت فى الواحد فى قولك مسلمات، فلولا دلالة الثانية على التأنيث كدلالتها على الجمع لم تسقط التاء الأولى، لئلا يجمع فى كلمة واحدة بين علامتى تأنيث. والأمر الثانى : أنك لو أسقطت أحدهما لم يفهم من الحرف الثانى ما يفهم من مجموعهما من الجمع والتأنيث»[2] .

وحذف تاء التأنيث التى فى المفرد عند الجمع دليل على ميل العربية إلى التيسير والخفة، إذ لو أضيف مورفيما الجمع والتأنيث (ات) إلى المفرد على غرار جمع المذكر السالم لصارت الصيغة الجديدة، هكذا : مسلمة + ات ← مسلمتات، وحينئذ يصبح فى الصيغة الجديدة علامتان للتأنيث، ولا يؤتى بعلامتى تأنيث فى كلمة واحدة، فحذفت ما كانت فى المفرد، وهى التاء

(١) برجشتراسر - التطور النحوى ٧٢ .

(٢) ابن يعيش - شرح المفصل ٦/٥ .

المربوطة، اكتفاء بالتاء المبسوطة التى أضيفت متأخرة بعد الألف .

وستكون الصيغة بالغة الصعوبة، إذا أضيف مورفيما جمع المذكر إلى الصيغة المفردة المؤنثة، إذ ستصبح : مسلمة + ون ← مسلمتون، مسلمة + ين ← مسلمتين، ولكن اللغة لجأت إلى مد صوتى من نوع آخر، وصاغت جمع المؤنث السالم بزيادة الألف والتاء وهما زيادتان، إذ كان جمع المؤنث فرعاً على جمع المذكر الذى لحقت به زيادتان أيضاً .

وقد أختيرت الألف دون الواو والياء لخفتها، وثقل الجمع مع التأنيث كما رأينا فى الأمثلة السابقة، كما اختيرت التاء لدلالتها على الجمع والتأنيث مع الألف من ناحية، وإبدالها من الواو فى كلمات، مثل : تكأة وتخمة من ناحية ثانية. وهذه التاء حرف إعراب فى هذا الجمع، لأنها حرف صيغت الكلمة عليه لمعنى الجمع، فكانت كالواو والياء فى جمع المذكر السالم، فالتاء والضمة عليها بمنزلة الواو والتاء، والكسرة بمنزلة الياء .

ومع تنوع هذه الفئات الخاصة بالعدد واختلافها من حيث الكم والنوع فهناك عدد من الملاحظات التى يمكن رصدها بعد عرض الجدول الآتى :

الفئة العددية / الحالات الإعرابية	المثنى	جمع المذكر	جمع المؤنث
الزيادة فى الرفع	ا + ن (انِ)	و + ن (ونَ)	ا + ت (انِ)
الزيادة فى الصب	يـ + ن (ينِ)	يـ + ن (ينَ)	يـ + ت(اتِ)
الزيادة فى الجر	يـ + ن (ينِ)	يـ + ن (يَ)	يـ + ت (اتِ)

الجدول السابق يكشف لمتأمله ما يأتى :

- كل فئة عددية لحقتها زيادتان (مورفيمان)، وهاتان الزيادتان قد تتشابه فيهما

فئة مع أخرى كتابة وشكلاً، ويختلفان صوتاً، كما فى المثنى وجمع المذكر السالم فى حالتى النصب والجر، وقد يتشابهان فى الزيادة الأخيرة كتابة ويختلفان صوتاً أيضاً كما فى الفئتين السابقتين فى حالة الرفع، فنون المثنى مكسورة، ونون الجمع مفتوحة، مع ملاحظة أنهما يتفقان تماماً فى كون الزيادة الأولى حرف إعراب فرعى، والزيادة الثانية تأتى عوضاً عن حركة التنوين فى المفرد .

- تختلف فئة جمع المؤنث السالم عن الفئتين الأخريين فى الزيادتين اللتين لحقتا بالاسم المفرد (ات)، وقد لوحظ أن المورفيمين معاً يؤديان وظيفة الجمع والتأنيث، وإن كانت التاء حرف إعراب تجرى عليه حركات الإعراب.
- تتفق الفئات الثلاث فى سلامة المفرد من التغيير، إذ لا يطرأ أى تغيير عند إضافة الزيادة على العدد .
- تتفاوت فئة المثنى عن فئتى الجمع بنوعيها فى سعتها ووقوعها للمذكر والمؤنث، والعاقل وغير العاقل بصورة واحدة، وهى تتفق مع فئة المؤنث فى وقوعها للعاقل وغير العاقل على السواء .
- تتفق هذه الفئات الثلاث فى اضوائها تحت ما يسمى بجمع القلة لكون الفئتين الثانية والثالثة (جمع المذكر والمؤنث) على منهاج التثنية، والتثنية قليل .
- فى كل من المثنى وجمع المذكر حُمل المنصوب على مجروره، وفى جمع المؤنث حمل المنصوب على مجروره أيضاً، وكان للرفع علامة واحدة، وللجر والنصب علامة واحدة .
- يتفق كل من المثنى وجمع المذكر فى حذف نونهما عند الإضافة، مع ثبات نهاية جمع المؤنث، وعدم حذفها عند الإضافة .

- تتفق المورفيمات التى لحقت بكل فئة فى دلالتها على الإيجاز والاختصار، فالألف تـدل على عدد الاثنين، وشـموليتهـا للمعدود، والواو تـدل على العدد والنوع، أى الجمع والتذكير، والألـف والتاء تدل على العدد والنوع أيضاً، أى الجمع والتأنيث .
- العنصر الصوتى يعد مورفيماً مميزاً بين فئة المثنى، وفئة جمع المذكر السالم، فقبل الياء فى المثنى مفتوح، وقبل الياء فى الجمع مكسور .

أما جمـع التكسـير فهـو جمع عام يشمل من يعقـل وما لا يعقل، والمذكر والمؤنث وقيل له تكسيرا أو مكسر لتغير بنيته عما كان عليها مفرده، وهذا التغيير يكـون تارة بالـزيادة، مثـل : رجل : رجال، وفـرس : أفراس، وتارة يـكون بالنقص، مثـل : إزار : أزر مع تغيير حركة الهمـزة والزاى، وخمار : خُمر، وتارة يكو تغـيير بنية الواحد مـن غير زيادة ولا نقص فى الحروف، وهـو تغيير راجع إلى الحركات، مثل : أُسَدٌ : أُسْدٌ، وَثَنٌ : وُثْنٌ .

وهذا الضرب من الجمـع يعرب بالحركات بخلاف جمع الـصحة، وإنما كان إعرابـه بالحركات لأنـه أشبه المـفرد، لأن الصيـغة تستـأنف له، كـما تستـأنف للمفرد، وليس كـذلك جمع السلامة، فإن الصيغة فيه هـى صيغة المفرد، وإنما زيد عليه لتدل على الجمع[1] .

ولا يوجد جمع التكسير فى اللغات السامية الشمالية إلا بعض الأصول له، و«أصل جمع التكسير أسماء الجملة (يقصد أسماء الجموع) . . . وهى الأسماء التـى تدل علـى جنس مركـب من الأفراد، وهـى كثيـرة فى اللغـات السامـية وغيرها، مـنها : القوم، والحى، والأهل، والـركب والقطيع والغـنم والضأن والطيـر إلى غير ذلك، ومعـناها بين معـنى الجمع، ومعـنى المفرد، فهى تـشبه الجمع فى أنـه يعبر بها عن غيـر واحد من الأفراد، وتشبه المفـرد فى أن القوم

(١) ابن يعيش - شرح المفصل ٦/٥ .

مثلاً وإن احتوى على عدد كثير من الناس، فهو فرد عن غيره، ولذلك يمكن جمعه على أقوام»[1] .

وجمع التكسير كثير الأوزان والأبنية، ذكر النحاة أنها سبعة وعشرون وزناً، منها أربعة موضوعة للعدد القليل (جمع القلة) وهو من الثلاثة إلى العشرة، وثلاثة وعشرون للعدد الكثير[2] . ودلالتها على الجمع لا تتحقق بإضافة مورفيمات أو لواحق فى آخر المفرد كما فى جمع المذكر والمؤنث، ولكنها تتحقق بالاعتماد على تبادل الحركات أو العناصر الصائتة فى البنية الداخلية مع ثبات صوامتها، مما يدعونا إلى القول بأن العناصر الصائتة وترتيبها هى المورفيمات التى تؤدى معنى الجمع، مما يوحى بأن العناصر الصوتية قد تؤدى دلالة عددية[3] .

- المورفيم الدال على التعريف والتنكير

النكرة هى الأصل، والتعريف حادث، لأن الاسم نكرة فى أول أمره مبهم فى جنسه، ثم يدخل عليه ما يفرد بالتعريف حتى يكون اللفظ لواحد دون سائر جنسه . . . فالنكرة سابقة لأنها اسم الجنس الذى لكل واحد منه . . . والتعريف ثان أتى به للحاجة إلى الحديث عن كل واحد من أشخاص ذلك الجنس[4] .

وقد حاول علماء العربية أن يميزوا المعرفة من النكرة، فعددوا للمعرفة أنواعاً متعددة، مثل : العلم، والضمير، والاسم الموصول، وأسماء الإشارة،

---

(١) برجشتراسر - التطور النحوى ٦٨ .

(٢) ابن هشام - أوضح المسالك ٤/٣٠٧-٣٢٥ .

(٣) يرجى مراجعة الأبنية فى المصدر السابق، وللمزيد من التفاصيل يرجى مراجعة د. محمود السعران - علم اللغة ٢٤١، ود. عبد الصبور شاهين - المنهج الصوتى ١٣٣-١٤٢ .

(٤) ابن يعيش - شرح المفصل ٩/٢٩ .

والمضاف إلى معرفة، والمعرف بالألف واللام، والمنادى. ويلاحظ أن هذه الأنواع منها ما يعتمد في معرفته على اللفظ ذاته، مثل : العلم، واسم الإشارة، ومنها ما يعتمد في معرفته على اللواحق التى قد تكون سابقة، مثل (ال) أو لاحقة مثل تاء الضمير .

لعل (ال) أبرز السوابق التى تلحق الأسماء المعربة، بل تكاد تكون السابقة الوحيدة التى لا يشركها غيرها في دخولها على الاسم للدلالة على التعريف، ولذا تعد مورفيماً خاصاً بالتعريف، ووحدة يستعان بها على التفرقة بين النكرة والمعرفة، فالنحاة يعدون الاسم الخالى من (ال) مالم يكن علماً نكرة، وما يعرف بها يكون مخصوصاً دون غيره .

ويذكر النحاة أنواعاً مختلفة لهذا المورفيم، معتمدين عل السياق حينًا، وعلى التى تأتى سابقة فيها حينًا آخر، لقد ذكروا أنها تكون عهدية ذهنية، وذلك إذا جاءت سابقة على اسم كان للمتكلم والمستمع عهد به، وعهدية حضورية، وعهدية ذكرية، وهى التى سبق لمصحوبها ذكر من قبل، وجنسية تفيد استغراق الجنس، وهى التى يصلح وضع لفظ «كل» مكانها، وجنسية لبيان الحقيقة .

وتكون (ال) زائدة لازمة كالموجودة فى الأسماء الموصولة، مثل : الذى، والتى ونحوهما، والموجودة فى اللات والعزى، والسموأل، وزائدة غير لازمة كالأعلام المنقولة عن أصل، مثل : النعمان والحارث والفضل ونحو ذلك .

كما تكون موصولية كالموجودة فى اسم الفاعل والمفعول من المشتقات بشرط ألا يراد بها العهد أو الجنس، مثل : أكرمت المكرم ضيفه .

وهكذا نجد أن السابقة (ال) مورفيم خاص بتعريف الأسماء، ولكن يلاحظ أن هناك نمطاً من الكلمات لا يقبل (ال) ويعد من المعارف، مثل (ذو) الموصولية ومن وما، وفى هذا ما يوحى بأن هذا المورفيم خاص بالأسماء غير المبهمة، إذ لا يلحق الأسماء المبهمة مثل التى سبق ذكرها .

ويتصل بقضية التعريف والتنكير مورفيم التنوين[1] ، وهو نون ساكنة تلحق آخر الأسماء المتمكنة لفظاً لاخطاً، فإذا كانت (ال) مورفيم يزاد في صدر الأسماء فإن التنوين يزاد في عجزها، وله دلالات مختلفة أتى لها كما تأتي (ال)، فقد يكون للتمكن أو العوض، أو المقابلة، أو للتنكير، والدلالة الأخيرة تثير انتباه الدارس لهذا المورفيم، إذ في ذلك ما يشير إلى أدائه لدلالة التعريف والتنكير، فالتنوين لا يجمع مع (ال) في آن واحد، فوجود أحدهما يعني عدم وجود الآخر .

وللغة تفسير يدعو إلى التأمل في تنوين التنكير الذى يلحق الأعلام الممنوعة من الصرف فينكرها، فإذا قيل : لقيت أحمدًا بدون تنوين فهذا يدل على معرفته والعلم به، وإذا قيل : لقيت أحمد فقد دل على أنه نكرة، وأنه دل على شخص غير معروف يسمى بهذا الاسم، وكذا إذا لحق بالأعلام المبنية، مثل : سيبويه، فإذا لم ينون علم أنه العالم النحوى المعروف، وإذا نون دلَّ على شخص آخر غير المعروف .

ويبلغ التفسير اللغوى مداه لهذا النوع من التنكير حين يُنَصُّ على أنه لا يكون في معرفة البتة، ولا يكون إلا تابعاً لحركات البناء دون حركات الإعراب، وذلك، نحو : صه ومه وإيه، فالنحاة يرون أنه إذا قلت صه منوناً فكأنك قلت سكوتاً، وإذا قلت صه بغير تنوين فكأنك قلت السكوت، وإذا قلت : مه بالتنوين، فمعناه كفا، وإذا قلت : مه، فكأنك قلت : الكف، وكذلك إذا قلت إيهٍ معناه : استزادة، وإذا قلت إيه، فكأنك قلت : الاستزادة، فالتنوين علم التنكير، وتركه علم التعريف[2] .

وهكذا نرى أن التنوين عند النحاة إذا كان علامة على تمكين الاسم في

(١) راجع : ابن يعيش - شرح المفصل ٩/ ٢٩-٣٧ .

(٢) المصدر السابق ٩/ ٢٩-٣٠ .

المعرفة حيناً، فقد اعتبروا وجوده دلالة على التنكير، وتركه دلالة على التعريف حيناً آخر، وإنْ كنت أظن أن هذا النوع من التنوين حين يظهر فى فئة من الأسماء لم يكن مقترناً بها من قبل، فليس ذلك علامة على التنكير، بل أراه علامة على تأكيد اسمية الكلمة التى اقترن بها، إذ لا يقترن بالأفعال والحروف، وكونه دل على نكرة بوجوده ومعرفة فى عدم وجوده، فذلك يرجع إلى الدلالة العرفية لدى القائل والمستمع .

وخلاصة القول أن (ال) والتنوين مورفيمان خاصان بالاسم، أولهما يلحق به فى أوله، ولا يشركه فى ذلك مورفيم آخر، وثانيهما لحق به فى آخره، ويشترك معه مورفيمات أخرى تأتى فى عجز الأسماء، وكلاهما وحدة صرفية، تميز الاسم المعرفة من النكرة، وإن كان مورفيم التنوين قد زاده النحاة دلالة على التنكير أيضاً .

- المورفيم الدال على الشخص

تبنت اللغة العربية نظاماً مورفيمًا خاصاً بالشخص، وهو ما يعرف بالضمائر، وجعلته يتوزع توزيعاً ثلاثياً تارة، وتوزيعاً ثنائياً تارة أخرى. فهو يكون ثنائياً من حيث النوع، إذ ينحصر بين المذكر والمؤنث، ويكون ثلاثياً من حيث صاحب الضمير، إذ يكون للمتكلم والمخاطب والغائب، كما يكون ثلاثياً من حيث موقعه فى الإعراب، إذ يكون للرفع أو النصب أو الجر، أو لحالتين دون الثالثة، أو للحالات الثلاث معاً .

ويتنوع المورفيم الخاص بالشخص (الضمير) بين البروز والاستتار، والاتصال والانفصال، وقد استعانت اللغة لتمييز كل مورفيم عن الآخر فى ضوء التوزيع السالف ذكره بمجموعة من العلامات والحروف المختلفة لتؤدى دلالتها بها، وسوف يبدى التحليل والوصف لهذه المورفيمات شيئاً من ذلك .

١ - المورفيم الدال على المتكلم

ينحصر المورفيم الدال على المتكلم من حيث العدد فى دلالته على المفرد والجمع، إذ لا يوجد ضمير للمتكلم خاص بالمثنى، وقد استعاضت اللغة بضمير المتكلم لأكثر من شخص واحد، ليشمل المثنى والجمع، وحينئذ يعتمد على السياق فى تميز دلالة المثنى من دلالة الجمع، وهو أمر يشعر بتخلى اللغة عن التوزيع الثلاثى، واكتفائها بما يدل على المفرد فقط، وبما يدل على المثنى والجمع معاً، ولذا لا يظهر للمثنى فى حدود ضمائر المتكلم قيمة خلافية، على حدود التقسيم الثلاثى المعتاد للعدد المفرد والمثنى والجمع. ولذا نرى أن اللغة قد اكتفت بقيمة خلافية واحدة بين المفرد والجمع فقط .

ولا يخفى على المتأمل فى الضمائر تنوعها بين المنفصل والمتصل، ويرى النحاة العرب أن «القياس فيها أن تكون كلها متصلة، لأنها أوجز لفظاً وأبلغ فى التعريف، وإنما أتى بالمنفصل لاختلاف مواقع الأسماء التى تضمر، فبعضها يكون مبتدأ، نحو : زيد قائم، فإذا كنيت عنه قلت : هو قائم، أو أنت قائم إن كان مخاطباً، لأن الابتداء ليس له لفظ، يتصل به الضمير، فلذلك وجب أن يكون ضميره منفصلاً»[١] .

ويعد الضمير المتصل مورفيماً مقيداً لكونه لا يستقل بنفسه، ولا يملك حرية التقديم على ما يتصل به، أو يمكن فصله عنه، بينما يعد الضمير المنفصل مورفيماً حراً مقيداً لكونه يجرى مجرى الأسماء الظاهرة فى استقلاله بنفسه وعدم افتقاره إلى ما يتصل به، وإن كان معناه لا يتم إلا فى إطار تركيبى معين.

وتتنوع هذه الضمائر بين المتكلم والمخاطب والغائب، وتختلف ألفاظها بسبب اختلاف محلها من الإعراب، كما تختلف صيغها، فكل واحد من المضمرات له ضميران متصل ومنفصل، ماعدا حال الجر، فإنه لا منفصل له، فلا يكون إلا متصلاً .

---

(١) برجشتراسر - التطور النحوى ٤٨ .

وإن عدنا إلى صيغ هـذه الضمائر لوجدنا أن التمييـز بين المذكر والمؤنث أو المفرد والمثـنى والجمع، ونحو ذلك يتـم من خلال مورفيمات قد تـكون حروفاً صامتة أو علامات، ويتضح ذلك مما يأتى :

ب - المخاطب المرفوع

حالة الضمير	جنس الضمير	العدد		
		المفرد	المثنى	الجمع
منفصل	مذكر	انْ + تَ	انْ+تُ+م+ا	انْ + تُ + م
	مؤنث	أ + تِ	انْ+تُ+م+ا	أ + تُ + نَّ
متصل	مذكر	أحسن + تَ	أحسن +تُ+م+ا	أحسن + تُ + م
	مؤنث	أحسن + تِ	أحسن +تُ+م+ا	أحسن + تُ + نَّ

لعل تحليل هذه الضمائر ووصفها فى الجدول السابق يوضح لنا ما يأتى :

- السابقة «أنْ» مورفيم مشترك بين المفرد والمثنى والجمع بنوعية مع انفصال الضمير، هـذه السابقة «يحتمـل أن تكون من أدوات الإشارة»[1] ، وهى تتلاشى ويزول وجودها مع اتصال الضمير .

- تحمل التاء مع الضمـير المنفصل والمتصل عنصراً صوتياً يـعمل كمورفيم له قيمة خـلافية تميز المذكر مـن المؤنث المفردين، وهـى (تَ عكس تِ). ثم تزول قيمة العنـصر الملازم للتاء، ويهمل تمييز الجنـس أو النوع فى المثنى، ويستخدم لـلاثنين معاً ضمير واحد، كـما لا يؤدى هذا العنصر قـيمته مع الجمع، إذ يتوحد فى النوعين أيضاً، ويقع الـتمييز بين الجنسين على عاتق عنصر آخر .

---

(١) برجشتراسر - التطور النحوى ٤٨ .

- أما زيادة الميم مع المثنى والجمع فى الاتصال والانفصال، فقد جاءت بصورة واحدة للدلالة على مجاوزة الواحد .

- الألف بعد الميم مورفيم دال على عدد التثنية، وتشمل المؤنث والمذكر، كما أن الواو المحذوفة بعد الميم مورفيم يدل على عدد الجمع المذكر دون المؤنث، «وقد تحذف الواو من الجمع لأمن اللبس، إذ الواحد لا ميم فيه، والتثنية يلزمها الميم والألف، فلا يلبس بواحد ولا تثنية، لأن الواحد لا ميم فيه، والتثنية يلزم فيها الألف، وإذا حذفت الواو سكنت الميم»[1] .

- النون فى جمع المؤنث مشددة، فهى نونان، لتكون بإزاء الميم والواو فى المذكر، ذلك أن ضمير المؤنث على حسب ضمير المذكر، فإن كانت علامة المذكر حرفاً واحداً، فعلامة المؤنث حرف واحد، وإن كانت علامة المذكر حرفين، كانت علامة المؤنث حرفين كذلك .

جـ - الغائب المرفوع

تمثل ضمائر الغائب النوع الثالث من الضمائر، ويعدها برجشتراسر نوعاً بنفسه بين الضمائر وبين أسماء الإشارة، «فهى تشارك الضمائر فى الانقسام إلى منفصلة ومتصلة، مرفوعة ومجرورة ومنصوبة، وتشارك أسماء الإشارة. أمثال ذلك : أنى إذا سئلت : أين زيد ؟ أمكننى أن أجيب هو فى البيت، بدل زيد فى البيت، فأكنى بالضمير عن الاسم، والكناية قريبة من الإشارة، ومشتقة منها، ومما يدل على ذلك أن hu العبرية المطابقة (لهو) العربية معناها كذلك فى كثير من الحالات. وضمائر المتكلم والمخاطب تفيد معانى خاصة بها مستقلة، لا يكنى بها عن شئ آخر»[2] . وقد يكون ذلك راجعاً إلى أن كلاً من المخاطب

---

(١) ابن يعيش - شرح المفصل ٣/ ٨٧ .

(٢) برجشتراسر - التطور النحوى ٥٠-٥١ .

والمتكلم يقتضى حضوراً فعلياً، ومن ثم لا يحتاج إلى ما يكنى به عن كل منهما

وضمائر الغائب تفرد وتثنى وتجمع، وتبين بعلامة المؤنث، وهى أولى بذلك لكونها ظاهرة، والظاهر يثنى ويجمع ويؤنث، والخلاف حول الاسمية فى الضمير يدور حول سؤال : هل الاسمية فى الضمير كله أم فى جزء منه ؟ فالبصريون يرون أن الاسمية تتحقق فى الضمير بكماله، والكوفيون يرون أن الاسم الهاء وحدها، وما بعدها مزيد، والصواب مذهب البصريين، لأنه ضمير منفصل مستقل بنفسه، يجرى مجرى الظاهر، فلا يكون على حرف واحد، ولأن المضمر إنما أتى به للإيجاز والاختصار فلا يليق به الزيادة، ولا سيما الواو وثقلها»[1] . وتحليل الجدول الآتى يوضح لنا عدداً من الأمور نوضحها بعد هذا الجدول .

حالة الضمير	المفرد		المثنى	الجمع	
	مذكر	مؤنث	مذكر ومؤنث	مذكر	مؤنث
منفصل	هُو	هِي	هُما	هُم	هنَّ

من الجدول السابق يتبين ما يأتى :

- تعد حركة الهاء عنصراً صوتياً ومورفيماً يظهر القيمة الخلافية بين المذكر والمؤنث المفردين (هـُ عكس هـِ) على حين يهمل عنصر التمييز للجنس أو النوع فى المثنى، ويعبر عنه بمورفيم موحد هو الضمير «هما» (عوضاً عن هُما فى المثنى المذكر، وهِما فى المثنى المؤنث) إذ «قيل إنَّ أصل هما (هو ما) فحذفت الواو، قالوا لأنها لو بقيت لوجب ضمها؛ لأن هذه الميم يضم ما قبلها، والضمة تستثقل على الواو المضموم ما قبلها، فحذفت

(١) ابن يعيش - شرح المفصل ٣/ ٩٦ .

الضمة للثقل، ولما سكنت الواو تطرق إليها الحذف لضعفها، وذلك لئلا يتوهم أنهما كلمتان منفصلتان، أعنى ما وهو، وثبتت فى هما كما ثبتت فى أنتما» [1] .

- تتوحد حركة الهاء فى الجمع، وتبرز القيمة الخلافية بين جمع المذكر وجمع المؤنث من الضمير ككل، وقد جاء الضمير الدال على جمع المؤنث بتشديد النون ليكون حرفين فى مقابل الميم والواو فى جمع المذكر، نحو : هموفعلوا، ولذا يمكن القول إن (هم) مورفيم يقابل المورفيم (هُنَّ) فى الدلالة على النوع .

- **ضمائر النصب المنفصلة**

هذا الضرب من الضمائر فيه إشكال، ولذلك كثر اختلاف العلماء فيه، فمنهم من ذهب إلى أن إيا اسم مضمر، وما بعده من الياء فى إياى، والكاف فى إياك، والهاء فى إياه حروف مجرده من الاسمية للدلالة على أعداد المضمرين وأحوالهم، لاحظ لها فى الإعراب. ومنهم من ذهب إلى أن إيا اسم ظاهر يضاف إلى سائر المضمرات، ومنهم من ذهب إلى أن إيا وما يليها بكمالها اسم، ومنهم من ذهب إلى أن الياء والكاف وأشباههما أسماء، وإيا عماد لها، وذهب سيبويه إلى أن إيا اسم لا ظاهر ولا مضمر، بل هو مبهم كنى به عن المنصوب وجعلت الكاف والياء والهاء بياناً عن المقصود، وليُعلم المخاطب من الغائب، ولا موضع لها من الإعراب .

والرأى عندى أن كل ضمير من هذه الضمائر يعد بكماله اسما أو بمعنى آخر يعد مورفيماً حراً، يتكون من مورفيمات مقيدة يمكن تفسيرها كما يلى :

اي : مورفيم كناية أو سلَّم لما يليه من مورفيمات .

ى، ك، ه : هذه المورفيمات ونحوها دلالات أو علامات يتميز بها المتكلم من المخاطب من الغائب، بالاعتماد على عناصر أخرى تتضح مما يأتى :

---

(١) شرح المفصل ٣/٩٦ .

الشخص ونوعه وعدده	مكونات الضمير المستخدم
المتكلم المفرد المذكر والمؤنث	إى + ا + ى
المتكلم لغير الواحد	إى + ا + نا
المخاطب المفرد المذكر	إى + ا + كَ
المخاطب المفرد المؤنث	إى + ا + كِ
المخاطب المثنى بنوعيه	إى + ا + كُ + م + ا
المخاطب الجمع المذكر	اى + ا + ك + م + (و)
المخاطب الجمع المؤنث	اى + ا + ك + ن + ن
الغائب المفرد المذكر	إى + ا + ه
الغائب المفرد المؤنث	اى + ا + ها
الغائب المثنى بنوعيه	اى + ا + هـُ + م + ا
الغائب الجمع المذكر	اى + ا + هـُ + م + (و)
الغائب الجمع المؤنث	اى + ا + هـ + ن + ن

من الجدول السابق يتضح ما يأتى :

- ثبات المـورفيم الأول والثانى وتـوحدهما مع كـل الضمائر علـى اختلاف نوعها وعددها .

- إهمال القيـمة الخلافية لجنس أو نوع المـذكر والمؤنث المتكلم المـفرد، كما أهملت القيمة الخلافية لعنصر الجـنس والعدد مع المتكلم لغير الواحد، إذ يستخدم للمذكر والمؤنث والمثنى والجمع .

- حركة الكـاف مورفيم مميز بـين المذكر والمؤنث، فالـفتح للمذكـر، والكسر للمؤنث .

- ثمة توحد بين المورفيم الدال على المثنى المخاطب والغائب فى إهمال عنصر

الجنس، ويعد كل من فونيم الكاف والهاء مورفيماً مميزاً للحضور والغيبة، كما يعد فونيم الألف مورفيماً دالاً على العدد الذى جاوز الواحد ويقل عن الثلاثة .

- أدى مورفيم الحركة إلى تمييز الغائب المذكر من الغائب المؤنث المفردين، فالتغير من الضم القصير للهاء إلى الفتح الطويل (ها)، حول الدلالة من المذكر إلى المؤنث .

- وأخيراً يتشابه كل من المورفيم الدال على الجمع بنوعيه، المخاطب والغائب، فى الاكتفاء بالميم مع حذف الواو، وهى مورفيم يدل على النوع والعدد، لأمن اللبس من جانب، والتخفيف من جانب آخر، واعتماد فونيم الكاف والهاء مورفيماً مميزاً بين الغيبة والحضور، وفونيم النون مورفيماً مميزاً للجنس والنوع (جمع المؤنث) .

- **المورفيم الدال على الإشارة**

الإشارة الإيماء إلى حاضر بجارحة، أو ما يقوم مقام الجارحة، أو أن تخصص للمخاطب شخصاً يعرفه بحاسة البصر، وسائر المعارف هو أن تختص شخصاً يعرفه المخاطب بقلبه، ولذلك قال النحويون إن أسماء الإشارة تتصرف بشئين : بالعين والقلب»[1] .

وتمثل أسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، والاستفهام والشرط مورفيمات تتلاصق فونيماتها وتتراكب، فتصبح كيانات لها دلالاتها واستخداماتها الخاصة بها، ويلاحظ أن كل فونيم يعد مورفيماً ذا دلالة خاصة، ويضاف إلى دلالة الإشارة دلالة الحيز المكانى المتنوع بين القريب والمتوسط والبعيد، ويوضح ذلك ما يأتى:

---

(١) ابن يعيش - شرح المفصل ٣/١٢٦-١٣٨، وشرح الرضى على الكافية ٢/٤٧٢ .

حيز الإشارة العدد والنوع	القريب	المتوسط	البعيد
المفرد المذكر	هـ + ذا	ذا + ك، ذى +ك	ذا + ل + ك
المفرد المؤنث	هـ + ذه، تا، تى	تا + ك، تى + ك	ت + ل + ك
المثنى المذكر	هـ + ذان، ذين	ذان + ك، ذين+ك	ذانّ + ك
المثنى المؤنث	هـ + تان، تين	تا + ك، تين+ ك	تانّ + ك
جمع المذكر	هـ + أولاء، أولا	أولاء + ك	أولالك
جمع المؤنث	هـ + أولاء	أولاء + ك	أولالك

من الجدول السابق يتبين ما يأتى :

- لوحظ أن فونيم الهاء يعد مورفيماً اقتصر وروده على الإشارة للقريب، ويفيد التنبيه، وإذا أريد تعظيم الأمر والمبالغة فى إيضاح المقصود جمعوا بين التنبيه والإشارة، وقالوا : هذا، هـذه، هاته، هاتا، هاتى، ولايجمع بين فونيم الهاء وفونيم اللام، لأن الهاء للقريب واللام للبعيد، والبعد والقرب معنيان متقابلان .
- المورفيم ذو الدلالة الفاعلة فى الإشارة يتمثل فى «ذا» و «ذى» و «تا» و «تى»، وهذا المورفيم الإشارى يحمل دلالة النوع والعدد .
- فونيم اللام يعد مورفيماً ذا دلالة خاصة فى الإشارة للبعيد، فوجود اللام يخرج القريب والمتوسط من حيز الاستخدام الإشارى .
- فونيم الكاف يعد مورفيماً ذا ضربين، أحدهما : يفيد الخطاب والاسمية، والآخر يفيد الخطاب مجرداً من معنى الاسمية، فالأول نحو : الكاف فى أخيك وأبيك، ونحوها مما له موضع من الإعراب، والثانى نحو : الكاف

اللاحقة بأسماء الإشارة جميعها، فهى للخطاب مجرداً من معنى الاسمية، والذى يدل على تجردها من معنى الاسمية، أنها لو كانت باقية على اسميتها لكان لها موضع من الإعراب[1] . ولذا فهى تفيد مجرد الخطاب والحضور للمشار إليه عاقلاً أو غير عاقل .

- الأسماء الموصولة

الموصولات ضرب من المبهمات، لوقوعها على كل شئ من إنسان وحيوان وجماد، أى عاقل وغير عاقل، كوقوع هذا وهؤلاء ونحوهما من أسماء الإشارة على كل شئ، ومعنى الموصول لا يتم بنفسه، ويفتقر إلى كلام بعده تصله به ليتم اسما، فإذا تم بما بعده كان حكمه حكم سائر الأسماء التامة، يجوز أن يقع فاعلاً ومفعولاً ومضافاً ومبتدأ وخبراً .

ويعد الاسم الموصول مورفيماً حراً مقيداً، فهو حر لكونه منفرداً مستقلاً بنفسه، ومقيد لكونه يحتاج إلى ما بعده فى إتمام المعنى، إذ صار كالحرف الذى لا يدل على معنى فى نفسه، إنما معناه فى غيره، أى يتم معناه إذا اتصل بكلام غيره .

فإذا تأملنا الأسماء الموصولة لوجدنا أنها تتكون من أكثر من مورفيم والجدول الآتى يوضح ذلك :

العدد / الجنس	المفرد	المثنى	الجمع
المذكر	ال + ل + ذى	ال+ل+ذان، ذَيْنِ	ال+ل+ذِينَ
المؤنث	ال + ل + تى	ال+ل+تان، تين	ال+لات، اللواتى، اللائى

(١) ابن يعيش - شرح المفصل ٣/ ١٣٤ .

يتبين لنا من الجدول السابق ما يأتى :

- اشتراك كافة أنواع الأسماء الموصولة فى العنصر الأول، والعنصر الثانى، فالعنصر الأول هو المورفيم (ال) الذى يفيد التعريف، وهو مورفيم زائد زيادة لازمة، لا تسقط عن الاسم الموصول، والعنصر الثانى فونيم اللام، وهو مورفيم يفيد التوكيد .
- اشتراك كل من الأسماء الموصولة وأسماء الإشارة فى مورفيمات واحدة، هى : ذى، تيِ، ذان، ذَين، تان، تين .
- اشتراك كل من المثنى المذكر والجمع المذكر فى صوامت الاسم الموصول، ويلاحظ أن العنصر الصوتى - الحركات - يقوم بدور المورفيم المميز بين كل منهما، وهو ما كان عليه أمر الياء وكسر النون فى المثنى، وكسر ما قبل الياء وفتح النون فى الجمع .

وأخيراً هناك أسماء موصولة مشتركة نجدها بدلالات أخرى فى مجال الشرط والاستفهام ونحو ذلك، وسوف تدرس مع المشترك من المورفيمات .

- **المورفيم الدال على التصغير**

التصغير لغة هو التقليل، وعند الصرفيين هو التقليل على نحو مخصوص، بضم أول الاسم المتمكن، وفتح ثانيه وزيادة ياء ثالثة ساكنة مع كسر ما قبل آخره فيما زاد على ثلاثة أحرف. ولا يقع التصغير فى غير الاسم المعرب المتمكن، إذ لا تصغر الحروف ولا الضمائر وأسماء الشرط والاستفهام والإشارة والأسماء الموصولة، والمركب تركيباً مزجياً، كما لا يقع التصغير فى الأفعال والأسماء المصغرة .

وللتصغير أوزان صرفية خاصة. وعددها ثلاثة، وكل وزن يختص بتصغير بنية معينة، على النحو التالى : فُعَيْل، فُعَيْعِل، فُعَيْعيل .

هذه الأبنية على تنوعها تشتمل على مورفيم زيد حشواً، للدلالة على معنى خاص ومحدد، وهو ما يعرف بياء التصغير وتكون ساكنة، وهى أبرز العناصر الدالة على التصغير، مع ملاحظة العناصر الصوتية التى هيأت لهذا المورفيم تادية دلالته، هذه العناصر تتمثل فى : ضم الحرف الأول، وفتح الحرف الثانى، وزيادة الياء مع تسكينها، وكأن اللغة قد أدركت أن اللفظ وحده لا يكفى، فاستعانت بالحركات لتادية معنى التصغير والصيغة على هذه الصورة الجديدة فيها معنى الاختصار والإيجاز، إذ تغنى عن وصف الشئ بعبارة هذا الشئ صغير أو قليل .

- **المورفيم الدال على النسب**

النسب أو النسبة أو الإضافة مصطلحات مترادفة للدلالة على عزو الشئ وإرجاعه إلى أصله. ويتحقق النسب عند الصرفيين بذكر المنسوب إليه وحده، ثم تزاد عليه زيادة تدل على النسب، وذلك أن يزاد فى آخر المنسوب إليه ياء مشددة ويكسر ما قبل الياء .

ويصير الاسم بعد إلحاق ياء النسب إليه قابلاً للتحليل، كما يعد المعنى المنوط به مركباً من دلالتين، دلالة عرفية، هى دلالة الاسم قبل دخول ياء النسب، والثانية صرفية، هى دلالة الياء المشددة فى آخره، فمثلاً : مصر ← يّ ← مِصرِيّ .

فهذه الياء أضيفت إلى الاسم المجرد عنها تعد مورفيماً ألحق بنهاية الاسم، وهو مورفيم يفيد الإيجاز والاختصار والوصف، كمورفيم التصغير، إذ صار

(١) بعد إلحاق الياء المشددة، فالتركيب يعمل الرفع، ولا يعمل النصب، لأنه بمعنى اللازم، وهو منتسب أو منسوب، وهو يعمل عمل اسم المفعول، ولا يعمل فى غير مخصصه، لعدم مشابهته للفعل فى اللفظ إلا فى ظرف أو حال، مثل : أنا عربى أبداً، وأنا وطنى مخلصاً لأنه يكفيهما رائحة الفعل، وإنما لم يعامل المصغر معاملة الصفات مع أنه يدل على صفة لأنه يدل على ذات مخصوصة، موصوفة بصفة مخصوصة فلم تحتج إلى ما خصصها». شافية ابن الحاجب ٢/ ١٣

الاسم بعد إلحاق هذا المورفيم به يشبه الصفات، ولذلك يعامل معاملة الصفات، فيحتاج إلى موصوف يخصص الذات، يجرى عليه، ويرفع ضميره أو ما يتعلق به، مثل: جاءنى رجل مصرى أصله، أو هذا رجل فلسفى فكره .

فإذا كان المورفيم الدال على التصغير ذا دلالة صرفية، فإن المورفيم الدال على النسب ذو دلالة صرفية، ووظيفة نحوية، فياء التصغير التى تزاد حشواً غير عاملة فيما بعدها، بينما تاء النسب التى تضاف فى نهاية الاسم تجعله عاملاً فيما بعده، وعمله الرفع، وهو ما يتعلق بالوظيفة النحوية .

ثانياً : الفعل

بعد الوقوف على المورفيمات الخاصة بالاسم، ننتقل إلى مجال الفعل لبيان أثر المورفيم فى بنيته من حيث الدلالة الصرفية والوظيفة النحوية، لاسيما الزيادات التى تطرأ على الجذور، وبمعنى آخر أثر المورفيمات المقيدة فى توجيه الدلالة الصرفية، والوظفة النحوية للمورفيمات الحرة .

«فاللغة العربية وإن قاربت اللغة السامية الأم فى أكثر حروفها وضمائرها فى بناء أفعالها وبعض أسمائها أبعد عن الأصل من اللغتين الأكدية والعبرية، وقريبة من اللغة الحبشية والآرامية. فالعربية مع الحبشة والآرامية أقل حفظاً للأبنية القديمة ومعانيها من بين سائر اللغات السامية»(1) .

وللعربية خصائصها فى أبنية الفعل، ويميزها عن سائر اللغات السامية تخصيص معانى أبنية الفعل وتنويعها بواسطتين : الأولى : اقترانها بالأدوات مثل : قد فعل، قد يفعل، سيفعل، ولا أفعل، ولن أفعل، والأخرى تقديم فعل كان على اختلاف صيغه، نحو : كان قد فعل، وكان يفعل، وسيكون قد فعل، إلى آخر ذلك : فكل هذا ينوع معانى الفعل تنويعًا أكثر بكثير مما يوجد

(1) برجشتراسر - التطور النحوى ٥٦ .

فى أية لغة كانت . . . وهذا من أكبر الأدلة على سجية اللغة العربية وطبيعتها، فهى أبداً تؤثر المُعين المحدود عل المبهم المطلق، وتميل إلى التفريق والتخصيص . . . فاللغة العربية أكمل اللغات السامية وأتمها فى هذا الباب، أى باب معانى الفعل[1] .

ويمكن للمرء أن يميز صيغ الفعل وأشكالها اللفظية، ويتبين كل صيغة من الأخرى. وتشكل الصوامت (ف . ع . ل) جذوراً ثابتة فى كل صيغ الأفعال، وتعد مورفيمات حرة تلحق بها زوائد مختلفة، قد تكون سابقة أو حشواً أو لاحقة فى نهايتها، وهى تعرف بالمورفيمات المقيدة .

وأبنية الفعل الماضى المجرد تنحصر فى ثلاث صيغ مختلفة العين بين الفتح والكسر والضم، وتتمثل فى : فَعَلَ، فَعِلَ، فَعُلَ. وهى صيغ تتفاوت فيما بينها من حيث التعدى واللزوم، وربما تكون أبنية الصيغة الواحدة متعدية ولازمة، كما تختلف حركة العين فى المضارع كما اختلفت فى الماضى .

والفعل مادام مجرداً فله معناه الخاص فى الدلالة على الحدث والزمان، وإذا زيد فى صيغته حرف أو أكثر من حروف الزيادة لغير الإلحاق، صار ذا معنى جديد أو معان متنوعة، وها نحن أولاء نعرض لما تكون عليه أبنية الأفعال بعد دخول مورفيمات إضافية إلى الجذور، وقد نلمح أثر هذه المورفيمات فى الفعل المضارع .

يصاغ الفعل المضارع من لفظ الماضى بزيادة سابقة فى أوله مع تغيير حركات الجذور فى الصيغة الجديدة، وهذه السابقة قد تكون إحدى السوابق الأربعة المعروفة بأحرف المضارعة، المتمثلة فى «أنيت»، فكل سابقة من هذه السوابق تعد مورفيماً له أكثر من دلالة ويبدو ذلك مما يأتى :

---

(١) برجشتراسر - التطور النحوى ٥٧، ٥٨ مع تصرف يسير .

أ + فعل ← أَفْعَلُ، نَ + فعل ← نَفْعَلُ، يـ + فعل ← يَفْعَلُ، ت + فعل ← تَفْعَلُ

وقد سبقت الإشارة إلى أن ابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) قد أدرك قيمة المورفيم الزائد زيادة سابقة فى الفعل المضارع، كما أدرك أثره فى الدلالة الصرفية والتركيب النحوى، فكل سابقة من هذه السوابق تعد مورفيماً دالاً على الزمن، يشير إلى من هو الفاعل ؟ وما نوعه ؟ وما عدده ؟ وما كان لهذه الدلالات أن توجد، ولا لهذه الأسئلة أن تطرح قبل زيادة هذه السوابق .

ويبدو أثر زيادة المورفيمات فى أبنية الأفعال الماضية من خلال المعانى الفرعية التى يكتسبها كل بناء فى التركيب اللغوى والسياق الذى يوضع فيه، بالإضافة إلى المعنى العام الذى يكون للفعل، وربما يكون الزائد فى بنية الفعل حرفًا، أو حرفين، أو ثلاثة، والجدول الآتى يوضحها كما يلى[1] :

١ - ما زيد فيه مورفيم

الصيغة	المورفيم الزائد	المعانى الفرعية التى صاحبت هذه الزيادة
أَفْعَلَ	الهمزة	التعدية والصيرورة والدخول في المكان أو الزمان، والمطاوعة، والجعل والإزالة، الإصابة، البلوغ، والمبالغة، الإغناء عن المجرد .. الخ
فَعَّلَ	تضعيف العين	التعدية، المبالغة والتكثير، الدعاء، السلب، والصيرورة ... الخ
فاعل	الألف	المشاركة، المبالغة والتكثر، الاغناء عن الفعل المجرد، تكرار الفعل

(١) تراجع دلالات هذه الأبنية باختلاف أحوالها فى المصادر الآتية : سيبويه - الكتاب ٢/ ٢٢٣-٤٣٩، ابن جنى - الخصائص ١/ ٢٢٣، ٢/ ٢١٥/ ٣/ ٢٦٦، ٣١٥، ابن يعيش - شرح المفصل ٧/ ١٥٥ - ١٦٢، الرضى - شرح الشافية ١/ ٨٦-١١٢، السيوطى-جمع الهوامع ١/ ٢٧٢، ٢/ ١٦١-١٦٢، محمد عبد الخالق عضيمة - المغنى فى تصريف الأفعال ١٠٨-١٣٧ .

٢ - ما زيد فيه مورفيمان

الصيغة	المورفيم الزائد	المعانى الفرعية التى صاحبت هذه الزيادة
انْفَعَلَ	الهمزة + النون	المطاوعة (أكثر المعانى التى اشتهرت بها) المبالغة، الإغناء عن المجرد
افتعل	الهمزة + التاء	المطاوعة، الاتخاذ، والمشاركة، المبالغة، الإغناء عن المجرد، الإظهار
تفعَّل	التاء + العين المضعفة	المطاوعة، الاتخاذ، التكلف والإظهار، التجنُّب، الصيرورة .. الخ
تفاعل	التاء + الألف	المشاركة، الإبهام، المطاوعة، الاغناء عن المجرد
افعلَّ	الهمزة + اللام المضعفة	المبالغة

٣ - ما زيد فيه ثلاثة مورفيمات

استَفْعَل	الهمزة، السين، التاء	الطلب، السؤال، التحول، المطاوعة، المبالغ، الإصابة ... الخ
افعالّ	الهمزة، الألف، اللام	المبالغة
افعوعل	الهمزة، الواو، العين	المبالغة، الصيرورة، الإغناء عن المجرد

٤ - ما زيد فيه مورفيم واحد من الرباعى

تَفَعْلَلَ	التاء	المطاوعة، المبالغة، الانتساب، الإبهام .

٥ - ما زيد فيه مورفيمان

افْعَنْلَلَ	الهمزة + النون	المطاوعة
افعللَّ	الهمزة + اللام	المبالغة، الإغناء عن المجرد

مما سبق ندرك أثر زيادة هذه المورفيمات وقيمتها الصرفية والنحوية، فهى تدل على الإيجاز فى المفردات والتراكيب، أما الإيجاز فى المفردات فيبدو جليا فى معانى : التعدية والمشاركة والطلب، فالفعلان ذهب وخرج على سبيل المثال

لازمان، وبزيادة الهمزة يصيران متعديين، فيعبران عن معنى جديد، وهكذا فى كل صيغة من الصيغ الآنفة الذكر، إذ لولا وجود هذه المورفيمات لأدى إلى مزيد من التطويل فى الجمل والعبارات لأداء هذه المعانى .

وأما الإيجاز فى التراكيب فيبدو كذلك فى بقية المعانى، مثل : المطاوعة، والجعل، والصيرورة، ونحو ذلك من المعانى الأخرى، ذلك أن كل معنى من هذه المعانى يقتضى تركيباً من كلمتين أو أكثر، واستخدام هذه الصيغ بمعانيها المحددة، يكفى عن استخدام التراكيب المطولة حيناً، والغامضة حيناً آخر، ومن ثم يكون إيجازها فى التركيب .

وأخيراً فزيادة بعض هذه المورفيمات قد تجمع بين أمرين، هما المعنى الدلالى، ثم الوظيفة النحوية، وبعضها يكتفى بالدلالة دون الوظيفة النحوية .

- **المورفيم الدال على تحديد الفاعل ونائبه**

إذا كان للغة وسائلها الخاصة فى تحديد الزمن الذى يقع فيه الحدث، ويمكنها التفريق بين صيغة الماضى والمضارع والمستقبل بالحركات الصوتية، أو بزيادة المورفيمات الدالة على المضارع «أنيت» أو الدالة على المستقبل مثل السين وسوف، أو الدالة على الطلب كزيادة همزة الوصل على جذور الفعل أو تغيير حركات الفعل ذاتها، أو تركيب أداة نحوية مع المضارع فتفيد الدلالة على الماضى أو المستقبل أو الطلب، مثل : لم + فعل مضارع، ولن + فعل مضارع، ولام الأمر + فعل مضارع. إذا كان كل هذا فى مقدور اللغة، فإنها يمكن أن تميز ما يدل على حضور الفاعل أو وجوده فى الجملة من عدمه .

ولئن كان هذا التمييز أمراً يرتبط بالصيغة أو بمعنى آخر يتعلق بالدلالة الصرفية للفعل، فإنه فى نفس الوقت ذو علاقة قوية بالتركيب النحوى. وقد سلكت اللغة مسالك عدة فى تمييز الماضى من المضارع، بل فى تمييز أبنية الماضى

المتنوعة بين الصحيح والمعتل، ثم التمييز بين المعتل بأحواله المختلفة، وكذلك التمييز بين أحوال المضارع، والمقابلة الآتية توضح ذلك :

المبنى للفاعل : ضَرَبَ، شَدَّ، وَعَدَ، قَالَ، سَعَى، دَحْرَجَ، أَخْرَجَ، تَعَلَّم، اسْتَغْفَر .

المبنى للمفعول : ضُرِبَ، شُدَّ، وُعِدَ، قِيلَ، سُعِى، دُرِج، أُخْرِج، تُعُلِّم، أُسْتُغْفِر .

على هذا الحال أدى مورفيم الحركة أو العنصر الصوتى إلى تغير فى الدلالة الصرفية والنحوية، فالأولى تتصل ببنية الفعل، والثانية تتصل بعناصر التركيب من حيث العلاقات والإعراب، فالتغييرات الصرفية تتمثل فى ضم أول الفعل وكسر ما قبل آخره، أو ضم أوله وثالثة وكسر ما قبل آخره، كما فى : اسْتُغْفِر، أو ضم أوله وثانية وكسر ما قبل آخره كما فى تُعُلِّم. وفى المضارع يضم أول الفعل وفتح ما قبل آخره، مثل : يُخْدَعُ، ويُبَاعُ، وقد «وجب تغيير الفعل إذا لم يسم فاعله، لأن المفعول يصح أن يكون فاعلاً للفعل، فلو لم يغير الفعل لم يعلم، هل هو فاعل حقيقى، أو مفعول أقيم مقام الفاعل . . . وكان التغيير إلى ضم الأول وكسر ما قبل الآخر، لأن الفعل لما حذف فاعله الذى لا يخلو منه، جعل لفظ الفعل على بناء لا يشركه فيه بناء آخر من أبنية الأسماء والأفعال التى قد سمى فاعلوها خوف الإشكال»[1] .

وأما التغييرات التركيبية فتتعلق بالوظائف النحوية التى جدت فى الجملة بتغير فَعَل إلى فُعِل، وتتمثل فى إقامة المفعول مقام الفاعل، وذلك لأن الفعل لا يبقى حديثاً عن غير محدث عنه، فإذا حذف الفاعل، صار المفعول يقوم مقام الفاعل .

---

(١) ابن يعيش - شرح المفصل ٧/ ٧١ .

- **المورفيم الدال على توكيد الفعل**

ثمة مورفيمان مقيدان يلحقان بآخر الفعل بقصد التأكيد، وهما لا يأتيان فى غير هذا الموضع، ويتمثلان فى نون التوكيد الثقيلة أو الشديدة (نَّ)، ونون التوكيد الخفيفة (نْ). وهذان المورفيمان لهما أثرهما فى بنية الفعل المضارع وفى معناه دون غيره .

فأما أثرهما فى بنية الفعل فيتمثل فى إخراج الفعل من الإعراب إلى البناء، أى يصير مبنياً بعد أن كان معرباً. وأما أثرهما فى المعنى فيبدو فى إخلاص الفعل للاستقبال بعد أن كان يصلح للحال والاستقبال. والنون المشددة أبلغ فى التأكيد من المخففة، لأن تكرير النون بمنزلة تكرير التأكيد، فقولك : اضربَنْ خفيفة النون بمنزلة قولك : اضربوا كلكم، وقولك : اضربَنَّ مشددة النون، بمنزلة قولك : اضربوا كلكم أجمعون[1] .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الأثر الذى يتعلق ببنية الفعل وهو الإخراج من الإعراب إلى البناء، لا يتحقق إلا إذ اتصل الفعل المراد بالنون اتصالاً مباشراً، فإن فصل بينهما بفاصل، مثل ألف الإثنين، أو واو الجماعة، أو ياء المخاطبة، ظل الفعل معرباً كما كان مع بقاء عنصر التأكيد. وتحذف كل من الواو، وياء المخاطبة، ويستعاض عنهما بالضمة والكسرة، ولا تحذف الألف، لأنها لو سقطت لأشبه فعل الواحد، وليس ذلك فى فعل الجماعة وفعل المؤنث، فيقال : لا تذهبُنَّ، لا تذهبِنَّ، لا تذهبانِّ، فالفعل فى كل هذه الحالات معرب لا مبنى، ومؤكد فى فعليته .

فإذا وجد هذا الفاصل فلا يكون مصاحباً له إلا مورفيم النون الشديدة أو الثقيلة، وما عدا ذلك فكل موضع تدخل فيه النون الشديدة، تدخل فيه النون الخفيفة. وما كان تراجع النون الخفيفة فى هذه المواضع إلا تخلصاً من اجتماع

(١) ابن يعيش - شرح المفصل ٩/ ٣٧ .

ساكنين فى الوصل على غير شرطه، لأن الساكن الثانى وهو النون الخفيفة غير مدغم، ولسنا مضطرين إليها بحيث نصير إلى صورة تخرج بها عن كلام العرب.

- **الأفعال الخمسة (الأمثلة الخمسة)**

يطلق هذا المصطلح على مجموعة معينة من أبنية الأفعال الدالة على المضارع، وقد اصطلح عليها بهذه التسمية، لكونها تأتى على خمس صور : صورتان مع المثنى، يفعلان، تفعلان، وصورتان مع الجمع المذكر : يفعلون، تفعلون، وصورة واحدة مع ياء المخاطبة تفعلين .

ومن الملاحظ على هذه المجموعة من الأفعال أنها لا تسمى بهذه التسمية إلا إذا اقترنت بها مجموعة محددة من المورفيمات، هى (ان)، و (ون) و(ين)، وهى مورفيمات متساوية فى عددها، ولا تكون إلا ملحقة بنهاية أبنية أخرى لذا فهى مقيدة لكونها لا تأتى مستقلة بذاتها .

هذه المجموعة من المورفيمات موزعة فى اتصالها بين الأفعال والأسماء، ومن ثم فهى تختلف فى دلالتها الصرفية ووظيفتها النحوية، وخاصة الألف والنون، والواو والنون، إذ الياء والنون لا تتصل إلا بالفعل، ويوضح ذلك بما يلى :

المورفيم	دلالته	مع الفعل	مع الاسم
ا + ن	التثنية	يـَ+فعَل َ+ان	مـُ+سلِم َ+ان
		تـَ+فعَل َ+ان	
و + ن	الجمع	تـَ+فعَل َ+ون	مـُ+سلِم ُ+ون
		تـَ+فعَل َ+ون	
يـ + ن	المخاطبة	تـَ+فعَل ِ+ين	———

لعل تحليل الجدول السابق يوضح لنا ما يأتى :

- كل من الاسم والفعل تساوى فى عدد الزوائد والأصول، وإن اختلفت الزوائد القبلية، ولم تختلف الزوائد البعدية، فهى مورفيمات مقيدة، وكل من الجذر الاسمى والفعلى مورفيم حر مقيد .

- توحدت دلالة مورفيم الألف من حيث الدلالة على العدد، بالإضافة إلى شمولية وعمومية هذا المورفيم فى وقوعه على المذكر والمؤنث، والعاقل وغير العاقل على السواء، كما توحدت دلالة الواو من حيث النوع والعدد، فهى تدل على الجمع المذكر .

- ثمة خلاف بين الزوائد القبلية والبعدية فى كل من الاسم والفعل، فالميم فى الاسم مورفيم يدل على الاشتقاق والوصف، والياء فى الفعل مورفيم يدل على الحال والوصف والشخص الغائب، والتاء مورفيم يدل على الحال والوصف والشخص المخاطب .

- كما تتفاوت كل من الألف والنون، والواو والنون فى الوظيفة النحوية، فكل من الألف والواو حين يتصلان بالاسم مورفيم إعراب، وعلامة على رفع ما يتصلان به، مثل : مسلمان، مسلمون .

- فإذا ما اتصلت كل من الألف والواو بالفعل فإنهما يشغلان وظيفة نحوية فى الجملة، إذ يصيران ضميراً للفاعل، ومعهما ياء المخاطبة، فكل ضمير منها يمثل ركناً أساسياً بعد الفعل الذى يتصل به .

- أما النون فى الأسماء فحرف جاء عوضاً عن التنوين فى المفرد، وفى الأفعال فهى حرف إعراب، إذ كان فى ثبوتها علامة للرفع، وفى حذفها وسقوطها علامة للنصب والجزم .

- تتنوع الألف والواو بين حالتين، هما : حالة الحرفية، وحالة الاسمية، أما الياء فلا تكون إلا اسماً أو ضميراً للفاعل، ويجب أن يلاحظ أن

الألف والواو مورفيمان لحقا بالفعل للدلالة على تثنية الفاعل وجمعه، فالفعل لا يثنى ولا يجمع، كما لا يؤنث ولا يذكر .

فى ختام دراسة المورفيمات المتعلقة بالأفعال يلاحظ ما يأتى :

- قلة المورفيمات التى تتصل بالأفعال عن التى تتصل بالأسماء .
- المورفيمات التى تتصل بالأفعال ذات دلالة صرفية ووظيفة نحوية، على حين أن التى تتصل بالأسماء ذات دلالة صرفية باستثناء ما يتعلق بالمشتقات العاملة عمل الفعل المضارع فتكون مؤدية للوظيفة النحوية بالإضافة إلى المعانى الصرفية .
- المورفيمات الاسمية يستعان على فهم دلالتها الصرفية فى معظم الأبنية بالسياق، كما فى اسم المفعول والمصدر الميمى واسم الزمان والمكان من غير الثلاثى، أما المورفيمات الفعلية فدلالتها الصرفية والنحوية تبدو واضحة فى دلالتها بوجودها مع الفعل .

ثالثا : المورفيمات الحرة المقيدة

لعل المقصود بقول المورفيمات الحرة المقيدة - إن جاز لنا استخدام ذلك - تلك المجموعة من الكلمات التى تكون منفصلة بذاتها أو ليست متصلة بغيرها، فتبدو حرة، ولكنها تعجز عن تحقيق دلالة معينة إلا بتركيبها مع غيرها من الأسماء والأفعال، فتبدو مقيدة. وهذا الضرب من المورفيمات يتنوع بين ماهو اسمى، وماهو حرفى، وبيان كل منهما كما يلى :

١- المورفيمات الاسمية الحرة المقيدة

هذا النوع من المورفيمات ليس واحداً، بل يشمل أنواعاً مختلفة من الأسماء، مثل : أسماء الاستفهام، وأسماء الشرط، وكل منهما يكون من

مجموعة من الأسماء ذات الدلالات المختلفة، فمن أسماء الاستفهام : (مَنْ) للعاقل، (ما) لغير العاقل، (متى وأيا) للزمان، و (أين وأنىً) للمكان، و (كيف) للحال، و (كم) للعدد، و (أى) يستفهم بها عن الحالات السابقة على حسب ما بعدها. ومثل هذه المورفيمات تشترك بين الأسماء والأفعال .

وتأتى معظم الأسماء السابقة لدلالة الشرط، غير أنها مع الشرط تعمل فى الفعلين، فعل الشرط وجوابه، وعملها الجزم. فإذا كانت تستخدم للاستفهام والشرط، فهى تستخدم للدلالة على الاسم الموصول أيضاً، مثل : (مَنْ) و (ما) و (أى). وحينئذ يتوقف تعين دلالتها على السياق الذى ترد فيه .

ب - المورفيمات الحرفية

يمكن أن تنعت هذه المورفيمات بأنها وظيفية، لتأثيرها فيما تتصل به، وهذا التأثير قد يظهر فى الذى يليه مباشرة، أو يمتد إلى غيره فى التركيب، وليست هذه المورفيمات كلها تختص بالأسماء فقط، أو الأفعال فقط، بل منها، ما يختص بالاسم، ومنها ما يختص بالفعل، ومنها ما يشترك بين الاسم والفعل، كما أنها ليست ذات دلالة واحدة، بل تختلف دلالتها من مورفيم إلى آخر، ومن مجموعة إلى أخرى - فمنها ما يكون للعطف، مثل : الواو، الفاء، ثم، أو، أم . . الخ، ومنها ما يكون للاستثناء، مثل : إلا، خلا، عدا، حاشا، وما يكون للنداء، مثل : يا، أيا، هيا، أى، الهمزة، وما يكون للنفى، مثل : لن، لم، لما، لا، ما، إنْ، وما يكون للتوكيد، مثل : إنَّ، أنَّ، النون بنوعيها، لام الابتداء، قد، وما يكون للنهى، مثل : لا، وما يكون للاستقبال، مثل : السين، سوف، لن، وما يكون للشرط، مثل : إنْ، إذ ما، لو، لولا، أما، وما يكون للتنبيه، مثل : ها، يا، ألا، وما يكون للتحضيض، مثل : هلا، لولا، ألا، أما، وما يكون للاستفهام، مثل : الهمزة، هل، وما يكون للجواب، مثل : نعم، بلى، لا، أجل، وما يكون للمصدرية، مثل : أنْ، أنَّ، ما، لو، كى .

كما تتنوع من حيث عملها وأثرها الإعرابى، كالتى للجر، مثل : مِنْ، إلى، على، فى، رب، الباء، الكاف، اللام، التاء، الواو، مذ، منذ، حتى، خلا، عدا، حاشا، وما يرفع المبتدأ وينصب الخبر، مثل : ما، لا، لات، إنْ، أو تنصب المبتدأ وترفع الخبر، مثل : إن وأخواتها، ولا النافية للجنس، وما ينصب المضارع، مثل : أنْ، لن، كى، إذن، لام التعليل، وما يجزم المضارع، مثل : لم، لما، لام الأمر، لا الناهية، إنْ، إذ ما، ومنها ما يستخدم بأكثر من دلالة فى أبواب متفرقة، مثل (إذا) شرطية وفجائية و (ألا، وأما) للتنبيه، والتحضيض، والعرض، والاستفهام، و (لا) نافية مهملة، ونافية عاملة عمل ليس، عاطفة، ناهية، نافية عاملة عمل إنَّ و (لو) شرطية ومصدرية، و (لولا) للتحضيض، العرض، الشرط، و (الواو) للقسم والجر والعطف والمعية قبل الاسم والفعل، للحال، للاستئناف، وعلامة رفع، وللجمع، و (الهمزة) للاستفهام والنداء والتسوية، و (إذ) لإفادة الزمان والتعليل وللمفاجأة، و (أى) للنداء والتفسير، و (حتى) للجر، ونصب المضارع، والعطف، وللابتداء، و (الفاء) للسببية، للعطف، وواقعة فى جواب الشرط، وخبر المبتدأ، وزائدة، و (النون) للتوكيد والوقاية وعلامة رفع للنسوة، و (يا) للنداء والتنبيه والتعجب، و (أنْ) مصدرية ومخففة من الثقيلة ومفسرة وزائدة، و (إنْ) شرطية ونافية عاملة عمل ليس ومهملة وزائدة، و (اللام) حرف جر وللأمر وللتعليل والجحود وموطئة للقسم وللابتداء وفارقة وواقعة فى جواب القسم أو جواب الشرط، و (ما) موصولة ومعرفة تامة مع نعم وبئس، ونكرة تامة مع التعجب وشرطية واستفهامية وهى فى كل هذه الحالات اسمية، وتكون جرفية نافية وزائدة ومصدرية. وغير ذلك من هذه المورفيمات التى تؤدى وظائف عدة بدلالات مختلفة وأثر إعرابى متفاوت. ولا يفوتنا أن تشير إلى أن هذه المورفيمات متنوعة كذلك من حيث تركيبها بين ما يكون على حرف واحد، أو على حرفين، أو ثلاثة أو أربعة أحرف .

الخاتمـــة

حاولت هذه الدراسة - قدر استطاعتها وطاقتها - أن توضح بعض القضايا التى تتصل بالمورفيم من حيث الظروف التى أدت إلى ظهوره والاهتمام به والإفاضة فى الحديث عنه، مع وجود بعض الصعوبات التى تعترضه أثناء التطبيق أحياناً، فتتبعت المصطلح بتفسير معناه ومكوناته، ثم توضيح أنواع المورفيم والوسائل التى يعبر بها عن المعنى، ومدى صلاحية استخدامه فى مجال العربية كلغة لها مكانتها بين لغات البشر، وقد أمكن رصد هذه المجموعة من النتائج على النحو التالى :

- بدا من الصعب تحديد ماهية الكلمة، ووضع تعريف دقيق لها، للتفاوت بين كل لغة وأخرى، وصعوبة تحديد الحد الأدنى لوجود الكلمة، واستقلاليتها وتعبيريتها وترتيب عناصرها، وهى أمور قد لا تتفق فيها لغة مع لغة أخرى .
- ربما كانت صعوبة تعريف الكلمة، وعدم الاتفاق على أدنى حد لها من العوامل التى حملت على صرف النظر عن الاعتماد على الكلمة كوحدة للتحليل الصرفى، ودعت للبحث عن وحدة أخرى تكون أكثر قبولاً لتعريفها وتحديدها، كما تكون أكثر صلاحية وإفادة فى هذا التحليل، لقد كانت هذه الصعوبة حافزاً للمتهمين بالدرس اللغوى إلى محاولة العثور عن مفهوم آخر للدلالة على أقل العناصر اللغوية التى يتوسم فيها أن تكون وسيلة دقيقة للتحليل اللغوى، ويبدو أن جهودهم تكللت بالاتفاق على أن الوحدة التى يمكن أن تتخذ أساساً لهذا التحليل يمكن تسميتها بالمورفيم Morpheme .
- يعد مصطلح المورفيم واحداً من ملامح النظام الجديد لتقعيد القواعد،

وسيلة لتصنيف الأنواع النحوية التى ربما تشمل جميع اللغات، أو على الأقل تعطى نتائج مرضية فى وصف معظم اللغات .

- ليس استخدام المورفيم عنصراً لتحليل اللغوى يخلو من صعوبات، فالقول بأنه وحدة صغرى ذات معنى يواجه بصعوبة من الناحية العملية، وهى أن المورفيم يجب أن يكون عنصراً مادياً، أى يكون جزءاً من السلسلة الكلامية حاملاً للمعنى، ومن الناحية الأخرى فإن القدرة على تحليل العنصر الصوتى موضع شك مما يجعلها - أى الوحدة المورفيمية - فى الوقت نفسه توحى بمعان متباينة تبايناً واضحاً. ومع ذلك فلا يزال المورفيم أداة صالحة للاستخدام يمكن الاستفادة منها فى التحليل الصرفى، كما أنه أيسر قبولاً للتعريف المحدد .

- يتكون مصطلح المورفيم نفسه من مورفيمين : الأول : morph اليونانية الأصل، بمعنى شكل أو صورة أو صيغة، وتعنى Form الإنجليزية . والثانى : eme - وهو لاحقة تعد مورفيما مقيداً، قد تفسر بأنها تفيد الاسمية، ويقابلها فى العربية (يَّة) وقد تفسر بأنها تدل على الوحدة من باب إطلاق الصفة على الموصوف، وربما تفسر بأنها تدل على الضآلة فى العنصر أو قلة المبنى .

- يستخدم الأمريكيون للدلالة على عناصر أو أجزاء الكلمة مصطلح ال : morpheme و Formant ، والأوربيون يستخدمون إما ال : Morpheme وإما ال : Formants ويفضل بعضهم استعمال مصطلح Formant للمورفيم الحر، مخصصين مصطلح مورفيم للنوع المتصل أو المقيد أو الذى يمكن أن يوصف بأنه يدل على فكرة إضافية .

- علم اللغة الوصفى يفضل مصطلح مورفيم Morpheme على المصطلحات

التقليدية، مثل : النهايات التصريفية، والجذر، والأصل، كما يفضل مصطلح Formant ويرجع ذلك إلى شمول المصطلحين للفكرة القديمة عن الجذر واللاحقة ولكن مصطلح المورفيم كتب له الشيوع فى الاستخدام .

- تنوعت وسائل نقل المصطلح إلى العربية بين التعريب والترجمة إلى الوحدة الصرفية، والترجمة الجزئية إلى : صَرْفيم أو صيغم. ويفضل البحث استخدام مصطلح المورفيم والإبقاء عليه، لأنه مع عجمته أكثر مرونة أو تصرفاً من دوال النسبة أو عامل الصيغة .

- يتحقق المورفيم فى ضوء ما يأتى : بساطة الصيغة، دقة التقسيم للصيغة حتى لا يقع التشابه بين صيغة وأخرى، وبين عنصر وآخر، ولو جزئياً فى الترتيب أو التتابع الصوتى أو الدلالة .

- يؤدى كل من عنصر الترتيب والتنغيم والاختيار أو الانتقاء دوراً هاماً فى إبراز المورفيم .

- الفونيم والمقطع هما العنصران الأساسيان فى التحليل الفونولوجى، والمورفيم والكلمة هما العنصران الأساسيان اللذان يدرسهما الصرف والنحو. وفى مقابل ما يسمى بالفون بالنسبة للفونيم توجد وحدة أساسية أو مادة خام هى المورف بالنسبة للمورفيم .

- تتقارب تعريفات اللغويين للمورفيم ويمكن إيجازها فيما يلى :

أ - المورفيم أصغر وحدة ذات معنى تربط بين الأفكار التى يتكون منها المعنى العام للجملة .

ب- هذه الوحدة قد تكون عنصراً صوتياً، وقد تكون كلمة أو جزءاً من كلمة يدل على معنى معين، ومحاولة تقسيم هذا الجزء إلى أقل من ذلك تفقده المعنى .

- ثمة مورفيمات يكون التقسيم فيها فى ضوء الوحدة الأصغر أو الأقل التى تكون ذات معنى أمراً ممكناً، وهناك مورفيمات غير قابلة للتقسيم، والإصرار على تقسيمها يفقدها معناها، على سبيل المثال من الإنجليزية : Strange إذا قسمت إلى Str و ange ومن العربية أقلام إذا قسمت إلى : «أق» و «لام» فلا يكون لأى جزء معنى، فالكلمة كاملة مورفيم قائم بذاته.

- الشكل الصوتى للمورفيم غير حاسم فى معرفة المورفيم، إذ لا يتوقف عليه التفريق بين مورفيم وآخر، مثل : Z علامة للجمع فى boys و Z علامة الملكية فى men's room و Z يشير إلى ضمير المفرد الغائب فى He run's Fast ، فهى تتماثل صوتياً، ولكنها تمثل ثلاثة مورفيمات متنوعة، لاختلافها فى المعنى. وشبيه بهذا كلمات مثل : bear حيوان، و bear يحمل أو يقدم هدية، و bear عارٍ أو سافرٍ ووسيلة التغلب على ذلك هو السياق، فهو خير ما يزودنا بمعلومات عن مورفيم ما .

- هناك عدد من عناصر التعبير عن المعنى ذات صلة قوية بالمورفيم، فهى تحمل نوعاً ما من المعنى، أو على الأقل تؤدى وظيفة فى إطار الأبنية التى تتكون منها، وقد يتعدى تأثيرها حدود البنية إلى التركيب فى الجملة مما يؤدى بقيمة تلك العناصر وأهميتها فى النظام اللغوى، وهى نوعان : صوتية مثل : الفونيم والمقطع والموقع والنبر والتنغيم والفاصل، وصرفية مثل : الصيغة والاشتقاق والزوائد .

- إذا كان ينظر إلى المورفيم على أنه وحدة فى علم القواعد (صرفية ونحوية) فإن الفونيم ينظر إليه على أنه وحدة فى النظام الصوتى، ولا يجب النظر إليها على أنها مجرد صوت كلامى أو لغوى، بل يجب النظر إليها باعتبارها أصواتاً لغوية لها وظيفتها التى تؤديها، فالفونيمات ذات

علاقة وثيقة بالمورفيمات، وتعد مدخلاً هاماً لدراستها، ولا يستطيع أحد إنكار قيمتها وأثرها فى دلالة الكلمة، وليس لأى نظام لغوى أن يهملها .

- المقطع يؤثر فى نوعية الفونيم، فهناك فونيم مقطعى وهو الذى يكون مقطعاً بمفرده، وهناك فونيم غير مقطعى، هو الذى لا يكون مقطعاً بمفرده.
- لا يتطابق المورفيم أو يتماثل مع المقطع، فليس هو المقطع، ولكن ربما يكون المورفيم مقطعاً، وربما يكون عدة مقاطع .
- الأصوات ليست حرة فى توزيعها، بل توجد قيود عليها، فبعضها يكون فى أول الكلمة، وبعضها يكون فى وسطها، وبعضها يكون فى آخرها، والمورفيمات فى أية لغة توجد دائماً مصنفة فى مجموعات ذات خصائص توزيعية خاصة، وخاصية التوزيع تجعل المورفيم يتخذ مواضع ثابتة فى إطار بنية الكلمة، وكل معنى ناتج عن مورفيم ما يخضع لترتيب معين لهذا المورفيم .
- النبر يرتبط بالصوت، والصوت يكون مكوناً من مكونات الكلمة، فهو إذاً موقعية تشكيلية ترتبط بالموقع فى الكلمة وفى المجموعة الكلامية .
- الصيغة عنصر صرفى فى مجال الدرس الصرفى، وهى تساعد فى الأعم الأغلب على تحديد الباب أيضاً، ذلك لأن معناها الوظيفى هو المورفيم، فالصيغة الصرفية تؤدى دوراً هاماً فى التعرف على معنى المورفيم.
- إذا كان المورفيم وحدة صرفية ذات وظيفة أو دلالة معينة، يقوم على دراسة ما يكون حراً من الوحدات، وما يكون مقيداً منها، وإذا كان الاشتقاق باعتماده على المادة الأصلية أو الجذر يميز الوحدة الصرفية الحرة، عن الوحدات الصرفية المقيدة، فإن العلاقة بينهما تبدو موحدة فى الهدف

من حيث التركيز على الجذور أو ما يمكن تسميتها بالمورفيمات الحرة، وينفرد المورفيم بالتركيز على الملحقات أو الزوائد الوظيفية ذات المعانى باعتبارها مورفيمات مقيدة .

- تقوم الزوائد أو الملحقات أو اللواصق بدور وظيفى لا علاقة له بالمعجم، وتتحدد معانيها الوظيفية فى إطار دراسة النحو والصرف، وهى تؤدى وظيفتها على محورين : صرفى يتعلق ببنية الكلمة، ونحوى باعتبار أنها تتأثر بالموقع والتركيب .
- ينقسم المورفيم من حيث الحرية فى الاستخدام إلى حر ومقيد، ومن حيث شكله والوظيفة التى يؤديها والمعنى الذى يأتى من أجله فهو متعدد ومتنوع، منه ما يكون للعدد والجنس والشخص والزمن . . . الخ (راجع الفصل الثالث) .
- تتمتع اللغة العربية باعتبارها واحدة من اللغات بخواص تحليلية ودمجية ولصقية عند استخدامها للمورفيمات، فلا توجد لغة معينة تتبع كلياً أحد الأنواع السابقة، بل قد تستخدم اللغة الواحدة كل الأنواع السابقة، ولكن تكثر فيها واحدة من هذه الخواص أو أكثر، ومن ثم تستحق أن تنسب إلى نوع أو أكثر .
- تبدو قيمة المورفيم كعنصر صوتى يمكن عن طريقه التمييز بين أبنية الأسماء المجردة وكذلك أبنية الفعل غير المزيدة، كما يكون وسيلة للتمييز بين الفعل الرباعى (أَفعلَ) واسم التفضيل (أفْعَلُ). وكذا المصادر خاصة الدال على المرة والدال على الهيئة مع التاء المربوطة فى كل منهما .
- مورفيم الألف عنصر مميز لاسم الفاعل من الثلاثى، والميم مع الواو عنصران مميزان لاسم المفعول من الثلاثى، كما يعد عنصر حركة الفتح والكسر لما قبل الحرف الأخير عنصراً مميزاً لاسم الفاعل من اسم المفعول

من غير الثلاثى. وفى بقية المشتقات يبدو أثر الحركة كعنصر صوتى فاعل فى التمييز بين الأبنية .

- يؤدى المورفيم المقيد دوراً أساسياً فى مجال الفصائل الصرفية، كفصيلة الجنس أو النوع والعدد والتعريف والتنكير، كما تؤدى دوراً هاماً فى مجال الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة .

- ففى فصيلة الجنس أو النوع تتعدد المورفيمات الدالة على التأنيث، فتشمل التاء والألف المقصورة، والألف الممدودة والياء، وهى مورفيمات تختلف شكلاً ولكنها من طبيعة صوتية واحدة، ولا تكون فى أول الاسم ولا تكون حشواً، بل تكون ملحقة فى نهايته، باستثناء المورفيمات التى تأتى فى أول الفعل المضارع مع مفرد المؤنث الغائب. وهذه المورفيمات الدالة على التأنيث لازمة للاسم المؤنث، ولازمة للفعل دلالة على تأنيث الفاعل، فالفعل لا يؤنث، ولكون التأنيث معنى لازماً لا يصح انتقاله عنه إلى غيره لزمه المورفيم الدال على التأنيث .

- من المورفيمات الدالة على التأنيث أيضاً الكسرة لكاف وتاء المخاطبة كِ، تِ، وهو مورفيم صوتى .

- وفى فصيلة العدد تتميز فئة المفرد بخلوها من أى مورفيم، مخالفة لفئة المثنى والجمع، إذ ليس فى الإفراد مشكلة. وتتحقق التثنية بزيادة مورفيمين هما : (ان) و (ين)، فالألف والياء علامتان للمثنى بالإضافة إلى كونهما علامتى إعراب، ويؤدى مورفيم الحركة دوره فى التفريق بين المثنى والجمع، إذ يفتح ما قبل الياء فى المثنى، ويكسر ما قبل الياء فى الجمع .

- لا يعد مورفم التثنية وسيلة تميز المذكر من المؤنث، أو العاقل من غير

العاقل، فالتثنية يستوى فها ما يعقل ومالا يعقل ... والمذكر والمؤنث فيها سواء، ولذا فهى أوسع من الجمع، ولاتساعها عن الجمع جعلوا الألف الخفيفة فى التثنية الكثيرة، وجعلوا الواو الثقيلة فى الجمع القليل، ليقل فى الكلام ما يستثقل، ويكثر ما يستخف .

- لا يعرف المورفيم الدال على الجمع نوعاً من التوحّد، إذ هناك أنواع متعددة للجموع، ومنها ما يلزم صفة الثبات، مثل : جمع المذكر السالم وجمع المؤنث السالم، وهذان النوعان لاحظ أن المورفيم الدال على الجمع يلحق الاسم المراد جمعه بشروط معينة، مما يقلل من عدد الأبنية المجموعة، فما لا يتوافر أى شرط لا يجمع .
- فيما عدا هذين النوعين يتخذ الجمع فى العربية صوراً متعددة بصيغ مختلفة وأوزان متنوعة، ومن ثم يختلف المورفيم الدال على الجمع فى كل نوع، بل ويختلف فى إطار النوع الواحد، مثل جمع التكسير المتنوع بين القلة والكثرة، ومنتهى الجموع، وجمع الجمع، ويكون الجمع على أسماء تكون مفردة فى شكلها، وتحمل معنى الجمع، مثل : أسماء الجموع، وأسماء الجنس، وأسماء مجموعة لا واحد لها من لفظهما، وفى ذلك دليل على أن المورفيم الدال على الجمع لا يعرف شكلاً ثابتاً .
- فى جمع المذكر يزاد مورفيماً (ون) و (ين) ويلاحظ أن مورفيم الواو دل على العدد والنوع، بالإضافة إلى أنها حرف إعراب مع الياء، وجاء مورفيم النون فى المثنى والجمع عوضاً عن التنوين فى المفرد .
- مورفيم (ات) فى جمع المؤنث موحد، وهو مد صوتى من نوع آخر لجأت إليه اللغة، ومورفيم التاء مع دلالته على التأنيث هو حرف إعراب تتبادل عليه علامات الإعراب .

- السابقة (ال) مورفيم خاص بتعريف الأسماء، وقد يؤدى وجوده فى بعض الكلمات إلى وجود وظيفة نحوية، كما يحدث عند دخولها على اسم الفاعل والمفعول. كما أن مورفيم التنوين خاص بالاسم المتمكن فى الإعراب، وهو يلحق آخر الأسماء، وزيادته تكون لدلالة محددة، كالتمكن والعوض والمقابلة والتنكير .

- تبنت اللغة العربية نظاماً مورفيمياً خاصاً بالشخص، وهو ما يعرف بالضمائر، وجعلته يتوزع توزيعاً ثلاثياً من حيث المتكلم والمخاطب والغائب، ويتوزع توزيعاً ثنائياً من حيث المذكر والمؤنث والبروز والاستتار والاتصال والانفصال .

- لوحظ فى إطار الفعل قلة المورفيمات التى تتصل بالأفعال عن المورفيمات التى تتصل بالأسماء. فهناك مورفيمات تلحق الفعل للتوكيد، ومورفيمات تزاد للدلالة على تحديد الفاعل ونائبه، كما أن هناك مورفيمات تزاد للدلالة على معان صرفية محددة، وزيادتها تؤثر فى تركيب الجملة، مثل اللزوم والتعدى مع اختلاف درجات الأخير.

- المورفيمات التى تتصل بالأفعال ذات دلالة صرفية ووظيفة نحوية، على حين أن التى تتصل بالأسماء ذات دلالة صرفية باستثناء ما يتصل بالمشتقات الصرفية العاملة عمل الفعل المضارع فتكون مؤدية للوظيفة النحوية بالإضافة إلى المعانى الصرفية. وفى هذا الصدد نذكر مورفيم التثنية والجمع المذكر، فحين تتصل الألف والنون، والواو والنون بالأسماء، فكل من الألف والواو يدل على الكم بالإضافة إلى كونه حرف إعراب، والنون عوض عن التنوين فى المفرد وفق أحد الآراء، وحين تتصل الألف والنون، والواو والنون بالأفعال، فكل من الألف والواو يؤدى وظيفة

نحويّة، لكونهما يشغلان وظيفة الفاعل، وتعد النون حرف إعراب، ففى ثباته علامة للرفع، وفى عدم وجوده علامة على النصب والجزم.

- تبدو قيمة المورفيمات التى تتمثل فى الأدوات والحروف النحوية فى كونها وظيفية، لتأثيرها فيما تتصل به، وهذا التأثير قد يظهر فى الذى يليه مباشرة، أو يمتد إلى غيره فى التركيب، وليست هذه المورفيمات كلها تختص بالأسماء فقط، أو الأفعال فقط، بل منها ما يختص بالاسم، ومنها ما يختص بالفعل، ومنها ما يكون مشتركاً، كما أن هذه المورفيمات ليست كلها حرفية، بل منها الاسمية ومنها الحرفية، كما تتنوع الدلالات وتختلف من مورفيم إلى آخر، ومن مجموعة إلى أخرى. وإن كانت تشترك كلها فى كونها حرة ومقيدة، لوجودها منفصلة بذاتها أحياناً، ولكنها تعجز عن تحقيق دلالة معينة إلا إذا اتصلت بغيرها.

- وأخيراً لا يعنى استخدام المورفيم وحدة للتحليل اللغوى عدم وجود صعوبات فى الاستعمال أو عند التطبيق، إذ فى الحقيقة يصادف الدارس كثير من الصعوبات عند التطبيق على الأبنية الفعلية والاسمية المجردة، ومع بعض المشتقات التى يشترك فيها أكثر من مشتق، مثل: مختار، مختل ومحتل، لاسم الفاعل والمفعول من غير الثلاثى ويضاف إليهما المصدر الميمى واسم الزمان والمكان من غير الثلاثى أيضاً، أو المصدر الميمى واسم الزمان والمكان من غير الثلاثى، مثل: فعال، مقام، مسار ونحو ذلك، ومثل اسم الفاعل من الفعل الثلاثى المعتل الوسط الذى يحتمل الأصل الواوى واليائى، مثل: قال ← قولاً، قال ← قيلاً ← قائل، قار ← قوراً ← قار ← قيراً ← قائر، إذ يصعب استخدام أى عنصر يميز الأصل الواوى من اليائى، وليس من وسيلة إلا السياق.

المصادر والمراجع

أولاً : العربية :

د. أحمد مختار عمر

- البحث اللغوى عند العرب - ط٢ / ١٩٨٧ - عالم الكتب - القاهرة .

الأزهرى (أبو منصور محمد بن أحمد ٢٨٢-٣٧٠ هـ)

- تهذيب اللغة - تحقيق د. عبد الحليم النجار - مراجعة محمد على النجار - الدار المصرية للتأليف والترجمة .

برجشتراسر

- التطور النحوى - بعناية د. حمدى البكرى - المركز العربى للبحث والنشر - القاهرة - ١٩٨١ .

أبو البقاء (أيوب بن موسى الحسينى الكفوى ١٠٩٤ هـ = ١٩٨٣)

- الكليات - مقابلة ووضع فهارس د. عدنان دروش، محمد المصرى - ط ٢/ ١٩٩٣ - مؤسسة الرسالة - بيروت .

د. تمام حسان

- اللغة العربية معناها ومبناها ١٩٧٣ - الهيئة المصرية العامة - القاهرة .
- مناهج البحث فى اللغة ١٩٧٩ - دار الثقافة - الدار البيضاء - المغرب .

ابن جنى (أبو الفتح عثمان ت ٣٩٢ هـ)

- الخصائص - تحقيق/ محمد على النجار - دار الهدى - بيروت - لبنان (د. ت) .
- المحتسب - تحقيق على النجدى ناصف ود. عبد الفتاح اسماعيل شلبى - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة ١٩٦٩ .

- سر صناعة الإعراب - تحقيق د. حسن هنداوي - ط١/ ١٩٨٥ - دار القلم - دمشق .
- المنصف شرح التصريف للمازني - تحقيق : إبراهيم مصطفى، عبد الله أمين - مكتبة مصطفى البابي - مصر - ط١/ ١٩٥٤ .
- علل التثنية - تحقيق د. صبيح التميمي ومراجعة د. رمضان عبد التواب ١٩٩٢ - مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة .

د. حلمي خليل
- الكلمة ١٩٨٠ - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة .

ابن خالويه (الحسين بن أحمد ت ٥٢٩ هـ)
- ليس في كلام العرب - تحقيق أحمد عبد الغفور - ١٩٧٩ - مكة المكرمة

الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ)
- العين - تحقيق د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي - الدار الوطنية بغداد ١٩٨٥

الرضي (رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي ت ٦٨٦ هـ)
- شرح الشافية - تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد وآخرين - دار الفكر - القاهرة ١٩٧٥ .
- شرح الكافية ١٩٨٥ - دار الكتب العلمة - بيروت .

ريمون طحان
- الألسنية العربية (٢) - ط٢/ ١٩٨١ - دار الكتاب اللبناني - بيروت - لبنان .

الزبيدي (السيد محمد مرتضى ١٢٠٥ هـ)
- تاج العروس - دار ليبيا للنشر والتوزيع - بنغازي (د.ت).

الزمخشرى (أبو القاسم محمود بن عمر ت ٥٣٨ هـ)

- المفصل - دار الجل - بيروت - لبنان - ط٢ (د.ت) .

ابن السراج (أبو بكر محمد بن سهل ت ٣١٦ هـ)

- الأصول فى النحو - تحقيق د. عبد الحسين الفتلى ط٢/١٩٨٧ - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان .

ابن سنان (محمد عبد الله بن محمد بن سعيد)

- سر الفصاحة - تحقيق على فوده - ط١/ ١٩٣٢ - الخانجى - القاهرة.

سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان ت ١٨٠ هـ)

- الكتاب - تحقيق عبد السلام هارون ١٩٧٧ - الهيئة المصرية - القاهرة.

السيوطى (أبو الفضل عبد الرحم ب الكمال أبو بكر جلال الدين ٨٤٩-٩١١ هـ / ١٤٤٥-١٥٠٥م)

- الأشباه والنظائر - تحقيق طه عبد الرءوف ١٩٧٥ - مكتبة الكلات الأزهرية - القاهرة .

- المزهر - تحقيق محمد جاد المولى وآخرين ١٩٨٦ - المكتبة العصرية صيدا - بيروت .

- همع الهوامع - تحقيق عبد السلام هارون، د. عبد العال سالم ١٩٧٥ - دار البحوث العلمية - الكويت .

د. صبحى الصالح

- دراسات فى فقه اللغة - ط١١/ ١٩٨٦، دار العلم للملايين - بيروت - لبنان .

د. عبد الصبور شاهين

- فى علم اللغة العام- ط٥/ ١٩٨٨ - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان.

- المنهج الصوتى - ط١/ ١٩٧٧ - مكتبة دار العلوم - القاهرة .

د. عبد القادر الفاسى الفهرى

- اللسانيات العربية - نماذج للحصيلة ونماذج للآفاق - بحث منشور بالكتاب المعنون بـ «تقدم اللسانيات فى الأقطار العربية المسجل لوقائع ندوة جهوية - الرباط - ابريل ١٩٨٧ من ص١١ إلى ص٤٠ .

عبد القاهر الجرجانى (ت٤٧١ أو ٤٧٤)

- دلائل الإعجاز - قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر ١٩٨٤ - الخانجى بالقاهرة .

د. عبد الكريم مجاهد

- الدلالة اللغوية عند العرب ١٩٨٥ - دار البيضاء - عمّان - الأردن .

ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم ٢١٣-٢٧٦ هـ)

- أدب الكاتب - تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - ط٤/ ١٩٧٦ - المكتبة التجارية بالقاهرة .

القزوينى (جلال الدين محمد بن عبد الرحيم)

- التلخيص فى علوم البلاغة - ضبطه وشرحه عبد الرحمن البرقوقى، ط٢/ ١٩٣٢ - دار الكتاب العربى - بيروت - لبنان .

ابن مالك (جمال الدين محمد بن عبد الله ٦٠٠-٦٧٢ هـ)

- شرح التسهيل - تحقيق د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوى المختون - ط١/ ١٩٩٠ - هجر - القاهرة .

المبرد (أبو العباس محمد بن زيد ٢١٠-٢٨٥ هـ)

- المقتضب - تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ١٣٩٩ هـ .

د. محمد حلمى هليّل

- دراسة تقويمية لحصيلة المصطلح اللسانى فى الوطن العربى - بحث منشور بالكتاب المعنون بـ «تقدم اللسايات المسجل لوقائع ندوة جهوية - الرباط ١٩٨٧ - من ص ٢٨٧ إلى ص ٣٣٤ .

محمد عبد الخالق عضيمة

- المغنى فى تصريف الأفعال - ط٣/ ١٩٦٢ - دار الحديث بالقاهرة .

د. محمد على الخولى

- معجم علم اللغة النظرى - ط١/ ١٩٨٢ - مكتبة لبنان - بيروت - لبنان .
- الأصوات اللغوية ١٩٩٠ دار الفلاح - عمّان - الأردن .

د. محمد فتيح

- فى الفكر اللغوى - ط١/ ١٩٨٩ - دار الفكر العربى - القاهرة .

د. محمود فهمى حجازى

- علم اللغة العربية (مدخل تاريخى مقارن فى ضوء التراث واللغات السامية) ١٩٧٣ وكالة المطبوعات - الكويت .

د. محمود السعران

- علم اللغة (مقدمة للقارئ العربى) دار الفكر العربى بالقاهرة (د. ت) .

ابن منظور (جمال الدين أبو الفضل محمد ت ٧١١ هـ)

- لسان العرب - دار المعارف - مصر (د. ت) .

د. نايف خرما

- أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة - عالم المعرفة ١٩٧٨ - الكويت .

ابن هشام (أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف ت ٧٦١)
- أوضح المسالك - تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - المكتبة العصرية - بيروت - لبنان .

ابن يعيش (موفق الدين يعيش ب على ت ٦٤٣ هـ)
- شرح المفصل - عالم الكتب - بيروت (د.ت) .

ثانيا : المترجمة

استيفن أولمان
- دور الكلمة فى اللغة - ترجمة د. كمال بشر ١٩٨٧ - مكتبة الشباب - القاهرة .

دى سوسير
- دروس فى الألسنية العامة - ترجمة صالح القرمادى وآخرين - الدار العربية للكتاب بتونس العاصمة، طرابلس بليبيا ١٩٨٥ .

ديفيد ابروكرومبى
- مبادئ علم الأصوات العام - ترجمة د. محمد فتيح - ط١/١٩٨٨ - مطبعة المدينة - القاهرة .

ڤندريس
- اللغة - ترجمة عبد الحميد الدواخلى ومحمد القصاص - مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٠ .

ماريو باى
- أسس علم اللغة - ترجمة د. أحمد مختار عمر - ط٢/١٩٨٣ - عالم الكتب - القاهرة .

مالمبرج
- الصوتيات - ترجمة د. محمد حلمى هليّل ١٩٩٤ - عين للبحوث والدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية بالهرم - الجيزة - مصر.
مايه
- علم اللسان - ترجمة د. محمد مندور ضمن كتاب النقد المنهجى عند العرب.

ثالثا : الأجنبية :

- Andrew Spencer, Morphological Theory, Cambridge, first published 1991, Reprinted 1992.
- Bloomfield, Language, London , First published 1935 .
- Frank Palmer, Grammar, Cambridge, first published 1971 .
- H.A. Gleason, An Introduction to descreptive Linguistics, 1967.
- Hockett, C.A Course In Modern Linguistics, Macmillan., 1958.
- John Lyons, Introduction to Theoretical Linguistics, Cambrige University Press, 1968.
- Matthews, Morphology, Cambridge, 1974.
- Oswald Ducrot and Tzventan Todorov, Encyclopedic Dictionary of the sciences of language, Translated by Catherine Porter, University Press, London (without date).
- Raja, T. Naser, The Essential of Linguistic Science, Longman Group limited first published 1980.
- Raja, T. Naser, The Teaching of English to Arab students, Longman. 1980.
- Scott. F.S., et. al., English Grammer : A Linguistic Study of its Classes and Structures, Heinemann Educational Books, 1900.